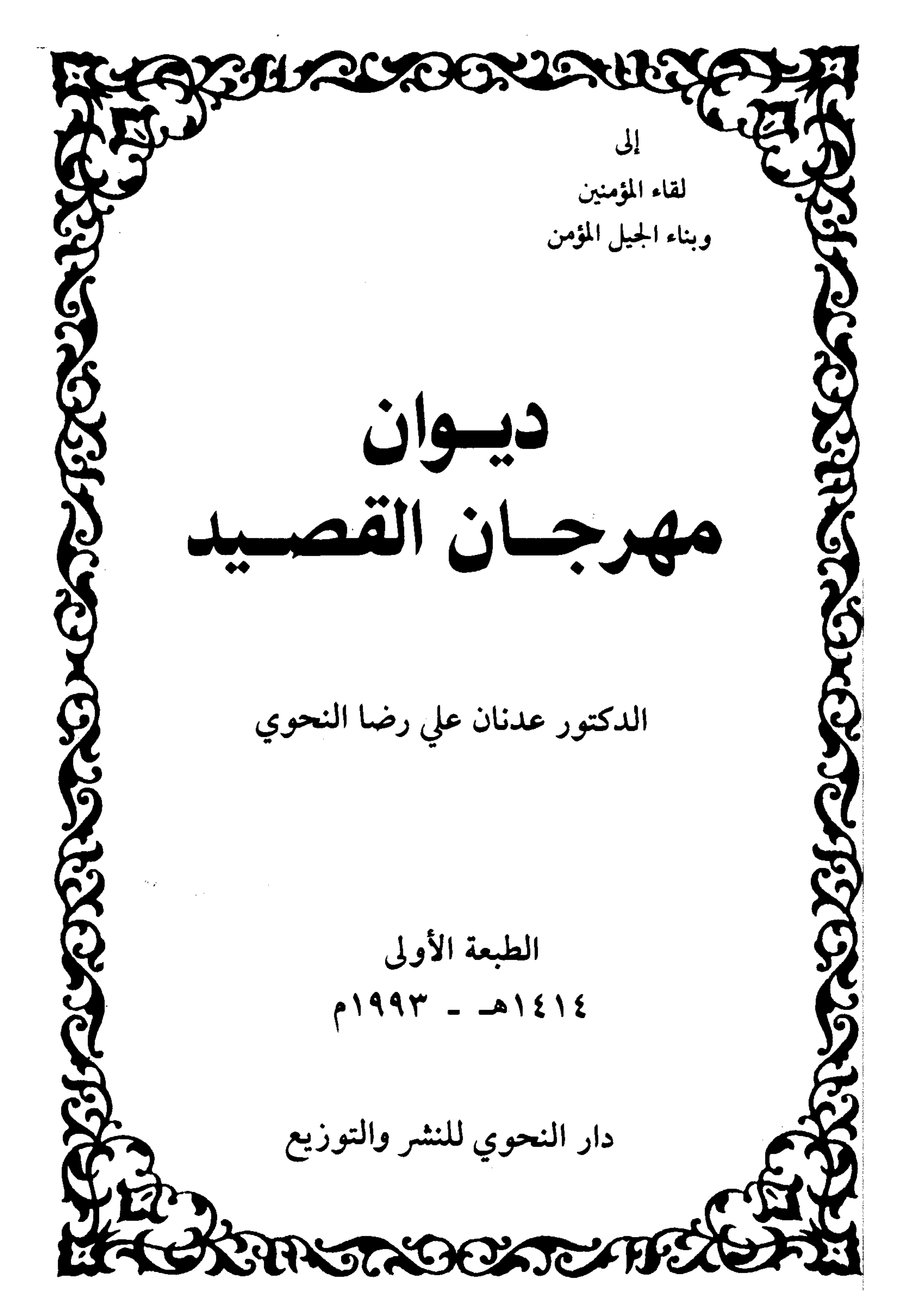


إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

ديـوان
مهرجـان القصـيد

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار النحوي للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

٨١١,٩٥٣١
٢٣٧ ن

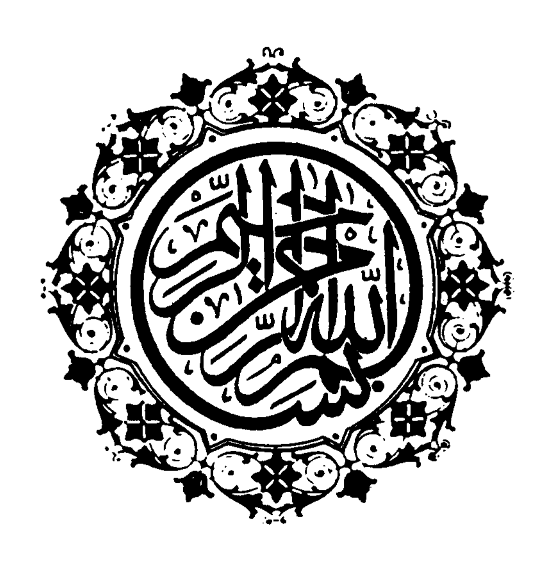
النحوي، عدنان علي
ديـوان مهرجـان القصيـد/ عدنـان علـي رضـا النحوي . -
ط١ . - الريـاض : دار النحـوي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م
٢٦٩ص ؛ ١٧×٢٤سـم
ردمك ٤ - ١٠ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠
١ - السعوديـة - الشعـر العربـي - دواويـن وقصائـد
أ - العنـــوان

ردمك ٤ - ١٠ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠
رقم الإيداع ١٤/٠٦٣٤



دار النحوي للنشر والتوزيع

ص.ب ١٨٩١ الرياض ١١٤٤١
هاتف وفاكس ٤٠١٠٢٥٧
المملكة العربية السعودية


بسم الله الرحمن الرحيم

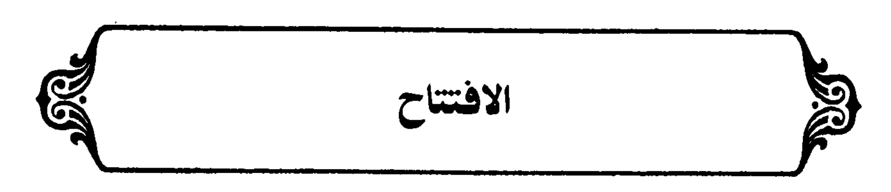




الاهـداء

- إلى كل مؤمن مجاهدٍ في سبيل الله!
- إلى كل مؤمن انطلق وقلبه تنيره آيات القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله، ﷺ، فعرف من خلال ذلك واقعه ووعاه، وردَّه إلى منهاج الله!
- إلى كل مؤمن عرف من خلال ذلك: من الكتاب والسنة، ومن وعي الواقع وحاجَتِه، عرف دربَه ونهجه، وأهدافه وأمانته، على صراط مستقيم!.
- إلى كلِّ مؤمن هَجَر العصبيات الجاهلية، فصدق عهدَه مع الله، وكان ولاؤه الأول لله، وحبّه الأكبر لله ولرسوله، لينبثق من ذلك كلُّ عهدٍ وولاءٍ وحبٍّ في الحياة الدنيا!
- إلى كلِّ مؤمن انطلق بذلك كلّه ليساهم في بناء الأُمّة المسلمة الواحدة في الأرض، ليجمعها على كلمة سواء!
- وليكون الأدب عدة من عدده، وسلاحًا من أسلحته، كما أمر الله ورسوله ﷺ!





الافتتاح

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴿٢٤﴾ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال:

«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»

[أخرجه أبوداود: كتاب الجهاد (٩) باب (٨) حديث (٢٥٠٤)]



المقدمة

هذا هو الديوان الرابع: «مهرجان القصيد».

لقد سبق هذا الديوان صدور ثلاثة دواوين شعرية: الأرض المباركة، موكبُ النُّور، جراح على الدرب. وسبقه كذلك صدور سبعة ملاحم، تتبع الأسلوب الذي عرضته عن الملحمة في الأدب الإسلامي في كتابي «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته» وفي مقدمة بعض الملاحم. وهذه الملاحم تظهر كذلك تطور الملحمة من حيث الشكل والأداء خلال رحلة ليست بالقصيرة. هذه الملاحم هي: ملحمة الغرباء، ملحمة الجهاد الأفغاني، ملحمة فلسطين، ملحمة القسطنطينية، ملحمة الأقصى، ملحمة الإسلام في الهند، ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرى، وفي الدواوين السابقة بعض القصائد التي تأخذ شكل الملحمة: وردة ودماء (ملحمة لبنان)، دويّ التاريخ (ملحمة التاريخ)، لم يبق في عرفات إلا دمعة!

أبتدىء هذا الديوان بموضوعين يأتيان بعد هذه المقدمة هما: «رحلتي مع الشعر»، ثم «ما هو الشعر، كيف يولد النصُّ الفنيُّ، ما هي العناصر التي تهبه الجمال»! وأقدّم تمهيداً لرحلتي مع الشعر موجزاً لسيرتي الذاتيّة.

بعد هذا التمهيد كله أفتتح الديوان بقصيدتين: «دعاء وابتهال ـ إلهي ـ»، «يارسول الهُدى». والقصيدة الثانية هذه مأخوذة من «ملحمة الأقصى». وملحمة الأقصى كانت في بدايتها قصيدة أُلْقِيَتْ في مؤتمر «المدائح النبوية تاريخها وأساليبها»، الذي عقد في «أورانج أباد» في الهند خلال الفترة (٢٦ـ٢٨) /٢/١٤٠٩هـ الموافق (٧ـ٩) /١٠/١٩٨٨. ولقد اشتركت في هذا المؤتمر ببحثٍ عنوانه «الإطار الصحيح والأسلوب الأمثل للمدائح النبويَّة»، وأردتُ أن تكون القصيدة مثلاً على هذا الإطار الصحيح والأسلوب الأمثل الذي أعرضه في البحث.

أردت أن تكون فاتحة الديوان ذكراً ودعاءً وابتهالاً إلى الله سبحانه وتعالى، ونحن نمرّ بأقسى ظروف مرت بها الأمة الإسلامية، نمرُّ من خلال المجازر والمذابح الوحشية في البوسنة والهرسك، وفي كشمير، وفي فلسطين، وغيرها من ديار الإسلام، من خلال المكر والكيد، من خلال لقاء أعداء الله في صف مرصوص ضدّ الإسلام، وفرّقة قاتلة بين المسلمين، نمرّ من خلال ذلك كله إلى عالم مجهول لنا، ونحن في غفوة قاتلة، والأعداء لهم مكر شديد. في هذه الظلمة الحالكة لا ينبثق النور إلا من عند الله. وكذلك نتعلم من سيرة الرسول ﷺ النموذج الأمثل لمعالجة مشكلاتنا وممارسة إيماننا في واقع الحياة. لهذا الأمر جعلت فاتحة الديوان هاتين القصيدتين، معتذراً للقارىء الكريم عما قد يجده من تكرار بين «ملحمة الأقصى» المنشورة في كتاب مستقل، وبين ما نقلته منها وسجلته هنا. ولن تكون هذه هي الموضع الوحيد الذي سيجد فيه القارىء مثل هذا النقل أو التكرار. فهنالك مقطوعات أُخرى أخذتها من الملاحم التي أصدرتها.

ذلك أنني سأجعل قسمًا من هذا الديوان تحت عنوان: «من الملاحم»، أنقل فيه بعض «المقطوعات» التي أعتقد أنها هامة بالنسبة لواقعنا اليوم، وبالنسبة لما قد يهتمُّ به القارىء الكريم، ممن لا يتسنّى لهم دراسة كلِّ الملاحم الشعرية التي أصدرتها، أنقل فيه بعض القصائد أو المقطوعات الشعرية من تلك الملاحم. ومما شجَّعني على هذا النقل أنني أؤمن بأن إعادة التذكير والتكرار بما هو أساسي أمر ضروريّ في مسيرة الأمة ومنهج البناء، وهو أكثر ضرورة حين يُرسِّخ هذا التكرارُ، ما يفيد في فهم الواقع والنظر إلى المستقبل في حياة الأمة المسلمة. وسأُشير مع كل قصيدة إلى الملحمة التي أُخِذَتْ منها ليتيسَّر للقارىء العودة إليها من أجل دراسة أوسع، ومتابعة أعدل. والشعر والأدب كله، كما سنرى في التمهيد، يجب أن يشارك في بناء الأمة. !

وبعد قصيدَتَيْ الافتتاح، تتوالى قصائد هذا الديوان في موضوعاتها المختلفة. وقد قسمت هذه القصائد إلى أبواب متنوعة على النحو التالي: «فوْحُ الشعر في ميادين الحياة» تدور قصائده في موضوعات متنوعة كالأدب الإسلامي والجمال والوصف وصور من الواقع وفي الدعوة الإسلامية. ثم يلي ذلك «مع الأصدقاء بين الحوار والمعارضات والتهاني

والمداعبات»، ثم باب «الرثاء»، ثم باب «من الملاحم»، ثم «تهاني مع الأصدقاء»، ويلي ذلك «مع العائلة أفراح وأعراس». وعسى أن تمثل هذه القصائد صورة لاتساع الميادين التي يستطيع الأدب الإسلامي أن يخوضها في الحياة وتزداد الصورة وضوحًا عندما يرتبط هذا الديوان بالدواوين الثلاثة السابقة والملاحم.

ولا أستطيع أن أفْصِل هذه الدواوين والملاحم، عن الكتب الأدبية التي قدّمتها، حَيثُ أوضَحْتُ بِشَكْلٍ متصَّل فيها رؤيتي للأدب والشعر، ودور ذلك كله في حياة الأمة ومسيرتها، مما أوجزه في البحثين المقبلين بعد هذه المقدمة.

ولا أستطيع أن أفصل الشعر والكتب الأدبية عما أصدرته من كُتب منهجية في الدعوة الإسلامية، الكتب التي بلغت ثمانية عشر كتابًا، منها كتاب باللغة الإنجليزية، وكتابان مُتَرْجمان إلى اللغة التركيّة.

وكتب دراسة الواقع التي بلغت أربعة كتب، تشترك كذلك مع الملاحم الشعرية السبعة في دراسة الواقع، حيث تؤلف دراسة منهاج الله، ودراسة الواقع من خلال منهاج الله الركنين الأساسيين في النهج الذي أدعو له والذي يطلق الممارسة في جميع ميادين الحياة. ومن هذين الركنين تنبثق الأسس الأربعة: الإيمان والتوحيد، المنهاج الرباني، الواقع، الممارسة الإيمانية، وتنبثق عناصر النهج والتخطيط والممارسة والميزان والتقويم والموازنة لجميع ميادين الحياة، وسائر العناصر الأخرى. هذان الركنان، والأسس الأربعة، والعناصر تجتمع كلها لتكون النظرية العامة في الدعوة الإسلامية، مما فصلته في كتب الدعوة والفكر الإسلامي.

إني أبتهل إلى الله سبحانه وتعالى، في خشوع وتضرّع وعبودية كاملة له، تنبثق منها عزتي في هذه الحياة الدنيا، وعَلى ولاء خالص لله وحب لله ولرسوله أكبر من كل حب، منهما تنطلق قوتي وثقتي، إني أبتهل إلى الله في هذا كله ليغفر لي ذنبي كُلَّه، دقَّه وجلَّه، فله الملك كله، وله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كلُّه. إني أعلم علم اليقين أننا سنُحاسَب على كل كلمةٍ نقولها نثراً أو شعراً بين يدي الرحمن، الله العزيز الجبار، الغفور الرحيم، له الأسماءُ الحسنى كلها.

رب اغفر لي وارحمني، أنت وليي في الدنيا والآخرة

والحمد لله رب العالمين

الرياض ١٥/٣/١٤١٤هـ
١ /٩/١٩٩٣م

عدنان علي رضا النحوي

موجز
سيرة وتاريخ

وُلدتُ في مدنية صفد، في فلسْطين، في الأرض المباركة، باركها الله في كتابه العزيز، في خِضَمِّ ثورات فلسطين المتلاحقة التي لم تهدأ منذ دخلها الإنكليز.

ولدتُ في ٢٣/٧/١٣٤٦هـ الموافق ١٥/١/١٩٢٨م، في بيتنا الذي نسفه الإنكليز خلال ثورة سنة ١٩٣٦م. كان هذا البيت يتألف من ثلاثة أدوار، أمامه من الشرق ساحة فسيحة عند الدور الثاني، وأمامه من الغرب ساحة فسيحة عند الدور الأول، وكنا نسكن في الدور الثالث، ليُطلَّ من الغرب على جبل الجرمق الذي يبلغ ارتفاعه ١١٩٢م، وعلى بعض جبال الجليل، في مناظر طبيعية خلّابة، تتماوج أمام عينك زرقة السماء، وخضرة السهول، وألوان الجبال والسفوح، والوديان، ألوان زاهية رائعة، كان الزائرون لمدينة صفد يهرعون لالتقاط الصور، ولصور أُخرى من المناظر الطبيعية الغنية بجمالها، تدور حول هذه المدينة التاريخية حيث التفتَّ، فكأنّ الجمال الساحر كان يحنو عليها، فيلفُّها بأكسية الجمال، وأردية البهاء، وينثر عليها من دُرَره الغالية ولآلئه الثمينة. وصفتها في ديوان الأرض المباركة في قصيدة: «لوحة من صفد». في هذا البيت كانت طفولتي بكل جمالها.

أقمت في فلسطين بحدود عشرين عامًا، أُنهيت خلالها دراساتي الابتدائية والثانوية والكلية العربية في القدس. مضت هذه السنون العشرون من خلال ثورات متتابعة، ضد الإنكليز واليهود. غادرنا فلسطين مرتين: الأولى خلال ثورة ١٩٣٦م إلى دمشق لنلحق بوالدي. والثانية كانت عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، عام مأساة الهجرة واللجوء. فأقمت في دمشق خمس سنـوات، ثمّ أقمت في الكويت ثلاث سنوات، وفي مصر خمس سنوات، وعدت إلى سوريا حيث أقمت ثلاث سنوات، أتيت بعدها إلى المملكة العربية السعودية في ١١/٣/١٣٨٤هـ الموافق ٢٠/٧/١٩٦٤م. نِلْتُ بعد ذلك الجنسية الأردنية.

منذ ذلك الوقت وأنا مقيم في المملكة العربية السعودية في مدينة الرياض، حيث

عملتُ في وزارة الإعلام قُرابة خمسة عشر عامًا. وقد عاصرتُ نشأتها ولحظاتها الباكرة، مسئولاً عن المشاريع الإذاعية، حتى أصبحت الشبكة الإذاعية تغطي المملكة كلها، وتغطي مسافات نائية في الأرض على الموجة المتوسطة والموجة القصيرة، وأُقيمت بعض محطات إذاعية أُخرى على موجات غير المتوسطة والقصيرة.

خلال هذا العمل زرت الأقطار العربية في شمال أفريقيا، وطفتُ عدداً غير قليل من البلدان الأوربية، ودرستُ اللغة الفرنسية في بيزانسون في فرنسا في دورة لمدة شهرين، ثمَّ تابعْتُ دراستها في باريس من خلال دورة علمية فنيّة.

وخلال هذا العمل دخلْت صراعاً فنّياً وعلميّاً وقانونيّاً استغرق سنين طويلة، لأحمي حقوقاً ومسئوليات، أعانني الله فيها برحمته وفضله على أن أؤدي أمانة وأصدق عهداً مع الله. ولقد تَلقّيْتُ خلال ذلك خطابات شكر وتقدير من مختلف المسئولين، أرجو أن تكون عاجل بشرى المؤمن، كما حدثنا رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون الأجر الكبير عند الله سبحانه وتعالى.

ولقد مُنِحتُ الجنسية السعودية سنة ١٣٩٧هـ الموافقة لسنة ١٩٧٨م. وفي هذه السنة دخلت في صراعٍ جديد، في صراع مع المرض في شرايين القلب، على أثر الإرهاق الشديد، كما يبدو. ولقد انقطعت عن العمل والوظيفة مع نهاية ١٣٩٧هـ، وبدأتُ مرحلة العلاج.

واتجهت إلى العمل الحرّ مع ضغط المرض. ولما اشتد الحال أُجْريت لي العملية الأُولى في القلب، وبعد ستة أشهر اضطررت لإجراء عملية جراحية ثانية، ألزمتني البيت طويلاً حتى توقّف العمل الحرُّ، وتفرّغت للدراسة والبحث والتأليف.

لقد بلغت إقامتي في المملكة حتى اليوم قرابة ثلاثين عاماً. ولقد كانت هذه السنوات هي أغنى سنوات العطاء في حياتي، وأغنى سنوات الدراسة والبحث في علوم شتى وفي تنوع الخبرة ونمو التجربة والزاد: فبالإضافة إلى الإشراف على إنشاء الشبكة الإذاعية على نحو ما ذكرت، وبالإضافة إلى زيارة عدد كبير من البلدان في أوروبا وأفريقيا وآسيا وزيارة أمريكا، بالإضافة إلى هذا فقد تابعت دراسة مذاهب الفكر الأوروبي من مصادر باللغة

العـربية والإنكليزية، ودراسـة الأدب كذلـك ومـذاهبه، وتابعت التحصيل العلمي في هندسة الاتصالات، من خلال المرض الذي امتدَّ سنين من المعاناة، نلت شهادة الماجستير والدكتوراة في ذلك، وتابعت دراسة الأدب العربي في النقد والشعر وتابعت ملازمة دراسة القـرآن والسنـة، ودراسـة بعض العلوم الإسلامية والتاريخ الإسلامي، ودراسة الواقع وأحداثه من مراجع عربية وأجنبية، ذلك كله على منهج محدَّد مدروس. ولم أنقطع كذلك عن الدعوة إلى الله ورسوله، إلى الإيمان والتوحيد، إلى الكتاب والسنة، وتابعت الكتابة والتأليف حتى بلغ عدد كتب الدعوة والفكر مع ما ترجم منها ثمانية عشر كتاباً، وفي الأدب ثلاثة كتب، مع ثلاثة دواوين شعرية وسبع ملاحم، وثلاثة كتب في دراسة الواقع، وكتاب في هندسة الاتصالات (انتشار الموجات الإذاعية المتوسطة) باللغة الإنجليزية.

كان لابد، كما أعتقد، من هذا الموجز السريع عن سيرتي الذاتية، لتكون تمهيداً للبحث المقبل وهو: «رحلتي مع الشعر».

إن هذا العـرض الموجز يُلقي ضوءاً عن النشأة والشباب والكهولة، وعن مصادر المعرفة والزاد، وعن المعاناة التي مررتُ فيها، وبعض الميادين التي خُضتُها، والبلاد التي عشت فيها أو زرتها، مما يلقي ضوءاً ولو قليلاً على نشأة الشعر ونُمُوِّه وتطوره في حياتي.

ديوان «جـراح على الـدرب»، مثـلاً، صدر بعد العملية الجراحية الثانية ومعظم قصائده متأثرة بالجراح التي كانت تنزف مني، أو الجراح التي كانت تنزف من الأمة. كانت العملية الجراحية الثانية في «٢٢ آيار (مايو) ١٩٨٢» في لندن. وفي تلك السنة كانت الدماء تنزف في لبنان وفي غيرها.

ديوان «موكب النور» صدر بعد توقفي عن العمل الوظيفي، صدر وأنا أطوف هنا وهناك أحمل المرض الذي أشرت إليه، وأبحث عن أبواب ألح منها إلى فرج ومخرج. كنت كأنني أطوف في ظلمة لا أجد فيها بصيصاً من نور إلا نور الإيمان، يتدفّق في هذه الظلمة وينساب كأنه موكب النّور.

ديوان «الأرض المباركة» وهو أول ديوان نشرته، يحمل كل ذكريات الصبا والشباب، وهو يعتصر ألماً وحزناً على مأساة بعد مأساة، حين كنا نعلل النفس بأمل العودة إلى الأرض

المباركة، وحين كانت فلسطين، الأرض المباركة، أغنية الطفل والشاب في أمة الإسلام الممزّقة، حين كانت القضية لاتزال تحمل بركة الفطرة وتدفق العاطفة، قبل أن تغيب خلف الضباب الأسود الكثيف! فإلى رحلتي مع الشعر خلال سيرتي في الصفحات المقبلة.



رحلتي مع الشعر

أذكر أنني كنت في الصف السادس الابتدائي أو السابع في مدينة عكا في فلسطين، حين كان يطلُب مني بعض زملائي أن أنظم لهم بعض الأبيات الشعرية في مناسبات تخصُّهم. وأذكر كذلك أنني كنت أُدْعى لإلقاء بعض القصائد من الأدب العربي أو الأدب الإنجليزي مما كُنّا نحفظه في المدرسة أمام طلاب الصفوف الأعلى الابتدائية أو الثانوية، أو في بعض المناسبات المدرسية واحتفالاتها في مدينتي صفد وعكا. كانت الصفوف الابتدائية سبع سنوات والثانوية أربع، إلا أن معظم مدن فلسطين لم يكن بها أكثر من سنتين ثانويّتين إلا في بعض المعاهد في القدس ويافا. كان ذلك بين سنتي ١٩٤١ - ١٩٤٢م.

كنت شغوفاً بالمطالعة والقراءات الخاصة في أوقات الفراغ وفي الأجازات المدرسية. كنتُ أقرأ للمنفلوطي والرافعي والعقاد، وجرجي زيدان في رواياته التي شوّه فيها التاريخ الإسلامي وافترى عليه، ولطه حسين، وغيرهم من الكتاب الذين انتشرت كتبهم آنذاك. وكنت شغوفاً بقراءة ديوان الحماسة لأبي تمام، وللمدائح النبوية التي جمعها يوسف إسماعيل النبهاني (١٢٦٥هـ - ١٣٦٥هـ، مما يوافق ١٨٤٩م - ١٩٣٢م) في أربعة أجزاء. وكذلك عكفت على قراءة شعر محمود سامي البارودي وشوقي وحافظ والأخطل الصغير بشارة عبدالله الخوري الذي نشرت له الصحف قصيدته «المسلول»، وكذلك المتنبي وأبي تمام والمعرّي وابن الرومي والمعلقات العشر وغير ذلك مما كان يقع بين يدي، أقرأ وأحفظ ما يستهويني من ذلك كله.

وكان من أجمل الهدايا التي تلقَّيتُها في تلك الفترة «الشوقيات» حملها وقدّمها لي خالي عز الدين الحاج عيسى رحمه الله. فعكفت عليها دراسة وحفظاً بنهم وشوق.

وفي الإجازات الصيفية كنتُ أتنقل بين عكا وصفد، فأقضي ساعات غير قليلة مع

بعض كتب اللغة والأدب وغيرها في مكتبة والدي ومكتبة آل النحوي التي زارها وتحدث عنها محمد كرد علي في كتابه «خطط الشام». وأذكر أنه وقع بين يديّ ديوان صغير الحجم مكتوب بالخط الأسود الجميل لأحد أجدادي الشيخ عبدالغني النحوي أو الشيخ حسن النحوي، وكلاهما كان معروفاً بالعلم والأدب والشعر. وعندي الآن أبيات من الشعر بخط الشيخ حسن النحوي كتبها على كتاب «هدية الأمم وينبوع الآداب والحكم» الذي كان أهداه له مؤلفه الشيخ عبدالرحمن الناجم مدعي عمومي ولاية بيروت سنة ١٣١٠هـ. وقد كتب المؤلف إهداءه على الكتاب كما يلي: «أهديتُ هذه النسخة المهداة للفاضل الأديب جناب الشاعر الأديب الشيخ حسن الصفدي النحوي رئيس بلدية صفد.... وأنا الراقم عبدالرحمن ناجم مُدَّعي عمومي ولاية بيروت» ١٣١٠هـ. وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة جريدة بيروت سنة ١٣٠٨هـ، برخصة من «نظارة المعارف الجليلة».. ومطلع هذه الأبيات الشعرية:

خليليّ! ما هذا العبيرُ الذي بدا ... فأصبح منه القطرُ نشوان سرمدا
هو العالم النحرير والجهبذ الذي ... غدا بأحاديث البلاغة مُفْرَدا

ومن الدواوين الشعرية التي ضمتها مكتبة آل النحوي: ديوان الأديب الشاعر «حسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام الأربلي المعروف بالحاجري رحمه الله». وقد رتبه وأصدره عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن خوجا الفارسي الدمشقي سنة ١٢٨٠هـ في (٨٧) صفحة من الحجم الصغير. وكذلك ديوان الأمير أبي محمد عبدالله بن سعيد بن محمد المشهور بابن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦هـ. وكان قد طبع في بيروت برخصة «نظارة المعارف الجليلة» في ٣ حزيران «١٣٠٩» في «المطبعة الإنسية» في بيروت، في (١١٦) صفحة من القطع الصغير أيضاً. وغير ذلك من الدواوين الشعرية وكتب الأدب واللغة والفقه والتاريخ والقانون وأبواب شتى من علوم الإسلام. لقد كانت مصادر العلم والثقافة حولي غنيّة، أنهل منها بشوق ومتعة، على قدر ما يسمح به السن آنذاك، وأوقات فراغ الطالب المجدِّ على دروسه، فلقد كنت أنال الترتيب الأول في معظم حياتي الدراسية، أو الترتيب الثاني.

يضاف إلى ذلك ما كنا نحفظه في تلك المرحلة الدراسية وغيرها من عيون الشعر في الأدب العربي، وعيون الشعر في الأدب الإنجليزي. أما دراسة القرآن والسنة فكانت واهية ضعيفة في مدارس الانتداب البريطاني، ومتوقفة كلية في الصفوف الثانوية، إلا من «مجلة الأحكام» التي كانت تدرس في السنتين الأوليين من الدراسة الثانوية. ولكنّ البيت كان يراعى ذلك ويرعى عبادتنا وسلوكنا.

وأخذت أنظم الشعر قبل أن أدرس العروض، وربما كنت أُردِّد بعض الأبيات مع بعض الزملاء في النزهات وبين اللهو والمرح، وأحاول أن أستشف حقيقة الأوزان الشعرية التي نسمع عنها دون دراستها. وكان يوافق التقطيع أحياناً حقيقة الوزن، حتى ملكت الأذن حلاوة النغمة وجمال الأوزان. ووقعت بين يديّ الأوزان في مقدِّمة أحد الكتب الشعرية التي كنت أقرؤها وربما كان ذلك في كتاب المدائح النبوية أو غيره. ولكنها كانت أوزاناً دون شرح أو تعليق.

ولم أكن أنشر ما أنظم من شعر مع أهمية الموضوعات. وكثير منها كان سياسياً يواكب أحداث البلاد الهائجة القلقة، والفتن الثائرة. كنت أقرأ لمن حولي من زملاء أوأقارب أو جيران. وكان أخي الكبير فوزي رحمه الله أكثر الناس تشجيعاً لي. كان يأخذ من شعري ويدور به بين الأهل والأصحاب معجباً معتزّاً به. وكان أخي فوزي صاحب موهبة شعرية كذلك، وموهبة في الرسم. إلا أنها لم تنكشف إلا بعد أيام الهجرة دون أن يلقى الرعاية والتوجيه. وكان يقرأ لي وأقرأ له. ومازلت أحتفظ ببعض رسوماته الجميلة لبعض مواقع مدينة صفد، وكذلك لعدد من قصائده ومقالاته التي كانت تنشرها بعض صحف دمشق، وخاصة عن تاريخ صفد والخليل والقدس، وبعض مقالاته السياسية، وبعض أشعاره.

لم أكن حريصاً على نشر ما أنظم من شعر. ربما كان ذلك لعدم وجود صحف محلية في صفد أو عكا، أو لعدم توافر وسائل التشجيع. وربما كان سبب ذلك الحذر الذي كنا نعاني منه في الجوِّ السياسي المضطرب في البلاد، وما كان يعانيه والدي من مضايقات شديدة من الإنجليز، مضايقات كانت تؤثر في جميع نواحي حياتنا. كان والدي رحمه الله يعمل مع سماحة مفتي فلسطين ومع سائر قادة البلاد في بناء أسباب الجهاد في فلسطين منذ أول عهد

الانتـداب، في عمـل صامت ينـظر إلى المستقبل، وعمل صاخب يوفّر أسباب الضغط والمقاومة الضرورية. ولقد غادر والدي فلسطين حين اشتدت ملاحقة الإنكليز له ولغيره، غادر فلسطين كما غادرها سماحة الحاج محمد أمين الحسيني، وعدد من رجال البلاد وعلمائها ليقودوا الثورة التي تفجرت في فلسطين سنة ١٩٣٦م، وليكوِّنوا اللجنة المركزية في دمشق وبيروت[1]، لعلّ هذه الأجواء المضطربة الممتدّة طوال حياتنا في فلسطين ساعدت على عدم النشر، وحالت بيننا وبين وسائل الإعلام، ولكنها لم تكن تحول بيننا وبين العمل الدائب الصامت لإنقاذ البلاد من جريمة مروِّعة تخطِّط لها السياسة الدولية كلها، وتشرف على تنفيذها، وتستعين بالضعفاء والجبناء، والجهلاء المغفلين، والمجرمين الخائنين في فلسطين وفي العالم العربي وفي العالم الإسلامي الممزّق.

من خلال هذه الذكريات العاصفة المدمّية، أذكر أن أول ما نظمته من شعر كان خلال السنوات ١٩٤١م - ١٩٤٣م. ولقد فُقد معظمه ونشرتُ ما بقي منه في ديوان الأرض المباركة. وكنت أسجل في نهاية كل قصيدة سنتها، ومازلت أحافظ على هذا الأسلوب حتى اليوم.

أنهيت الـدراسة الثانوية في مدينة عكا حين أنهيت الصف الثاني الثانوي. وكان يؤخذ من كل مدينة في فلسطين أوائلها إلى القدس، ليُتمُّوا دراستهم في الكلية العربية أو المدرسة الرشيدية حتى نهاية الصف الرابع الثانوي، حيث يتقدَّمون في نهاية السنة إلى امتحان «الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني» أو ما كان يسمى «متركيوليشن»، أو في الكلية العـربية (أو دار المعلمـين) حيث تمتدّ الدراسة سنتين أخريين بعد امتحان الاجتياز إلى التعليم العالي، فيحصل الطالب على الشهادة الجامعية المتوسطة (انترميديت) وعلى شهادة دار المعلمين في التربية والتعليم. وكانت الكلية العربية تقوم على جبل المكبّر في القدس قرب حي «تلبيوت» اليهودي، وقرب دار المندوب السامي الإنجليزي، وملاصقة لمدرسة زراعية يهودية.

---

(١) يراجع كتاب على أبواب القدس للمؤلف لتفصيلات أوسع عن ذلك.

وكان نصيبي، بعد مقابلة مدير المعارف البريطاني «فَرل» الكلية العربية. وهناك في الموقع الساحر الجميل، والحدائق الغناء، والأشجار الكثيفة الملتفة، والملاعب الرياضية المتنوعة، والمناظر الطبيعية الخلابة، هناك نما الشعر وامتدّ عطاؤه. كان أستاذنا في مادة اللغة العربية الدكتور إسحق موسى الحسيني - رحمه الله. وكان من أهم مواد الدراسة الأدب وخاصة الأدب العباسي، والبلاغة، والعروض، وفقه اللغة. هذا بالنسبة للغة العربية. أما بالنسبة للغة الإنجليزية، كنا ندرس تاريخها وفقهها وأدبها، ومعظم مسرحيات شكسبير (١٥٦٤م - ١٦١٦م)، وقصائد لآخرين مثل الفردوس المفقود (Paradise Lost) لملتون (١٦٠٨م - ١٦٧٤م)، مع دراسة أدب القرن الثامن عشر. وكنا ندرس تاريخ اليونان والرومان وفلسفاتهم وبعض آدابهم، مع تفصيل مملٍ لتاريخ إنكلترا، وكذلك مادة المنطق، بالإضافة إلى علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء وتاريخ الرياضيات وغير ذلك من العلوم في القسم العلمي. أما القسم الأدبي فكان يدرس الأدب الإنجليزي بتوسع أكبر مع دراسة اللغة اللاتينية. ولقد كنت في القسم العلمي. وفي السنتين الأخيرتين كان عدد طلاب صفنا اثنين فقط أنا وزميلي عامر مخلوف. أما الصف الأدبي فربما زاد عن الأربعة.

أما دراسة تاريخ الإسلام فكانت ملغاة. وكذلك دراسة الإسلام كانت تنحصر خلال السنتين الأُوليين في حصة واحدة صباح يوم الجمعة، حين كان يحضر أستاذ المادة يحمل معه كتاب نور اليقين. ثم يكلف هذا الطالب ليقرأ صفحة أو أكثر، ثم يكلف غيره، حتى تنتهي «الحصَّة» ومعظم الطلاب في غفوة وسهوة ولهو. وربما لا نجد بعد ذلك وقتاً لإدراك صلاة الجمعة لمن كان يريد ذلك.

وكان مدير الكلية الأُستاذ أحمد سامح الخالدي رحمه الله يقيم وعائلته في مبنى خاص داخل مساحة الكلية.

وكان لابد من هذا الاستطراد لنقدّم صورة عن الانتداب البريطاني وجريمته الكبيرة التي نفّذها في فلسطين خلال أكثر من خمس وعشرين سنة.

خلال السنوات الأربع التي قضيتها في الكلية تابعت المطالعة والقراءات الجانبية باللغة العربية واللغة الإنجليزية. وإذا لم تخنّي ذاكرتي فمن أهم ما قرأت باللغة الإنجليزية

بعض الروايات العالمية مثل: ديفيد كوبرفيلد لتشارلز ديكنز، وأوليفر تويست له أيضاً، رحلات جليفر لجوناثان سويفت، البؤساء لفيكتور هيجو، جزيرة الكنز لروبرت ستيفنسون، مرتفعات وذرنج لإميلي برونتي، ذهب مع الريح لمرغريت ميشتل، الأرض الطيبة لبيرل باك، «لمن تقرع الأجراس». . و«أنا كارينا». وكانت مكتبة الكلية العربية غنيّة واسعة ميسرة لمن يحب المطالعة والدراسة. لا أستطيع أن أتذكر كلَّ ما قرأت. ولكن قرأت كثيراً.

كان لابد من هذا الاستطراد لندرك طرفاً من السياسة الإجرامية التي كانت تتخذ ضد الإسلام والمسلمين بصورة هادئة. ولولا رعاية البيت وما فيه من ثروة فكرية وغذاء إيماني وزاد إسلامي، لولا هذه العناية التي كانت تتعهدنا منذ الطفولة، لنشأنا جاهلين بديننا، غرباء عن إسلامنا، فريسة سهلة لكل قوى الضلال والفتنة.

وأذكر أن أستاذنا الدكتور إسحق موسى الحسيني، حين كان يدرسنا العروض، طلب منا جميعاً أن نحاول نظم أبيات من الشعر في أي موضوع يرغبه الطالب. فنظمت أبياتاً قليلة في وصف الكلية العربية فسرّ بها، وفي هذه المرحلة أيضاً لم أجد الفرصة لنشر ما كنت أنظمه. وظل الشعر حبيس الأوراق وعلى ألسنة بعض الزملاء. وقد ضم ديوان الأرض المباركة معظم ما نظمته في تلك السنوات الأربع (١٩٤٤م - ١٩٤٧م).

وكان النزوح عن فلسطين سنة ١٩٤٨م. حملت معي بعض أوراقي وشعري. وأخذ الشعر يلحُّ بصورة أقوى والجريمة تكشّفت والمأساة وضحت. ولكنني مضيت لا أحرص على النشر، في جو يحمل أثر الغربة مع ما كان من حسن استقبال وتوفر الأرحام والأصحاب. ولكنني اشتركت في مسابقة شعرية أعلنت عنها إحدى المجلات في دمشق سنة ١٩٥٢م. اشتركت تحت اسم مستعار «حنين». ونالت القصيدة الترتيب الثالث، وعلق عليها أحد أعضاء لجنة التحكيم بأنها تنحو منحى الشعر العباسي. ولم ترقْ لي القصيدتان اللتان فازتا بالترتيب الأول والثاني أو لم أفهمهما. ولم أشعر يومها أني كنت أقرأ بهما شعراً. ولعلّهما كانتا من الشعر الحديث الذي لم أكن على صلة به أو اطلاع. ولعل المجلة كانت تحمل هذا الاتجاه، وكما أذكر فقد كانت المجلة واللجنة معروفين بالاتجاه

القومي. ولكنني سررت بهذه النتيجة وبذلك التعليق. وأخذ ميدان الشعر يتسع قليلاً وموضوعاته تمتد، وظلت قضية فلسطين وأحداثها وسائر قضايا العالم الإسلامي محوراً رئيساً.

كنت أعمل مدرساً للغة الإنجليزية في دمشق. ولكن بيتنا ظل محور نشاط سياسيّ بالرغم من قسوة الظروف والأحوال. وتوفّيت والدتي فرثيتها قبل أن يتم دفن جثمانها رحمها الله رحمة واسعة. وأطلقت الأحداث من قلبي قصائد شتى.

وانتقلت إلى الكـويت سنة ١٩٥٣م. وكانت لي هناك فرصة هدوء وتأمل، كنت بحاجة إليها. وكان يشغلنا حوار هنا وحوار هناك مع زملائنا المدرسين. فهذا يساريّ وهذا قومي وهـذا ضائـع...! نماذج شتى من الشباب كانت تموج بها الكويت. ووضحت السبيل أمامي وأشرقت الدرب، وملأ الله قلبي بنور الإيمان، وعكفت على دراسة كتاب الله وحفـظه مبتـدئاً من سورة البقرة. ولقد وضحت السبيل بعد أن قرأت بعض أمهات الفكر اليساري: الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية، البيان الشيوعي (المانفستو)، المادية الجدلية والمـادية التاريخية، وغير ذلك من الكتب الفكرية. وضحت السبيل بعد دراسة وتأمل، وحوار واستماع. ونما الفكر الإسلامي عندي حتى أصبح منهج حياة بعد أن كان عاطفة قليلة الزاد. وأخذ الزاد ينمو ويزداد مع مسيرة الحياة ومتابعة دراسة القرآن والسنة، ومتابعة الاطلاع على أبواب متعددة من العلوم والفكر. وأثناء دراستي الهندسة في مصر استمرّ نمو الزاد والثقافة، ونما الشعر واستقرّ دربه، حتى أصبح الشعر بما فيه من جمال وكلمة طيبة عدّةً وسلاحاً في درب الحياة، في أمة تزاحمت عليها شعوب الأرض لتغزوها وتحتلها وتنهب خيراتها.

وانطلق الشعر بعد ذلك، وأنا أحمل له مفهوماً محدّداً نابعاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأصبح له من خلال هذا المفهوم الإيماني رسالة ومهمّة، أوضحتها سيرة خاتم النبيين وهو يرعى هذه الموهبة الشعرية الإيمانية في أصحابه الشعراء، يدفعهم بها إلى ميادين العزّة والجهاد، إلى ميادين بناء أمة الإسلام، إلى بناء حياة الإنسان في الأرض على طهر وأمن، إلى إنقاذ الإنسان من براثن المجرمين، وأنياب الظالمين، إلى إنقاذ شعوب الأرض من فساد

ممتد وفتنة طاغية. بما كسبت أيدي الناس، إلى إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار، ربّ السموات والأرض وما بينهما، ورب كلّ شيء، الله الذي له الأسماء الحسنى كلها، حتى ينجو الإنسان في الدنيا من هلاك في الفتنة والشرك، وينجو في الآخرة من عذاب النار.

ونما الشعر على هذا النهج مع نمو الزاد في مسيرة الحياة، ومع العودة إلى سوريا، ثم الانتقال إلى السعودية حيث استقر بي المطاف. ولما تحررت من العمل والوظيفة على أثر المرض، وبعد أن نشرت ديواني الأول، الأرض المباركة، تدفّق الشعر، وتدفّق النثر، كما يوضح ذلك الدواوين والملاحم وسائر الكتب التي صدرت بعد ذلك في الفكر الإسلامي والدعوة، وفي الأدب، وفي الهندسة.

لقد أصبح الشعر والنثر يعملان معاً على نهج واضح محدد، نهج مشرق بالإيمان، بزاد القرآن والسنة وما يحملان معهما من بركة وخير. ونمت دراستي وتوسّعت في أنواع مختلفة من كتب الأدب والفكر باللغتين العربية والإنجليزية، ودراستي لدواوين الشعر.

لعل هذه المقدمة الموجزة لرحلتي مع الشعر لا تكون مملة للقارىء، ولكنني أشعر بضرورتها لإلقاء بعض الضوء على انطلاقة الشعر ومسيرته ورحلتي معه.

وأشعر كذلك أنه لابد من أن أقدم للقارىء مفهومي للشعر، لحقيقته وجوهره، وقد اختلفت النظرة إليه، بين أمة وأمة، وشاعر وشاعر، وعصر وعصر. واشتد الخلاف حوله في القرن العشرين خاصة مع بروز اتجاهات فكرية وفلسفية متعددة اتسع انحرافها عن منهاج الله، وأخذت تترك أثراً في الواقع الإسلامي. وكذلك لابد من تقديم مفهوم واضح موجز للأدب الإسلامي عندي، فصّلته في الكتب الأدبية التي سيشار إليها في مناسباتها.

ولابد من الإشارة إلى أن الشعر لم يكن وحده رفيق الرحلة، ولكن النثر كان رفيقًا مؤنساً على الدرب الطويل. وكان النثر تعبيراً في الأدب له جماله المتميّز عن الشعر، وكان مع كتب الدعوة الإسلامية والفكر، وكان مع كتب الواقع ودراساته.

للإنسان رسالة يؤديها في الحياة، وكلمة يجبّ أن يبلّغها ويوصلها لغيره، وفاء بعهد وأمانة ارتبط بهما الإنسان مع ربه وخالقه. والكلمة يمكن إيصالها وتبليغها شعراً ونثراً.

ولكلٍّ دوره الذي لا يمكن إلغاؤه في أداء الرسالة.

لذلك جاءت الملاحم التي قدّمتُها توضّح هذه الصورة. فجاءت معظم الملاحم نثراً وشعراً في آن واحد، حتى يكون البيان أوسع والبلاغ أكبر، وحتى يجتمع النثر والشعر ويشتركا في رسم النهج والأهداف والرسالة في هذه الحياة الدنيا.

كلّ ذلك يقوم عندي على ركنين أساسيين هما:

دراسة المنهاج الرباني وتدبره وممارسته

دراسة الواقع من خلال المنهاج الرباني

ومن هذين الركنين تتضح الأُسس الأربعة المتناسقة المتماسكة:

الإيمان والتوحيد: إيماناً والتزاماً ودعوة وبياناً.

المنهاج الرباني: دراسة وتدبّراً.

الواقع: من خلال منهاج الله.

الممارسة الإيمانية: ممارسة منهاج الله في الواقع البشري.

وفي الكتب التي قدمتها في مسيرة الحياة تفصيل ذلك كله مع عرض لعناصر العمل والتطبيق في مختلف ميادين الحياة الأدبية، والفكرية، والدعوة، والتربية والبناء، والممارسة والتطبيق، والإعداد والتدريب، والمنهج والتخطيط، والعزيمة والنية، والميزان والتقويم. وفيها يتضح دور الأدب في الحياة، ودور الشعر كذلك.

وفي ختام عرض هذه الرحلة أورد مقتطفات من ديوان الأرض المباركة لتمثل رحلة الشعر منذ سنة ١٩٤٣م حتى سنة ١٩٧٤م، لنرى تطور الشعر ونموّه خلال أبيات قليلة، تكفي لإلقاء قليل من الضوء:

في قصيدة «نذير» سنة ١٩٤٣م:

لا يدْفع الدمعُ عنّا أي نازلة	ولا يُعيد التغنّي زهوَ ماضينا
نَرْقى إلى المجد إن صحَّتْ عزائمنا	وبارك الله ما تبني مساعينا
لا تُذهِبُوا فُرَصَ الأيام عاطِلةً	وقد أَتتكم حُلاَها من أَمانينا

وحَقّقوا أملاً في الصدور مضطرباً لولاه ما نَبَضَتْ أَعْراقُنا فينا

وفي قصيدة عيد في فلسطين سنة ١٩٤٥:

فهل العيد حُلّةٌ من حَريرٍ وشبابٌ يَلْهُو وليلٌ وغيدُ
إنما العيد أن تُدَوِّي السّرايا وتُدَمَّى من الطعان النجودُ

وفي عيد سنة ١٩٤٤م قلت في قصيدة:

ما العيد إلا إذا قامَتْ دعائمنا وفوقها عَلَمٌ للدين معقودُ
ما العيد إلا لحرٍّ لم يَهُنْ أبداً ولا بدا وهو في الأغلال مصفود

وفي قصيدة «أخي» سنة ١٩٥٧م قلت:

أخـي من يكـن همُّـه يومَه يُـرَدَّ مَعَ الغَـد فـي قَـبْرِهِ
ومن كـان مثلك يبنـي الحياة يُشـعُّ الخلـودُ على فجْـرِهِ

وفي قصيدة دماء بريئة سنة ١٩٥٥م:

يا شعب! باسمك كم تباحُ مظالمٌ والشعْبُ لا يدري ولا هو يحكُم

وفي قصيدة رثاء سيد قطب رحمه الله (سنة ١٩٧٢م):

لان في كفّكَ الحَديدُ كَما لِنْتَ على آية من القُرآن
فإذا أنت بينهم سيِّدٌ حُرٌّ حواليك عصبة العبدان
والخفافيش مِنْهُم في الزوايا فَزِعَتْ مِنْ بَوارِق الإيمانِ

وفي قصيدة لم يبق في عَرَفات إلا دمعة (سنة ١٩٧٢م):

يا أُمّةَ القرآن دارك حلوة ما طوّفتْ ذكْرى وهَاجَ حنانُ
مغناك منثور الأزاهر كلها عَبَقٌ وقد خَضرتْ به العيدانُ
لا أنتقى من غرْسِ روضك زهرة إلّا وكان عبيرَها الإيمانُ

وفي قصيدة الشهيد سنة ١٩٧٤م:

روضة الحقّ! والشباب أزاهيرٌ وطيبٌ يرفُّ من أغصانه
لم تزل تنتقي يد الحقّ منها وردة بعد وردةِ لجنَانِـهْ
هي عُقْبى الإيمان، غاية آجا لٍ، سباقٌ يعجُّ من فرسانه

فلبيبٌ ماضٍ يرُدُّ هوى النفس ويرْتاد ممسكاً بعنانِهْ
وجَهولٌ تاهَتْ عليه أمانيه وألقتهُ في خِضَمٍّ افتنانهْ

* * *

ثمَّ يمضي الشعر وصفاً ورثاء، وسياسة وملاحم، وفكراً وأدباً، ومع الأصدقاء، وأعراس وأفراح، وغير ذلك من أبواب الشعر، في رحلة طويلة استغرقت أكثر من خمسين عاماً حتى يومنا هذا، أخوض بها ميادين واسعة في الحياة، كلها مفتحة للشعر أو النثر.

ما هو الشعر ؟!
كيف يولد النص الفني ؟!
ما هي العناصر التي تهبه الجمال ؟!

ما هو الشعر ؟

الشعر في أبسط تعريف له هو أحد نوعي الأدب. والأدب بجميع أشكاله كلها في نوعين: النثر والشعر، ولابدّ أن يكون هنالك فرق بين هذين النوعين من الأدب.

وما هو الأدب ؟

الأدب باب من أبواب الفن. وهو أشرف أبوابه وأعمُّها خيرًا وبركة!

وما هو الفن ؟

«الفن» هو «التعبير» الذي يحمل معه الجمال والتأثير في نفس الإنسان، من عناصره الرئيسة التي تهبه هذا الجمال والتأثير. ولكلٍّ باب من أبواب الفن عناصر خاصَّة به تهبه الجمال وترقى به إلى المستوى الفنّي المؤثر.

فالأدب إذن هو فنّ التعبير باللغة والبيان، حين تحمل عناصرُه الرئيسةُ الجمالَ الذي يرفع التعبير إلى مستوى الأدب والفن.

والشعر هو نوع من التعبير الفنّي له عناصره الفنية الخاصّةُ به، يهبُه كلُّ عنصر درجةً من الجمال، حتى يرقى إلى المستوى الذي يستحق معه أن يسمى فنّاً وأدباً. والنثر كذلك، حتى يكون أدباً، يجب أن يكون تعبيراً فنياً له عناصره الخاصة التي تهبه الجمال المؤثر.

والشعر ظاهرة ثابتة في حياة الإنسان، في حياة الشعوب كلها، والعصور كلها، لا تكاد تخلو أُمة من الشعر، ولا عصر من العصور ولكنَّه مع العرب كان ظاهرة أبعد عمقاً، حتى كان ديوانهم وملكةَ البيان فيهم، يفرحون بنبوغ الشاعر فرحاً عظيماً ويحتفلون به، دون أن يُلغي ذلك دور النثر فيهم.

واختلف الناس في تفسير هذه الظاهرة. فقد اعتمد سقراط نظرية التقليد والمحاكاة

لتفسير ظاهرة الرسم والشعر والموسيقى والرقص والنحت وغير ذلك من أبواب الفنون. وكذلك اعتبر أفلاطون أن الشاعر محاكٍ، واعتبر أرسطو طاليس القصيدة محاكاة أيضاً، على اختلاف في مفهوم المحاكاة.

وامتـدت نظرية المحاكاة في الفكر الأوروبي عصوراً طويلة مع ما يطرأ عليها من تعديل بين حين وآخر. وتتردّد نظرية المحاكاة بين محاكاة الطبيعة ومحاكاة الآخرين الذين حاكَوا الطبيعة. وأخذت النظريات تتبدّل في أوروبا إلى الرومانطيقية، والواقعية بأنواعها المتعدّدة، والرمزية وسائر مذاهب الحداثة التي عرفتها أوروبا. ومع هذه المذاهب اضطرب التصـور للشعـر ومفهومه ووظيفته، وتضاربت التصورات وانحرفت في متاهات بعيدة. اختلفوا في الغاية والمهمة، والجوهر والطبيعة، والشكل والمضمون، والعوامل المؤثرة فيه. اختلفوا في ولادة النصّ وعلاقته بالشاعر، حتى ظهر من يعزل الشاعر عن نصه الذي قدّمه فلا يعود هناك أي علاقة بين الشاعر والنصّ. وإذا تحرّكت الرحمة قليلاً قالوا لا بأس فهناك علاقة كعلاقة الميت بأثره. فهم يحكمون على الشاعر بالموت بعد ولادة النصّ وخروجه. ما أكبر هذه الرحمة؟!

المؤلم حقّاً هو أنَّ عدداً من الأُدباء يريدون أن يخضعوا الأَدب الإسلامي إلى مقاييس الغرب من كلاسيكية ومحاكاة، ورمانطيقية وعاطفة وخيال، واشتراكية وواقعية وحداثة وغير ذلك. وكلما نعق ناعق في الغرب قام من بيننا من يقول هذا هو الحق فاتبعوه واخضعوا له، حتى أصبح الغرب هو النموذج في كل شيء يتبعه التائهون الضائعون على غير هدى ونور، هو النموذج حتى في الأكل والملبس[1]!

أَليس لأَدبنا مقاييسه؟! أَليس لنا تصورنا وفهمنا وعقولنا؟! أَليس لنا رسالة في الحياة

---

(١) ويشير حديث رسول الله ﷺ إلى هذه التبعية الذليلة لضلال هؤلاء. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتتبُعنَّ سُنَنَ الذين من قبلكم شِبْراً بشبرٍ أو ذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جُحْر ضَبٍّ لسلكتموه»** قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: **«فمن؟»** صحيح الجامع الصغير للألباني: (ج٥)، (ص١٢)، (حديث: ٤٩٣٩). رواه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي سعيد، ومالك عن أبي هريرة.

ترسم لنا درب الأدب والاجتماع والسياسة والاقتصاد، درباً لكلّ ميدان في الحياة؟! لقد قتلنا مواهبنا وعطّلنا طاقاتنا بهذه التبعية الذليلة والتيه المظلم!

تختلف نظرة الإسلام للأدب عن نظرة الفلسفات الغربية من يونانية ورومانية، وكلاسيكية ورومانطيقية وواقعية، وحداثية وبنيوية اختلافاً واسعاً[1].

وأساس هذا الاختلاف هو الاختلاف الواسع في النظرة إلى الحياة والكون. وينتج عن هذا الاختلاف الاختلاف الواسع في النظرة للإنسان، وفي فهم فطرته ومهمته في الحياة الدنيا، ومصيره بعد الموت، وفهم وسعه وقدراته، ومعدنه وجوهره: ويتبع ذلك اختلاف واسع أيضاً في تقرير مصادر المعرفة للإنسان، ومصادر العلم. فاختلف مفهوم «علم المعرفة Epistemology » اختلافاً واسعاً. إن أول مصدر للعلم الحق في نظر الإسلام هو الوحي من عند الله، الوحي الحق الذي جاء به النبيّون والمرسلون الذين خُتموا بسيّد المرسلين محمد، ﷺ. وتلك المذاهب تنكر هذا الحق المبين، وبعضها يحرّفه.

الإسلام يربط الإنسان بربِّه وخالقه الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى كلها، يربطه ربطاً يقوم على عهد وميثاق يلتزمه المؤمن، يلتزمه على ولاء خالص لله لا يشرك به أحداً. ومن هذا العهد الثابت مع الله ينبثق كل عهد آخر في الحياة الدنيا، ومن هذا الولاء ينبثق كل ولاء آخر في الدنيا. ومن هذا كله ينشأ معنى الحبّ الحقّ ليكون حب الله ورسوله هو أعظم حبّ في حياة المؤمن، ومن هذا الحب الأكبر ينشأ كل حب آخر في الحياة الدنيا. وإذا انحرفت عهود الإنسان أو انحرف الولاء و انحرف الحبّ عن العهد مع الله أو الولاء لله أو الحبّ لله ولرسوله، فسد العهد والولاء والحب، وضلّ الإنسان وتاه، ونشأت المذاهب والفلسفات. ويمضي المؤمن على عهده وولائه وحبه على وعي ويقظة لا على خدر وسكر، يمضي على وعي مشرق صادق للألوهية والربوبية، ولحقيقة عبوديته لله رب العالمين، ربّ

(١) يُرَاجع بحث: «موقف الأدب الإسلامي من الحداثة» الذي قدّمته في ندوة الأدب الإسلامي التي دعت إليها رابطة الأدب الإسلامي واتحاد الجامعات الإسلامية في جامعة عين شمس بالقاهرة خلال الفترة: (٢٣-٢٥)/٤/١٤١٣هـ الموافق (٢٠-٢٣)/١٠/١٩٩٢م. والذي أصبح الآن جزءاً من كتاب «تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها». في طبعته الثانية.

العـرش العـظيم، وعلى وعي للأمانة التي يحملها في الحياة الدنيا، ولحقيقة المصير بعد المـوت، وعـلى وعي وتصـديق بالجنة والنار، والبعث والحساب، فيرتبط الإنسان المؤمن بالكون أوسع ارتباط، ارتباطاً يمتدّ من الدنيا للآخرة، ليرى آيات الله الممتدة رؤية تصديق وإيمان وتـوحيد، فيخشع وينيب، ويزداد إيماناً ويقيناً، ويصبح هو الإنسان القوي على الأرض بالرسالة التي يحملها.

هذا الإنسـان بهذا الإيمان والتـوحيد، بهذا الـوعي والعلم، بهذا العهـد والولاء والحب، بهذا الخشوع والإنابة، بهذه القوة والرسالة التي يحملها، هو الإنسان الذي كرّمه الله وأكـرمـه بالأمـانـة التي حملها، والخلافة التي أنيطت به، والعمارة التي أمره الله بها، والعبودية لله رب العالمين. العبودية التي خُلِق لها ليكون بها عزيزاً في الحياة الدنيا، ناجياً في الدار الآخرة. ويجمع هذا التصوّر كله ويفصّله منهاج الله ـ قرآناً وسنة ـ كما جاءا وحياً على محمد ﷺ باللغة العربية بياناً معجزاً جليّاً مُيَسَّراً للذكر.

من هذا الإنسان المؤمن، وهو يحمل هذا الخير العظيم، يخرج الأدب الإسلاميُّ نثراً وشعراً ليسهم الأدب عندئذ في أداء الأمانة وحق الخلافة وواجب العمارة وعزّة العبودية لله رب العالمين. من هذا الإنسان يخرج الأدب الإسلامي، ومن هذا التصوّر وحده، دون انحراف عنه أو اصطدام.

إن هذا الإنسان هو غير الإنسان الذي تحدّث عنه لودفيج فيورباخ وماركس وإنجلز وكمال أبوديب وأدونيس وغيرهم ممن أرادوا أن يجعلوا من الإنسان مركزاً للكون أو إلهاً، أو جباراً مفسِداً في الأرض ظالماً مجرماً شقيّاً. هذا الإنسان المؤمن يخرُج منه أدب واحد هو أدب الإسـلام، وإنسـان المـادية الجـدلية والمـادية التـاريخية والـرأسمالية، وإنسان الاشتراكية والديمقراطية، وإنسان الحداثة والبنيوية، تخرج منه آداب شتى تُسْهم في شقاء الإنسان في الدنيا والآخرة.

إن هذا الإنسان المؤمن هو حاجة البشرية كلها، وأدبه الصادق، هو حاجة البشرية كلها، تتطلّع الدنيا إلى الآفاق تنتظر إشراقة عودته ليعود الخير والصدق والأمانة، وليسعد الطفل والفتى والشيخ، والرجل والمرأة، ليسعد الإنسان. من أجل ذلك كان الجهاد في

سبيل الله، ومن أجل ذلك كان الأدب الإسلامي أدب الجهاد، في سبيل الله تفتحت له كل ميادين الكـون، كل موضـوعـاته، ليرتفع بالبيان الرائع إلى ذروة الأدب الإنساني، وليكون هو الأدب الحق في الحياة الدنيا:

عِـزَّةٌ فيـه! إنـه أدبُ الإسـ	ـلام، غَرْسُ الإيمان، رَيُّ العُهُودِ
شَـرَفُ القَـول مِنْ هُدَى الحـ	ـقِّ وسِحْرُ البَيَانِ بالتَّوحيد
أدبٌ يَرْتَـوي البيـانُ لَدَيـهِ	مِنْ حَديثٍ، مِنَ الكتابِ المجيد
هُـوَ في الكَـوْن آيةٌ حَـوَّم المجْـ	ـدُ عليها فعَادَتْ روائعاً من نشيد
كـم جـلاه على الميـادين فُرْسَا	نُ وغَنَّتْه وثْبَةٌ مِنْ صِيدِ
فانْهضي يا روائِـع الشِّعْر هـذي	سَـاحَةُ زَغْـردي لهـا وأعِيدي
أنْتَ في ذِرْوة البيـانِ عَطَـاءٌ	زَاخِـرٌ بالهُـدَى وأبحر جُودِ[1]

هذا هو أدب الإسلام! ومن هذا الأدب يخرج الشعر ليكون أدب العلم والوعي والصدق والحق، أدب اليقظة الدائمة، لا سكرَ ولا خَدَر، ولا ظنون ولا جهل أبداً، ولا أساطير ولا خُرافات.

وإذا كان أدب الإسلام هذا يختلف عن سائر الآداب بما ذكرناه من: اختلاف النظرة للكون والحياة، للإنسان، للعلم والمعرفة ومصادرهما، فإنه يختلف اختلافاً واسعاً كذلك مـن حيثُ النظرة للماضي والتراث والمستقبل. وحسبنا أن نقول إن كثيرًا من المذاهب تريد قطع الصلة مع الماضي على تناقض واضطراب. والإسلام يصل الأجيال كلها بالحق الذي يدعو إليه ويطرح الباطل، ويصل الدنيا بالآخرة.

وأبرز مظاهر التناقض في تلك المذاهب الأدبية ينكشف حين تدعو تلك المذاهب إلى قطع الصلة بالماضي، ثم تأخذ بالأسطورة والخرافة والأوهام وتجعل ذلك محوراً رئيساً للأدب تحمله من تراث الماضي، من تراث اليونان والرومان، كما يذكر ذلك سوسمان، وكما

---

(١) من قصيدة مهرجان القصيد التي ألقيت في مؤتمر الأدب الإسلامي في لكهنو في الهند خلال الفترة: (٢٥ ـ ٢٧) ربيع الثاني ١٤٠٦هـ، (٧ ـ ٩) كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦م.

يكشفه ليفي ستراوس ورولان بارت وغيرهما من رجال هذه المذاهب. والأدب في الإسلام يرفض الأسطورة والخرافة والوهم، ويقوم على الحق واليقين. إنه يؤمن بالغيب الحق الذي يأتي من عند الله. ولا تظهر الأساطير والخرافات في الأدب والفن إلا عندما ينقطع الإنسان عن مصادر العلم اليقين، علم الغيب الحق من عند الله. الأدب الإسلامي يصل الأجيال كلها صلة أرحام وصلة رسالة وتاريخ تمتد مع الحياة. ويرعى الأسرة وروابطها، ويحدّد دوراً كريماً للرجل ودوراً كريماً للمرأة على طهر صلة وسكنٍ وتعاون. وتلك الآداب تقطع الأجيال وتهدم الأسرة وتدعو إلى الفاحشة والجنس الملوث والشهوة المحرمة تحت شعار باطل كاذب من مساواة المرأة بالرجل.

وتلك الآداب تأخذ بتناقضها عن الماضي الأسطورة والخرافة تقليداً أعمى، والإسلام يرفض التقليد الأعمى والاتباع الجاهل، ويدعو إلى الإيمان والعلم والوعي. والإسلام يرى في سنن الحياة والكون آيات بينات لله. وتلك المذاهب تنكر السنن الربانية وتحاول بجهلها مصادمتها.

وتعلن تلك المذاهب الحداثية حربها على اللغة، وتدعو إلى إفراغ الكلمات من معانيها، وإلغاء المعاجم، وإلغاء علم المعاني والنحو، ويسمون هذا وغيره نظرية «الشاعرية» ليجعلوا منها تيهاً واسعاً يضيع فيه الإنسان على وهم وضلالة. والإسلام أساسه منهاج الله لساناً عربياً بيّناً لا عوج فيه. تنهض اللغة العربية وهي كاملة النضج غنيّة الثروة ليختارها الله لغة قرآنه المعجز.

من هذا الاختلاف الواسع بين نظرة الإسلام للأدب والفنّ وللشعر كذلك وبين نظرة مذاهب الحداثة، ينشأ الاختلاف الهام الرئيس بين النظرتين في النمو والتطور والتجديد. والإسلام، والأدب الإسلامي، يدعو إلى النمو والتطور والتجديد في الجهد البشري على أن يظل محتفظاً بجذوره وساقه وامتداده، وتنمو الثمار والزهور والأوراق، وتتجدّد الحياة فيها ويغني العطاء وتزكو الثمار، وتتجدّد من شجرة إلى شجرة حتى لا يكاد يحصرها عدّ[1]. ينمو الأدب الإسلامي كما تنمو الشجرة الطيبة، فهو كلمة طيبة:

---

(١) يراجع كتاب «تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها» للمؤلف ـ الباب الثاني: النمو والتطور بين نهجين.

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرةٍ طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكّرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتُثّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

إذا كان هذا هو موجز الاختلاف بين الأدب الإسلامي وبين أدب المذاهب الأخرى[1]، فكيف نطبق على الأدب الإسلاميّ مقاييس تلك المذاهب وموازينه، وكيف نقيس بمعاييرها أو ننهل منها في تبعيّة عمياء ذليلة؟ ألسنا نحن المأمورين أن نُبلِّغ ديننا ورسالةَ ربّنا إلى الناس؟ ألسنا إذن نحن المأمورين أن ننقل عطاءنا وأدبنا إليهم ومقاييسنا وموازيننا، ليتعلموا منها ويخرجوا من ظلمات الضلالة وويلات الجريمة والحروب والفتنة والفساد، وسعير الشهوات ولهيب الأهواء، قبل أن يدمّروا العالم بالجريمة الممتدّة والظلم المريع؟!!

من هذا التصور الذي عرضناه قبل قليل بإيجاز عن مفهومنا للشعر والأدب ومنطلقه، من هذا التصور الذي ينبع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يجب أن تخرج نظرياتنا عن الأدب والشعر والنثر. لذلك أعرض هنا التصوّر الذي آراه من خلال كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، ومن خلال تجربتي مع الشعر والأدب في رحلة طويلة، ومن خلال الواقع الذي نُعاني اليوم مرارته وآلامه. أعرض من خلال هذا كله أساس النظرية في الأدب الإسلامي لنبيّن كيف يتولد النصّ الأدبي، أو التعبير الفني، وما هي سماتُ الجمال فيه وما هو مداه وميدانه، بصورة موجزة هنا مفصّلة في كتبها الخاصة بها.

إن هذه القضيّة احتلت مساحات واسعة في تاريخ الدراسات الأدبية والنقد والفكر. ولقد امتدّ التصوّر للجمال والأدب والشعر منذ أفلاطون (٤٢٩ - ٣٤٧ق.م). وانتقلت أفكار اليونان إلى روما ثم إلى أوروبا في تاريخ طويل. وقويت دراسة الجمال في أوروبا في القرن الثامن عشر عند بومجارتين (١٧١٤ - ١٧٦٤م)، وديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤م)،

---

(١) يراجع كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، وكتاب الحداثة في منظور إيماني، للمؤلف لدراسة المذاهب الأدبية الغربية والحداثة.

وكانت (١٧٠٤ ـ ١٨٠٤م) وفيتشه (١٧٦٢ ـ ١٨١٤م)، وشوبنهور (١٧٨٨ ـ ١٨٦٠م). وامتدت النظريات في الجمال في أوروبا على غير استقرار. فتيوفيل جوتييه (١٨١١ ـ ١٨٧٢ Teophile Gautier) من أهم دعاة الفن للفن. وهو القائل: «لا وجود لشيء جميل حقاً إلا إذا كان لا فائدة له. وكلّ ما هو نافع قبيح»[1] ثم تلا ذلك إدجار ألن بو (١٨٠٩ ـ ١٨٥٢م) متأثر بفلسفة كانت وهيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١م) وبندتو كروتشيه الإيطالي (١٨٦٦ ـ ١٩٥٢م) متأثراً بهيجل. وت. س. اليوت Thomas Sterns Eliot . وتبع رجال الحداثة اليوم نظريات متضاربة متناقضة، في مذاهب متتالية متصارعة، حتى انتحر بعض رجالها وجُنّ آخرون، واشتركوا كلهم بنشر الفتنة والفساد في الأرض. هذه الرحلة لتاريخ دراسة الجمال حملت صراعاً قوياً بين مختلف النظريات. فهذا يغلّب العاطفة على الفكر، وهذا يغلب الفكر، وهذا يعتبر الواقع هو العامل الأول، وذاك يمجد الإنسان نفسه، وآخر يحدّد دور الإنسان أو يلغيه في مرحلة ما، وبعضهم يرفع من النزعة الإنسانية وغيرهم يخفضها. ولكنهم جميعاً حَطُّوا من قيمة الإنسان وقيمة الجمال حين عزلوه عن الإيمان والتوحيد.

كيف يولد النص الأدبي وكيف تولد معه سمات الجمال ؟![2]

الفطرة في الإنسان، كما يمكن أن نفهمها من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، هي مستودع طاقات الإنسان وغرائزه وميوله وأهوائه. وأهم هذه القوى هي قوة الإيمان والتوحيد التي غرسها الله في فطرة بني آدم، حتى لا يكون لأحد حجة أبداً. وجاءت آيات الله في الحياة والكون لتغذّي هذا الإيمان رحمة من الله، ثم جاءت الرسل والكتب المنزلة لتُختَم برسالة محمد ﷺ وبالقرآن والسنة، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

---

(١) د. محمد غنيمي هلال. النقد الأدبي الحديث (ص: ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٢) يراجع كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته. وخاصة الفصل الثاني من الباب الثاني: الموضوع الأدبي الفني، والباب الخامس: الإسلام والجمال.

فالإيمان والتوحيد هما القوة التي توازن بين سائر القوى والميول والغرائز والشهوات، وهما النبع الذي ترتوي منه هذه القوى كلها ريّاً عادلاً يحفظ عليها الموازنة والعدالة. ومادامت كل قوة من هذه القوى مرتبطة بالإيمان مرتوية منه فهي قوة خير وتقوى، فإذا انعزلت أو جفّ النبع أصبحت هذه القوّة أو تلك شراً وفجوراً[1].

﴿**فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّها**﴾. [الشمس: ٨، ٩]

ومن بين القوى الهامة في فطرة الإنسان قوتان رئيستان تعملان مع سائر القوى والميول والغرائز مما نعلم أو نجهل. هاتان القوتان هما: العقل والفكر، والعاطفة والشعور. والقوة الأولى هي قوة التأمل والتدبّر والتفكير، والدراسة وجمع المعلومات والتحليل. ولنصطلح عليها هنا بقوة «الفكر». والقوة الثانية هي قوة الإحساس والشعور. إنها القوة التي تدفع الدمعة إلى العين، والخفقة إلى القلب، أو تحرّك الرحمة أو القسوة، والحنان أو الغلظة. ولنصطلح على هذه القوة «بالعاطفة».

هاتان القوتان تعملان معاً في وقت واحد مع كل عطاء يُقدِّمه الإنسان. ولا يختلف الأمر إلا بدرجة هذه القوة أو تلك مع هذا العطاء أو ذاك. ففي عطاء يغلب قدر الفكر دون أن يموت الإحساس والشعور ولكنه يضعف ويبهت. وفي عطاء آخر تغلب العاطفة ولكن يبقى للعقل دوره مهما قل أو ضعف. إنهما إذن قوتان رئيستان في فطرة الإنسان تعملان معاً على درجات متفاوتة بين عطاء وعطاء.

ومع مسيرة الإنسان في الحياة يمرُّ بأحداث وتجارب تترك آثارها في الإنسان، في فكره وعاطفته على سنن لله ماضية. وإذا شبّهنا القوتين الفكر والعاطفة بقطبين كهربائيين أو مغناطيسيين، فيمكن أن نشبه كثر التجارب والأحداث والعلوم وحصاد الإنسان في الحياة بالشحنات الكهربائية التي تتجمع على هذا القطب وذاك. ومع مسيرة الحياة ونمو حصاد الإنسان تزداد هذه الشحنات على القطبين. ومع المؤمن تظل القوتان الفكر والعاطفة،

---

(١) يراجع من أجل تفصيلات أوسع عن الفطرة والميول والقوى التي تعمل فيها كتاب «التوحيد وواقعنا المعاصر» وكتاب: «النية في الإسلام وبعدها الإنساني»، للمؤلف.

وتظل الشحنات، ترتوي وتتغذى من ريّ الإيمان والتوحيد، كما تتغذى سائر القوى على موازنة خاضعة لسنن ربّانية.

وعندما يتحرّك الإنسان للعمل تتحرّك فيه قوة هامّة أيضاً هي النيّة. والنيّة هي في حقيقتها العزيمة والقصد والتوجه. ولا عمل بغير نيّة. فإذا كانت النيّة لله فإنها هي القوّة التي تفتح نبع الإيمان والتوحيد ليرتوي منه الفكر والعاطفة وسائر القوى العاملة في فطرة الإنسان مما نعلم أو نجهل. وفي الوقت ذاته تمرّ التجارب والأحداث وكل حصاد الإنسان على النيّة وعلى الإيمان والتوحيد لتُغسَل وتُنقّى وتصفّى، ثمَّ تستقرّ على قطبي الفكر والعاطفة شحنات تنمو عليها وتزداد كأنّها تنتظر لحظة محدّدة تنطلق معها. وحين تحين هذه اللحظة المحدَّدة على قدر من الله سبحانه وتعالى، وحين تكون الشحنات هنا وهناك نمت واقتربت من بعضها للتفاعل، في تلك اللحظة تتحرَّك «الموهبة»، القوّة الكامنة في فطرة الإنسان وفي كيانه، تتحرَّك هذه القوة الدافعة وتدفع التفاعل بين مجموعتي الشحنات على القطبين، فتنطلق الومضة الغنية على شكل عطاءٍ فنيّ أو علمي، على حسب الموهبة التي أودعها الله في هذا الإنسان أو ذاك. تنطلق الومضة عملاً غنياً يحمل معه عناصر الجمال المؤثر في النفس المتلقّية المؤمنة: نور الإيمان وإشراقة النيّة، وغنى التجربة والزاد والحصاد في الصياغة والأسلوب وغيرهما، وطهارة الفكر والعاطفة، وصدق الإحساس والشعور، وقوة الموهبة وإشعاعها، ليحمل هذا كله الجمال الحق المتصل بالكون، المتصل بالحياة الدنيا والآخرة، في لحظة من أعظم لحظات الإنسان المؤمن الذي منّ الله عليه بموهبة خاصّة تدفع عطاءً خاصاً. وعلى قدر ما تكون هذه العناصر كلها غنيّة تكون الومضة غنيّة بالعطاء والجمال. ومن الزاد والحصاد اللغة والثقافة والعلم.

إن هذه الومضة الغنيّة قد تدفع جولة عبقرية من الجهاد في سبيل الله، أو ممارسة إيمانية رائعة في ميدان من ميادين الحياة، أو نصّاً فنّياً من نثر أو شعر، يحمل روعة الجمال وصدق التأثير.

هذا هو الشعر وهكذا يتولد، وهكذا يحمل معه الجمال الرائع، والحسن الممتع، تتفاعل في إخراجه وولادته قوى متعدّدة تعمل على سنن لله ماضية: الإيمان والتوحيد، النيّة

وصدقها وإخلاصها، الفكر، العاطفة، الأحداث والتجارب والزاد والحصاد (وهذا يمثل الواقع والبيئة والتاريخ وغير ذلك)، الموهبة وأنواعها. إنها كلها تعمل معاً بطريقة ربّانية لاندرك منها إلا القليل القليل.

ومن هنا نستطيع أن نضع تعريف الأدب الإسلامي على النحو التالي:

«الأدب الإسلامي هو ومضةُ التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان، تمدُّها الأحداث والتجاربُ والزادُ والحصادُ بالشحنات التي تنمو على الفكر وعلى العاطفة، يروي هذه كلَّها الإيمانُ والتوحيدُ اللذان يطلق نبعَهُما صدقُ النيّةِ وإخلاصُها، حتى تحين اللحظة المحدّدة بقدر الله فتطلق الموهبةُ التفاعلَ بين شحنتي الفكر والعاطفة، فتنطلق الومضةُ الغنيةُ من هذا التفاعل عملاً فنياً ونصّاً أدبياً، تحمل معها عناصر الجمال الفني، ليشارك الأدبُ الإسلاميُّ الأمةَ المسلمةَ في الوفاء بأمانتها وأداء رسالتها وتحقيق أهدافها، وليسهم الأدب الإسلاميُّ في عمارة الأرض وبناء حضارة الإيمان، ولينقذ الإنسان من هلاك الفتنة في الدنيا وعذاب النار في الآخرة، خاضعاً في هذا كله لمنهاج الله ـ قرآناً وسنة ـ كما نزل به الوحي على محمد ﷺ بلسان عربيّ مبين».

فالنصّ الأدبي إذن مرتبط بصاحبه لا يمكن عزله عن صاحبه ولا عزل صاحبه عنه. فصاحب النصّ مسئول عن كل كلمة، مسئول في الدنيا ومسئول بين يدي الله في الآخرة. فالأدب الإسلامي هو أدب المسئولية.

لذلك كانت نظرية الجمال في الأدب الإسلامي وفي الإسلام تنبع من الإيمان والتوحيد:

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ أنه قال: **«إن الله جميل يحب الجمال»** (رواه مسلم والترمذي)[1].

ويرد في القرآن الكريم ألفاظ متعددة تشير إلى ظل من ظلال الحسن والجمال أو معنى من معانيه. ولكن لكل لفظة دلالة تتميز بها. فكلمة «زخرف وزينة» لفظتان عامتان لجميع أنواع الزخارف والزينة والجمال. فإذا كانت الزينةُ طُهْراً جاءت كلمة «الجمال» لتختصّ

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الكبر وبيانه حديث (٩١).

بذلك، وإذا كانت الزينة فساداً وشراً جاءت لفظة «الفتنة» لتحدّد ذلك. ومتعة الجمال هي متعة دائمة لأنها من متعة الإيمان. ومتعة الفتنة متعة عابرة تنتهي إلى شرّ وعذاب[1].

من هذا التصوّر نرى أن الجمال الفنيّ في الأدب يمثل جزءاً من نظرية الإسلام في الجمال الممتد في الكون كله، الممتد بين الدنيا والآخرة، فإذا هو نور وجمال وجلال. فمن هذا الجمال الممتد يقتبس الأديب المسلم الجمال الفنّي في نصّه الأدبي على الصورة التي عرضناها.

والعناصر الخاصة بالأدب، العناصر التي تهبه الجمال المؤثر يمكن أن نضعها في قسمين، قسم مرتبط بالنصّ ذاته، وقسم مرتبط بالإنسان. فالقسم المرتبط بالنص: الصياغة الفنية وخصائصها، الموضوع أو القضية التي يدور حولها النص، الشكل، الأسلوب. أما القسم المرتبط بالأديب الإنسان: الإنسان الأديب وفطرته وموهبته وسائر ما يرتبط به، والإنسان المتلقي والرأي العام والأمة التي يتفاعل معها الأديب بطاقته وفطرته وموهبته، ثمّ العقيدة التي يحملها الأديب ومدى صدقه معها، ومدى تأثيرها على العناصر السابقة[2].

وينبوع الجمال في الأدب الإسلامي هو العقيدة، الإيمان والتوحيد، وما يغذّي ذلك في كيان الأديب المسلم وينجيه في فطرته ويرعاه. وأهم ذلك الكتاب والسنة، ثمَّ آيات الله الممتدة في الإنسان نفسه، وفي واقعه وما فيه من أحداث، ثم آيات الله الممتدة في الكون. فالجمال في الأدب الإسلامي أصيل نابع من فطرة وحياة وتفاعل مع الكون. وبذلك ينبع من لغة غنية، ونفس غنية.

وكلّ عنصر من العناصر الفنية الخاصة بالأدب يعمل مستقلاً ليضيف شيئاً من الجمال، ويعمل في الوقت نفسه مع سائر العناصر حتى تصبح كلها عملاً متناسقاً يبني الجمال الفني. فإذا ضعف عنصر من هذه العناصر فقد النصّ شيئاً من جماله.

---

(١) تفصيل ذلك في الباب الخامس ـ الفصول: الثالث والرابع والخامس، من كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته.

(٢) الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته (ص: ٤٩ ـ ١٤٥).

والجمال الفني في الأدب الإسلامي له عاملان: عامل دافع يفتح ينبوع الإيمان والتوحيد ليروي سائر الطاقات وجميع العناصر، وهو «النيّة». وعامل منظم وموجّه وهو «الموازنة»، حتى لا تطغى العناية بالصياغة مثلاً على سائر العناصر، فيكثر السجع الممل المتنافر، أو يطغى الفكر حتى تقلّ العاطفة، أو تنعزل التجارب والأحداث، إلى غير ذلك من أشكال الموازنة الأمينة.

ويمكن أن نصوّر الجمال الفنيّ في صور أربع مترابطة متناسقة: النغمة، والجرس، الصورة، الحركة، الموضوع. وكلّ صورة تضيف قدراً من الجمال الفني.

والجمال الفنيّ يرتبط بالمتعة التي يقدّمها للإنسان. والمتعة في الجمال الفني في الأدب الإسلامي متعة ممتدّة غنية. إنها متعة حلال طاهرة. أما غيرها فهي متعة عابرة، لا تكاد تعيش إلا مع فطرة منحرفة وطبيعة مريضة.

والجمال الفنيّ في النصّ الأدبي يرتبط بالحرّية والأمن في ذات الإنسان، وفي داخله، وكذلك في واقعه الذي يتفاعل معه. فهي حرية نابعة من ذاته وفطرته، مرتبطة بعقيدته، بالإيمان والتوحيد، وكذلك الأمن الذي يشيع في نفسه طمأنينة وبشراً. أو هي حرية وأمن يعيشهما في واقعه أو يجاهد لبنائهما في واقع الإنسان، لأنهما حق طبيعي، ومصدر غني من مصادر الجمال النابع من الإيمان والتوحيد.

هذه لمحة موجزة سريعة عن: عناصر الجمال الفني، ينبوعه ومصادره والعاملان المؤثران فيه، وصوره الأربع، وارتباطه بالمتعة والحرية والأمن، وامتداده في الحياة والكون، وبين الدنيا والآخرة.

وكذلك فإن الجمال الفنيّ والأدب كله يتأثر إلى حدّ بعيد بواقع الإنسان، بيئته، بالرأي العام، بالقوى المتحرّكة هنا وهناك ومدى تأثيرها على الأديب وإنتاجه. وهو إذن يتأثر بنفسيته ومدى تفاعلها مع هذه العوامل المتحركة في ذاته ومن حوله.

إن هذا التفاعل يتمّ على سنن ربّانية، يمكن أن ندرك بعضاً منها وتخفى علينا سُنن أخرى كثيرة لا يعلمها إلا الله. فحين نطرح تصوراً لا يمكن أن ندّعي إذن أنه هو التصوّر المطلق الشامل الذي جمع كل التفصيلات والدقائق. فهذا لا نطمع أن نبلغه. ولكننا نرسم

نهجاً نطمئن إلى سلامته لنسير عليه، ونحكم على سلامته بميزان أمين عادل. ثم تنمو التفصيلات مع المسيرة والمضيّ على النهج المحدّد، ونحن مطمئنون واثقون مادام ميزاننا هو منهاج الله، ندرس من خلاله واقعنا وعطاءنا ونهجنا.

فالأدب الإسلامي هو أدب الجمال. هو أدب الإنسان. هو أدب الإيمان. ويبدأ الجمال في نفس الإنسان، في داخله وذاته. فإذا لم يبدأ هناك فلن يستطيع أن يعطي جمالاً ولا أن يتذوّق الجمال الصادق أو يحسّ فيه.

والجمال في فطرة الإنسان يرتوي من الإيمان والتوحيد اللذين يتميزان بنقاط نوجزها هنا، لنرى جوهر الميزان الأمين الذي يحكم على النهج والمسيرة، ولنرى عظمة النبع الذي يرتوي منه الأدب الإسلامي:

١ ـ أن يعي المؤمن أن قضية الإيمان والتوحيد هي أخطر وأهم قضية في حياته، وأنها أكبر حقيقة في هذا الكون كله.

٢ ـ وأن يعي أن الانحراف عن الإيمان والتوحيد هو انحراف في الفطرة، ذلك لأن قضية الإيمان والتوحيد هي قضية الفطرة أولاً، فطر الله الناس كلهم عليها لتسقط حجة الكافرين والمنافقين. وتأتي آيات الله في الكون لتثبت الإيمان والتوحيد وتُنمِّيهُمَا، وتأتي الرسل والكتب المنزلة حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

٣ ـ أن يعي الإنسان حقيقة الألوهية والربوبية من خلال التصور الذي يعرضه منهاج الله ـ قرآناً وسنة ـ.

٤ ـ أن يعي الإنسان حقيقة عبوديته لربّه وخالقه الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى كلها، وذلك من خلال التصور الذي يعرضه منهاج الله.

٥ ـ أن يدرك الإنسان المؤمن حقيقة عهده مع الله إدراكاً ووعْياً، يجعل كلَّ عهد يرتبط به في الحياة الدنيا نابعاً من عهده مع الله، مرتبطاً به خاضعاً لشروطه.

٦ ـ أن يكون ولاؤه الأول لله رب العالمين، حتى لا يكون له ولاءٌ في الدنيا إلّا ولاءً نابعاً من ولائه الأول لله مرتبطاً به خاضعاً لشروطه.

٧ ـ أن يكون حبُّه الأكبر لله ولرسوله، ومن هذا الحبّ العظيم ينبع كل حب له في الحياة

الدنيا ويرتبط به ويخضع له.

٨ ـ أن يكون لجوؤه وخشوعه وتضرعه لله رب العالمين لا يشرك به شيئاً.

٩ ـ أن يعي ويدرك أن الإيمان والتوحيد يمثلان قضية تكاليف والتزام، وقضية مسئولية وحساب، وبذلك تكون قضية مفاصلة وحسم.

١٠ ـ أن يعلم أن تكاليف الإيمان والتوحيد وقواعد الالتزام والمحاسبة والمسئولية يعرضها منهاج الله ـ قرآناً وسنة ـ عرضاً مفصلاً لا يدع عذراً لمتفلّت من المسئولية.

١١ ـ أن يدرك أن عليه أن ينهض لهذه التكاليف والمسئوليات، فينهض لمصاحبة منهاج الله صحبة عمر وحياة لا تتوقف، صحبة منهجية بجدٍّ، وعزم، يأخذ أخذاً متكاملاً لا يأخذ جزءاً ويدع جزءاً. ذلك كله على قدر وسعه وطاقته التي سيحاسبه الله عليها، على قدر وسعه الصادق، لا وسعه الكاذب الذي يزعمه ويدّعيه ليتفلّت من المسئولية.

١٢ ـ أن يدرك أن عليه مسئولية الدعوة والبيان على نهج وخطة، على أن يقوم الجهد كله والنشاط كله والنهج والتخطيط على القاعدتين الكبيرتين: منهاج الله والواقع، والأسس الأربعة الرئيسة: الإيمان والتوحيد، منهاج الله، الواقع، الممارسة الإيمانية والتدريب عليها.

من هذا التصور يصل الأدب الإسلامي الماضي والحاضر والمستقبل نوراً يهتدي به الإنسان. ويصبح الأدب قوّة في رسالة ودعوة، وعدة في وثبة وجهاد، وعزّة في أمن وسيادة، وحاجة ملحّة للإنسان على الأرض.

من هذا التصور يحمل الشعر خصائصه الفنية كلها. ويصبح الشعر نبتة نامية من غراس اللغة العربية، نما بنموّها ونضج بنضجها. ولم تكن قواعده بلاغاً من لجنة أو رأيا لصاحب هوى. وجاء الإسلام ليرويه الريّ الغنيّ، وليرسم له دربه وأهدافه، وليفتح له ميادين الحياة وآفاق الكون.

لذلك كان الوزن والقافية جزءاً رئيساً من خصائص الشعر الفنيّة، لأنهما نموا معه من خلال تاريخ طويل حتى نضج شكله واستوى، وفتح مجالات واضحة لتغيّر الوزن والقافية، مجالات كافية لانطلاقة غنية إيمانية.

إن المعـاني والصـور والمـوضوعات التي يمكن للشعر أن يطرقها في اللغة العربية يستطيع النثر أن يطرقها كذلك. ولكن الشعر يحمل معه عناصره الفنيـة التي تهبه الجمال وتميّزه عن النثر. وكذلك النثر يحمل معه عناصره الفنية التي تهبه الجمال ليرقَى به إلى مستوى الأدب وليتميّز بها عن الشعر. ومن أهم عناصر التمايز الموسيقى والنغمة. فللشعر نغمته الخاصة به، وللنثر نغمته الخاصة به. ونغمة الشعر لم تأت مصادفة ولم تكن قرار لجنة ولا اختراع الخليل بن أحمد الفراهيدي. إنها ثمرة تاريخ طويل ونموٍّ هادىء طبيعيّ، وهبت اللغة العربية هذه النغمة الحلوة الرائعة تنبيء عنها الأوزان والقافية، حتى سمّى أهل اللغة وأصحابُها هذا الكلام شعراً.

إن اللغة العربية لغة متميّزة عن لغات الأرض كلها. إنها أعظمها وأجملها وأغناها وأقواها. تحدّت الأعاصير والمؤامرات والجرائم خلال عصور طويلة وانتصرت. إنها تتميز باللفظة والتعبير، والصياغة والتركيب. فلكل لفظة خصائص أربع: المعنى، الظلال، النغمة والجرس، القدرة على الاتصال والارتباط. فمن خلال التعبير والتركيب تتشابك المعاني والظلال والنغمات لتهب النصّ الجمال الفنيّ عندما تدفعه ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة. من هذا التشابك ينبثق جمال لا تجده في أي لغة أُخرى. وللنثر جماله الفنيّ الرائع الخاص به، وللشعر جماله الفنيّ الخاص به، وسيظل في اللغة العربية النثر نثراً بخصائصه التي حملها من خلال تاريخ طويل، وسيظل الشعر شعراً بخصائصه كذلك.

وكلمة الشعر في معاجم اللغة ترتبط بالعلم والفطنة والعقل، لا بالخدر والغيبوبة والأساطير. ففي قاموس المحيط للفيروزآبادي: «والشعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية».

لقد كان الوزن والقافية شرفاً لهذا النوع من القول. وسيبقى شرفاً له ما بقيت اللغة العربية. ولا يمكن اعتبار الشعر الحديث، المنثور وصاحب التفعيلة شعراً أبداً. إنه، إذا استطاع أن ينهض لمستوى الأدب فهو نثر لا علاقة له بالشعر.

الوزن والقافية عند الشاعر المتمكن من اللغة مرشدان هاديان لجواهر اللغة ولآلئها. إنهما يفـردان اللغـة كلهـا للشاعر، ويفتحان له كل أبوابها، وينثران أمامه كل جواهرها

ودررها، ثمَّ يرشدانه إلى الأَعلى الأَعْلى، والأَصفى الأصفى، ليأخذ الشعرُ جماله الفنيّ المتميّز. الوزن والقافية عون للشاعر الحق لا عقبة أمامه، وشرف للشعر لا عيب فيه.

على الشاعر اليوم أن يعرف لغته أولاً فلا يظل غريباً عنها. عليه أن يعيد انتسابه إلى لغة القرآن بعد هجر طويل وغربة طويلة. عليه أن يقطع غربته قبل أن ينزل ميدان الشعر فيؤذي ويسيء. عليه أن يجدِّد هويته وأصالته، لينساب منه الشعر انسياباً، وليهديه الوزن والقافية إلى أجمل أسرار اللغة وأحلى معانيها وألفاظها وأنغامها.

والأدب الإسلامي يجب أن يتقدّم للعالم عزيزاً قويَّ الثقة بنفسه وزاده ورسالته، ليقدم النظرة الإيمانية للأدب ونظريته في مختلف الميادين في حياة الإنسان، ليعلّم البشرية جمالاً جديداً للأدب، وحلاوة جديدة لجولاته، وأهدافاً كريمة تنشد سعادة الإنسان.

ولقد عرضنا بعض النماذج من التصورات التي نطرحها في هذا السبيل، موجزة هنا مفصلة في بعض كتبنا: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، الحداثة في منظور إيماني، تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلاميّ منها. ولكننا نودّ هنا التأكيد على قضية متميزة في ميدان الأدب، ألا وهي قضية الملحمة.

لا يوجد لدينا اليوم تصور خاص للملحمة في الأدب الإسلامي. ومازال الأُدباء والجامعات يخضعون للتصوّر الموروث عن اليونان والرومان. ونحن نرى أن هذا التصور مرفوض من جذوره في الأدب الإسلامي ديناً وعلماً وعقلاً. ولكن الأدباء لم يطرحوا تصوراً جديداً، إلا ما قدَّمتُه في: كتابي الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته وفي مقدّمة بعض الملاحم مثل: ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرى، ملحمة الأقصى وغيرهما، وكذلك فيما دار من حوار حول هذا الموضوع في بعض الصحف. وموجز ذلك أن كلمة ملحمة هي ترجمة خاطئة لكلمة (Epic) الإنجليزية ذات الأصل اليوناني. والترجمة الأصح هي: «الأسطورة أو الخرافة» وكلمة الملحمة نأخذ معانيها من المعاجم ومن أحاديث رسول الله ﷺ. ولذلك يجب الانطلاق بتصور إسلامي للملحمة يقوم على ما يلي:

١ - فصل الملحمة عن التصور اليوناني الوثني وأدبه وفلسفته ولغته.

٢ - أن ينبع تصورنا للملحمة من طبيعة لغتنا وتاريخنا وقواعد ديننا.

٣ ـ مفارقة الأساطير والخرافات والأوهام واعتماد الحق والصدق وما يقوم عليهما من أحداث في تاريخنا الإسلامي وحقائقه.

٤ ـ أن لا يكون الطول الذي يتجاوز آلاف الأبيات شرطًا للملحمة الإسلامية وحسبنا أن نتفق على الحد الأدنى من الأبيات الشعرية مع سائر الخصائص الفنية، حتى تنبع الملحمة من حقائق التاريخ الإسلامي وطبيعة اللغة العربية وقواعد منهاج الله.

٥ ـ لابد من أن يكون للملحة الإسلامية أهداف مُحدَّدة تستحق هذا الجهد الكبير من الشاعر الأديب. وتتحدد الأهداف على أساس الإيمان والتوحيد، ومنهاج الله قرآناً وسنة، والحاجة التي يقرّها منهاج الله في واقعنا، لتصبَّ جهود الأمة كلها في معركتها الحالية، معركتها الشرسة، بعد أن تداعت عليها أُمم الأرض تداعي المجرمين الجشعين، تداعي الأَكلة على قصعتها، ولتساهم الملحمة الإسلامية في بناء الجيل المؤمن الواعي حتى لا يكون غثاء كغثاء السيل:

فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأُمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**» فقال قائل: ومن قِلَّةٍ نحن يومئذ؟! قال: «**لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل. ولينزعنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن**» فقال قائل: وما الوهَن؟ قال: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**»

[رواه أبوداود في سننه كتاب الملاحم (٣١) باب (٥) حديث (٤٢٩٧)].

وكذلك لتساهم الملحمة الإسلامية في تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين، وفي الإقبال على الآخرة، وفي الجهاد في سبيل الله كما فرض الله، وفي جمع كلمة المؤمنين على لقاء المؤمنين، وإيقاف التنافس على الدنيا، والتحاسد والتباغض:

فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زَوَى لي الأَرض فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أُمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطيتُ الكنزين الأَحمر والأَصفر. وإني سألت ربي لأُمتي أن لا يهلكها بسَنَةٍ عامة وأن لا يسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال لي: إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَد. وإني أعطيت لأُمتك أن لا أُهلكهم بِسَنَةٍ عامة، وأن لا أُسلطت عليهم**

عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يُهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً»

[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. كتاب الفتن (٣٤) باب (١٤) حديث (٢١٧٥)].

إذن وضحت مهمة الأدب الإسلامي ونظريته ونهجه، ومهمة الشعر ونظريته ونهجه، والملحمة الإسلامية ونظريتها ونهجها، إذا كانت أُمتنا تريد النجاة حقاً، وتريد العزة والنصر، فقد رسم الله الدرب إلى ذلك كله.

ولكن يبقى هنالك أسئلة يدور حولها خلاف بين الأدباء اليوم. منها مصطلح الأدب الإسلامي. ولن أخوض في هذا الموضوع كثيراً بعد أن أوضحت رأيي في عدد من الصحف والمجلات حين دار حوار عن ذلك. ولكنني أقول إننا يجب أولاً أن نتفق على جوهر هذا الأدب وحقيقته، ومَهَمَّتِه وأهدافِه، وخصائصه الفنية والفكرية. ثمَّ بعد ذلك نتفق على المصطلح هذا أو ذاك.

أعتقد أني أوضحت جوهر هذا الأدب الذي نتحدث عنه وطبيعته وخصائصه وأهدافه وغير ذلك في كتبي التي ذكرتها قبل قليل، وفي مقدمة بعض الدواوين والملاحم وغيرها. وأعتقد أنني أوجزت هنا ما فصلته هناك.

الأدب الإسلامي ليس شيئاً نبتدعه اليوم. ولكنه الأدب الذي انطلق مع دعوة محمد ﷺ، دعوة الإسلام الخاتمة. وهو الأدب الذي يلتزم بالتصور الذي يعرضه منهاج الله، والفكر والنهج. وهو أدب له نهجه الممتد لا يقف عند بيت أو قصيدة أو عمل واحد. إنه عطاء الأديب المؤمن المسلم الملتزم أولاً، الذي ينطلق من فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، ومن القوى التي غرسها الله فيها، ترتوي من ريّ الإيمان والتوحيد، مادامت الفطرة سليمة لم تنحرف أو تفسد، هذا الأدب هو أدب إنسانيٌّ عالمي لصدوره عن فطرة الإنسان، عن الإنسان السويّ الذي خلقه الله ليبتليه في هذه الحياة الدنيا. من هذه الأصالة الإنسانية اكتسب أصالته وإنسانيته وعالميته، ومنها أيضاً اكتسب طهارته، ومن رساله الإيمان والتوحيد، ومن المسئولية والأمانة، اكتسب نهجه وأهدافه ومسئوليته.

ابتدأ هذا الأدب مع انطلاقة الدعوة، وظلّ مستمرّاً يضعف ويقوى، وسيظل

مستمرّاً يقوى بقوة الأمة المسلمة ودعوتها، ويضعف بضعفها، لا يستطيع أحد أن يزيله. ولكن ستظل سائر نماذج الآداب وأجناسها، موجودة كذلك في الميدان تصارع، والأدب الإسلامي يصارع أيضاً ويجاهد. وكلُّ أدب سيظل يدعو إلى فكره ورسالته، على سنن لله ماضية وابتلاء حقّ.

أسئلة كثيرة ستظل تدور حول هذا المصطلح للأدب الإسلامي. وربّما تقع بعض المغالطات أثناء الحوار بين مختلف وجهات النظر. وقد أثار الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك عدداً من الأسئلة حول هذا المصطلح في مقاله: «مصطلح الأدب الإسلامي» الذي نشرته مجلة الدارة في عددها الثالث للسنة الثامنة عشرة سنة ١٤١٣هـ. ولقد كان البحث هادئًا وأثار قضايا جوهرية أثارتها في نفسه، كما يبدو، الكتب التي اختارها حول الأدب الإسلامي، وأبدى ملاحظات جيدة كما جاء في الصفحة (١٠٧) من المجلة حول التقاط نماذج من الآداب الأخرى لتنسب إلى أدب الإسلام. ولكن هنالك قضايا أخرى أثارها، وأثارها غيره تحتاج إلى إيضاح.

إن الحكم على مفهوم الأدب الإسلامي، أو أي مصطلح آخر يلتزم بالخصائص والنهج والأهداف، لا يتوقف عند آراء الأدباء السابقين أو المعاصرين ولكننا نردّ المفهوم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ردّاً خاضعاً لشروط: الإيمان والتوحيد، العلم بمنهاج الله، العلم بالأدب، ووعي الواقع. فما وافق كتاب الله وسنة رسوله وقواعد اللغة العربية وخصائصها قبلناه إذا كان باللغة العربية، وما خالف ذلك رددناه.

والنقطة الثانية التي أشعر أنها تختلط أثناء الحوار هو عدم التفرقة بين إخراج النصّ من دائرة الأدب الإسلامي، وإخراج الأديب من دائرة الإسلام. هاتان قضيتان منفصلتان. فقد نرفض النصّ في ميزان الأدب الإسلامي، ولكن لا نكفّر الشاعر أو الأديب في ميزان الإسلام. فالتكفير قضية تتحدّد بقواعد شرعية ثابتة، وكذلك الحكم بفسقه.

ومهما جعل الثعالبي والجرجاني وغيرهما للكلمة من منزلة، ومهما فَصَل هذا أو ذاك بين الكلمة والمعتقد، فإن كتاب الله وسنة نبيه جعلا للكلمة منزلة فصّلاها وحدداها.

ويظل حكم الله ورسوله أعلى من حكم البشر مهما علت منزلتهم. ولقد فصّلتُ ذلك في كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، مما لا مجال لتفصيله هنا.

وما ورد في كلمة الدكتور مرزوق في الفقرة (٢)، (ص: ١٢) من مجلة الدارة يتعارض مع مفهوم شمولية الإسلام من ناحية ومع مفهوم الأدب ووظيفته من ناحية أخرى. «فإضافة صفة الإسلام ومعناه الشامل إلى جزء من مناهج الحياة» كالأدب لا «يحرِّر أجزاء الحياة الأخرى من الإسلام» ولا «يسلبها هويته»، كما يذكر الدكتور، لأنَّنا بهذه الإضافة نربط الأدب بالإسلام، لا العكس. فحين نقول الأدب الإسلامي ينطلق الأدب ويأخذ امتداده وشموله من الإسلام دون أن ينقطع الإسلام عن سائر مناهج الحياة. وكذلك حين نقول الاقتصاد الإسلامي والسياسة الإسلامية. وتظل بذلك جميع أجزاء الحياة مرتبطة بالإسلام على تناسق وقوة، وتمضي الحياة كلها بجميع أجزائها على جمال التناسق والنشاط بهذه الإضافة وهذا الارتباط. إننا لا نربط الإسلام ولا نقيّده بالأدب، ولكننا نربط الأدب بالإسلام ليستمد منه القوة والنشاط، ولينطلق الأدب غنيًا في ميادين الحياة. إن هذا الربط والانتساب لا «يحدّ من قدرات الأديب المسلم»، ولا هو «تأطير قسْريّ»، ولكنه انفتاح واسع على الحياة والكون.

إننا لا ندعو للأدب الإسلامي ليكون ردَّ فعل أو صدىً لدعوة الاشتراكيين والشيوعيين وغيرهم، كما يذكر بعض الأدباء ذلك. إننا ندعو للأدب الإسلامي لأنه جزء من دعوة الإسلام، وعدة من عدده، كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث، وكما دلت على ذلك سيرة النبوة. إننا ندعو إليه لأصالته وضرورته.

إن قواعد الإسلام لا تقدِّم صرامةً للالتزام وتضييقاً للعمل الفني والإبداع. إن قواعد الإسلام هي أوسع باب ينفذ منه الأديب إلى آفاق الكون والحياة، والدنيا والآخرة. والذي يضيق ويختنق هو الفتنة والفجور والفساد. وعالم الطهر أوسع للإنسان وأرحب. وعالم الفساد عالم مخنوق بطبيعته، آفاقه الجنس الملوث والفساد القاتل.

إن ضعف بعض الأدباء المسلمين، أو ضعف نشاطهم في مرحلة من مراحل حياة الأمة المسلمة لا يمثِّل حجة ضدّ الأدب الملتزم بالإسلام الممتد مع الحياة كلِّها، مع الكون، مع الإنسان بفطرته النقيّة غير المنحرفة، مع الدنيا والآخرة. وإنَّ ضعف المسلمين

وهوانهم في سائر ميادين الحياة، في مرحلة قَصُرتْ أو طالتْ، لا يمثل حجة ضدّ الإسلام، ضد كتاب الله وسنة رسوله. وسيظل منهاج الله هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ذلك لأنه تنزيل من عزيز حميد. وسيظل منهاج الله هو منطلق نظرية الأدب في الإسلام، وهو الذي يحدّد خصائصه ونهجه وأهدافه ومسئوليته.

إن ضعفنا وهواننا اليوم جعلنا نقف من المبادىء غير الإسلامية، لا من الأدب فحسب، موقف الاستسلام، موقف البحث عن نقاط التلاقي، وإغفال نقاط الاختلاف. وهذا هو مكمن الخطر المريع. إننا لا نستطيع بقوتنا البشرية وحدها أن نقف أمام طوفان الأعداء وسلاحهم المبيد. ولكننا حين نصدق الله بالسرّ والعلن، بالإيمان والعلم، بالعلم والتطبيق، فإنّ الله قادر أن يمدّنا برحمته بقوّة تحمل معها النصر. وحين لا نصدق الله نخسر عون الله ونخسر القوة المادية وأثرها أيضاً، نخسر الدنيا والآخرة.

إننا نخاطب العالم كله كما أمرنا الله لا نزيد ولا ننقص:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾

[آل عمران: ٦٥].

نعم! «... **فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**»! واشهدوا بأننا أدباء نلتزم بالإسلام لفظة وتعبيراً وفكراً وعاطفةً، ومبنى وصياغة، في عالم رحب واسع لا نختنق فيه. إننا دعاة ومفكرون وأدباء ملتزمون.

ولنسهل الأمر على تصور الأدب الإسلامي وتميزه عن غيره، يمكن أن نضرب المثل الذي ذكرناه في الكتب التي سبق ذكرها: لنتصور عدداً من الشعراء أرادوا وصف روض أو زهرة أو منظر. فشاعر يرى في الزهرة آية من آيات الله. فيصف جمالها فيبدع ويربط الوصف كله بربه وبرب الزهرة، الله الذي وهبها الجمال لتكون آية دالة عليه. فهذا أديب مسلم، وهذا أدب مسئول ملتزم بالإسلام، يحمل رسالة الإسلام في حياته.

وشاعر حصر رؤيته في جمال الزهرة فوصفها وأبدع وصفها، لغة ونغمة، ولكنه لم يربط جمالها برسالة في الحياة، ولا إيمان، ولا توحيد، ولا خالق. فهذا أدب حياديّ قد

يكون صاحبه مسلماً، لم يقل كلمة الكفر، فلا نخرجه من إسلامه. ولكن نصه الأدبي قصر عن مهمة الأدب الإسلامي، ولكن لم يصطدم معه.

وشاعر وصف الزهرة وانحدر في وصفه إلى الجنس الفاحش، والكلام البذيء، فخرج عن الأدب الإسلامي وصادمه، ولكننا لا نخرجه من الإسلام ولا نكفّره، وربما نعتبره قد فسق وانحرف، فيحاسب بموجب دين الله وبمقدار فسقه وجنوحه.

وشاعر وصف الزهرة وصفاً ماديّاً جميل اللغة جميل النغمة، ونصّ في وصفه على أنه لا خالق لها، وقال كلمةِ الكفر ونصّ عليها بوضوح لا ريب فيه. فنقول هذا الأدب مهما حمل من جمال اللغة والنغمة هو أدب كافر من أديب كافر. فيخرج الأديب من الإسلام ويخرج أدبه من الأدب الإسلامي.

أعجب كيف يريد بعضهم أن يأخذ الأدب الفاسق والفاجر والكافر حقَّه في الساحة الأدبية، ولا يريدون للأدب الملتزم بالإسلام أن يكون له نفس الحقِّ على الأقل!

ولعلّ غيري يشاركني هذا العجب! ولكن العجبِ الأكبر من الأدباء المسلمين. عجب وعَتْبٌ على بعض الأدباء المسلمين ألا نجد أحياناً بين بعض الأدباء المسلمين الحنان على الكلمة الفنية الجميلة الطيبة، حتى لا تكاد تجد لها فسحة من الإعلام. وربما تجد التحاسد والتباغض والتناجش على غير ما أمر الله ورسوله، حتى يَفْقِد الأديب المسلم كلمة الإنصاف، وحتى يفقد كلمة التشجيع. المرضُ فينا نحن المسلمين! فلننظر في أنفسنا قبل أن نطرح أدبنا، وقبَل أن نحاسب الأعداء. فقد لا نجد النصيحة في النقد، ولا نجد الدقة في العرض، ولا نجد التعاون الجادّ الجامع. وقد تثور العصبيات الجاهلية.

الأدب الملتزم بالإسلام ليس جمعاً لفتات من هذا الأدب وذاك ولا هو نصٌّ واحد شريد في حياة تائهة، ولا هو شعار تزخرفه الأهواء والمجاملات!

إنه نهج ممتد، نهج ورسالة وأهداف، نظرية وعطاء وتطبيق، نحملها بثقة واطمئنان، وقوة ويقين، إلى العالم كله.

إذا لم يكن الأدب الإسلامي يحمل هذه الخصائص الجلية، فما حاجتنا إليه؟ وما حاجة الأمة إليه؟! لن يفيدنا المصطلح مهما كان إذا خفيت الخصائص والأهداف، والنهج

والرسالة. أما إذا وضحت هذه كلها فلن يطول الخلاف حول المصطلح.

وربّما اقترح بعض الأدباء مصطلحاً آخر، كمصطلح «الأدب الملتزم بالإسلام» ليشير إلى قضية الالتزام أكثر من الانتساب. ولكن أعود وأوضح أن جوهر الخلاف الحقيقي ليس المصطلح أبداً. إن جوهر الخلاف هو في المفهوم والخصائص كما هو واضح من كلمة الدكتور مرزوق، ومن كلمات أخرى لأدباء آخرين، جعلوا المصطلح هو عنوان الخلاف، فإذا دقّقت في المحتوى رأيت أن جوهر الخلاف لم يكن المصطلح نفسه.

ويبقى مصطلح «الأدب الإسلامي» مصطلحاً مناسباً إذا اتُفِق على خصائصه وطبيعته وأهدافه.

إن خصائص الأدب الإسلامي تتميّز بأنها تسمح للأدب أن ينمو ويتطور ليناسب المرحلة التي تمرّ بها بالأمة تطوراً يحتفظ بالجذور والساق. نحن اليوم أمة تتعرّض لأبشع صور العدوان، وأقسى صور الظلم، تهافتت علينا الأمم حتى انتهكت أعراضنا ونهبت ثرواتنا وأذلت كرامتنا. لذلك نريد الجمال الفني في الأدب ليدفع الأمة إلى ميدان تحمى فيه أعراضها وشرفها! لا نريد الأدب الذي يهدف لإشغال الناس بسفساف الأمور، ويهبط عن معالي الأخلاق. لا نريد الأدب الذي يجعل من المرأة نهداً وخصرًا وجنساً ويبني على ذلك حرّيتها. نريد الجمال الفني الذي يرسم النهج ويحدّد الأهداف، ويدفع الأمة الإسلامية لتكون أمة واحدة لها رسالة واحدة في الحياة، هي رسالة الإسلام، تحملها علماً وفكراً وأدباً، ولندعو العالم كله إلى ذلك، عندئذ يصبح أدبنا أدباً إنسانياً عالميًا برسالته وخصائصه وإبداعه.

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

الرياض: ١٤١٤/٣/١٥هـ — عدنان علي رضا النحوي

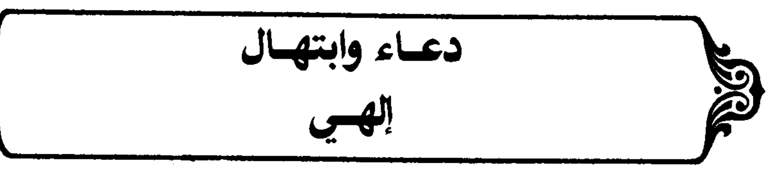
١ /٩/١٩٩٣م



فاتحــة الديــوان

- دعاء وابتهال (إلهي!)
- رســـول الهُــدى!





دعـاء وابتهـال
إلهـي

إلـهي! وفي جَنْبيّ خَفْقَةٌ وامِقٍ ... وإنِّـيَ أوابٌ إليـك وخَائِفُ
وَفي الـدَّار أَهْوالٌ تَمـورُ وفِتْنَةٌ ... تَدُورُ ودَمْعٌ بين ذلكَ نَازِفُ
ودَفْقُ دماءٍ والضَّحَايا تَنَاثَرتْ ... زَلازِلُ جُنّتْ حَوْلَنَا وَرَوَاجِفُ
تَصَدَّعَ بُنيَانٌ فأهْوَى وهذِه ... أَعَاصِيرُ مازَالَتْ به وعَواصِفُ
تهافَتَتِ الدُّنْيا عَلَينَا فَأَقْبَلَتْ ... حُشودٌ تَوَالتْ في الدّيار زَوَاحِفُ
كأنَّهُم مَالَوا إلى قَصْعَةٍ لَهُمُ ... فَضجّتْ لها أحشادُهم والطوائفُ
وحُوشٌ عَلَى أنْيَابِها المَوْتُ مُقْبِلٌ ... وكُلُّ فُـؤادٍ دُونَ ذلك وَاجفُ
كَأَنّ الرّدَى بَيْن المخالِبِ رَابضٌ ... فإن وثَبْتَ فالمَوتُ ماضٍ وخاطفُ

* * *

إلهي! وهذي أُمَّتي مَزَّق الهَوى ... قُوَاها وغَشّاهَا هِوىً وزخارفُ
يقود خُطاها في الدَّياجير تائه ... ويَدْفعُها بَين الأعاصير واكفُ[1]
فُهُنَّا وداستْنَا زُحُوفٌ ومَرَّغتْ ... جباهً وأهوى في الوُحول غُطارفُ[2]
ومالوا على أَعْرَاضِنا فاستباحها ... لِئامٌ فَلَمْ يلقَوا كُماةً تُخَالفُ
فكم مِنْ فَتَاةٍ مَزَّقَ القَهْرُ سِتْرَها ... وروَّعها في النائبات الكواشِفُ[3]
هُناكَ على «البُوسْنا» دَواهٍ وفتنةٌ ... وفي أَرْض «كشميرٍ» لظىً وقذائِفُ

---

(١) وَكَفَ: يوكَفُ وَكَفاً: مال وحار، أو وقع في عيب أو مأثم، أو فسد رأيه.
(٢) غُطارفُ: السيد الكريم.
(٣) كَشفت الكواشفُ فلاناً: فضحته.

وهذي فِلسْطِينُ المُدَمّاةُ وَيْلَنا ... يَغيبُ تَليدُ المجْدِ مِنْها وطارفُ
تَغيبُ وراءَ الأُفق مِنْها مَعالِمٌ ... نَديُّ ظِلالٍ مِنْ رُباها ووارفُ
تطير قُلوبُ المؤمنين لِسَاحِها ... فَتَنْهضُ لِلّقيا رُبى ومشارفُ
ولِلمَسْجِدِ الأَقْصَى حَنينٌ ولهفةٌ ... تجيشُ بهَا أشْواقُنَا والعَواطِفُ
وفي كُلِّ أرْضٍ فِتْنَةٌ بعد فِتْنَةٍ ... ويَومٌ عَبُوسُ الشَرِّ والهَوْل كَاسِفُ[1]
وَقَدْ كُشِفَتْ عَوْراتُنَا وتَقَطّعَتْ ... عُرَانا وهانَتْ سَاحَةٌ ومَوَاقِفُ
تَمُّر بنَا الأَحْداثُ حَتَّى كَأَنَّها ... أَحاديثُ لَهْوٍ تَنْطَوي وَسَوالِفُ
إلهي! فَمَنْ لِلْمُسْلِمينَ وَقَدْ غَفوْا ... وما أَيقظَتْهُمْ آيةٌ ومَصَاحِفُ
إلهي! أَعِنَّا واسْكُب النُّور بَيْنَنا ... بأَفْئِدَةٍ ضَاقَت عَلَيْها المَصَارِفُ
وأَلِّفْ قُلوباً فَرَّق الحِقْدُ بَينها ... وقَدْ يَجْمعُ الأَضْدَادَ يوماً تآلُفُ
وَهَبْنَا يَقيناً في القُلوبِ لَعَلَّنا ... نَهُبُّ إلى سَاحَاتِنا ونُشارِفُ
وأَنْزِل عَلَيْنا رَحْمةً تغسل الذي ... نَهُمُّ به من مأثَمٍ ونُقَارِفُ
ونَنْزِعُ عَنْ آثامِنَا، عَلَّ تَوْبةً ... يُفيقُ بهَا لاَهٍ عن الأَمْرِ عازِفُ
فَتدْفُقَ في المَيْدَان مِنّا جَحافِلٌ ... يَمُوجُ بهَا شَاكي السِّلاحِ وعاطِفُ
ونَحْمِلُ للدّنيا رِسَالةَ ربِّنا ... نُخاصِمُ في هَذْيٍ لها ونُعَاطِفُ
ونَمْضي بهَا صَفّاً كَأَنَّ جُنوده ... قواعدُ بُنيانٍ، فَداعٍ وزَاحفُ
فَتُنزِلُ نَصْراً يا إلـهي ورَحْمةً ... إذا صَحَّ عَزْمٌ في الميادين عاكِفُ

* * *

الجمعة ٢٣/١١/١٤١٣هـ

١٤/ ٥/ ١٩٩٣م

(١) يومٌ كاسِفٌ: شديد الشرّ والهول.

رسـول الهدى[1]

محمّدٌ صلى الله عليه وسلم
(من ملحمة الأقصى)

يَا رَسُولَ الهُدَى! سَلاَمٌ مِنَ اللّـــ ـــهِ ومِنْ مُؤمِنٍ لَهُ تَرْدِيدُ
وصَلاَةٌ عَلَيْكَ، تَخْشَعُ فِيها أَضْلُعٌ أَسْلَمتْ وهٰذِي الكُبُودُ
كُلُّ فَتْح بَلغْتَهُ هو آيـــا تٌ مِن الله خَيْرُها مَمدودُ
غَيْرَ أَنَّ القُلوبَ أقسى على الفَتْـ ـحِ وَأَغْلى سبيلُها والجهُودُ
فَسَبِيلُ القُلوبِ هَدْيٌ من اللــ ـه، سَبِيلُ البِلادِ سَيْفٌ حَدِيدُ
فإذا ما التقى على الحقِّ سَيْفٌ وبَلاغٌ فَذَاك فَتحٌ مَجِيدُ
فَبَنَيْتَ الَّذي تُقَصِّرُ عَنْهُ عَبْقَريـاتُ أَعْصُرٍ وَحُشودُ
أُمّةٌ لَمْ تَزَلْ إِلى الله تَسْعَى هي فَتْحٌ مِنْهُ وَنَصْرٌ فَرِيدُ

* * *

يَارَسُولَ الهُدَى! سَلاَمٌ مِن اللَّـــ ـــهِ ومِنّا الوَفـاءُ والتوحِيدُ
وَصَلاةٌ عَلَيكَ نَعْبُد فِيها اللّـــ ـــهَ نرجو رضاءَه ونُعيـدُ

---

(١) ألقيت هذه القصيدة في مؤتمر حول «المدائح النبوية تاريخها وأساليبها». أورانج أباد في الهند خلال الفترة: (٢٦ـ٢٨) /٢/١٤٠٩هـ الموافق (٧ـ٩) أكتوبر ١٩٨٨م ثم جعلت هذه القصيدة جزءاً من ملحمة الأقصى. وهنا أنقلها لتكون مع فاتحة هذا الديوان وقدّمت في هذا المؤتمر بحثـًا حول: «الإطار الصحيح والأسلوب الأمثل للمدائح النبوية».

رَحْمةٌ أنْتَ لِلعِبَادِ مِنَ اللَّـــــ ـــهِ وفَضْلٌ مُهْدًى وَخَيْرٌ مَدِيدُ
فاذْكُرِي «أُمَّ مَعْبَدٍ» قِصَّةَ الشَّـــ ـــاةِ وَقَدْ جَفَّ ضَرْعُها والوَرِيدُ[1]
مَسَحَ الضَّرْعَ في يَدَيْه رَسُولُ الـــ لَّه فاشْتَدَّ دَرُّهَا والجُـــودُ
رَوِي الصَّحْبُ وانْثَنَوْا وكَأَنَّ الضَّـــ ـــرعَ تَدْعو: لَئِن ظَمِئْتُمْ فعودوا
آية الله في يَدَيْهِ وَذِكْـرُ الـــ له في قَلْبِهِ خُشُوعٌ وَجِيدُ
إن رَوَى الصَّحْبَ كَفُّهُ فَهُدَاه يَرْتَوِي منه صَاحِبٌ وبَعِيـدُ
يَرْتَوي الدَّهْرُ من هُدَاه فَيَدْنو مؤمِنٌ خَاشِعٌ وَيَنْأى كَنُودُ

* * *

أَيُّها المصطفى! تَفَرَّدْتَ في الخَلْـ ـقِ نَبِيًّا عُلاكُ أُفْقٌ فَرِيدُ
أَنْتَ مَعْنَى الوَفَـاءِ: ذِكْـرُكَ في الأَرْ ضِ حميدٌ وفي السَّماءِ حَميدُ
زَانَكَ اللَّهُ! حُسْنُ وَجْهكَ إِشْرَا قٌ وَإِشْرَاقُهُ جَلَالٌ وَدُودُ
لا تَكادُ الشُّهُودُ تَملأ عَيْنَيْـــــ ــهـــا فَيُغْضِي مِنَ الجَلَال الشُّهُودُ
ذِرْوَةُ البَأْسِ فـي فُؤادك في الحَـــرْ ب إذا احْمرَّ بأْسُهَا وَرُعُودُ
لَوْ تَنَادَوا مَن الفَوَارِسُ في الدَّهْـ ـرِ لَقالُوا: ذا الفَارِسُ المَعْدُودُ
أَنْتَ في الحَرْب يَحْتَمي بكَ أَبْطا لٌ وَيأْوي لِظِلِّكَ الصِّنديدُ
حَسْبُكَ المَدْحُ أَنْ تكون عَلَى خُلْـ ـقٍ عَظيمٍ يُتْلَى بِهِ الكِتابُ المَجيدُ
كُلُّ آيٍ مِنَ الكِتابِ وَذِكْرٍ هُوَ ذِكْرٌ على الزَّمَانِ جَدِيدُ

* * *

---

(١) «أُمّ معبد» صاحبة الخيمة التي مر بها رسول الله ﷺ وأبو بكر يسألان لحما وتمراً يشتريانه منها. فلم يصيبوا شيئا. فمسح رسول الله ﷺ ضرع شاة خلفها الجهد عن الغنم ودعا وسمى الله تعالى، فتفاجّت عليه وذرت وروي الجميع. فآمنت وبايعت على الإسلام.

يَا رسُولَ الهُدَى! حَمَلْتَ إلى النَّا س سَلاماً يَرْعاه دِينٌ وصِيدُ
كم مَسحْتَ الدُّمُوعَ آسيتَ مَحْزَو نأً فَحنَّتْ إليك مِنْهُمْ كبُودُ
وَدَفَعْتَ الأَسَى وَرَعْشَة خَوفٍ فاطمأَنْت إلى الوَفاءِ العُهودُ
أَنْتَ أرجَعْتَ لابــنِ آدَمَ حَقّاً كَمْ أضاعَتْهُ فِتنَةٌ وجُحُودُ
وَعُتاةٌ بَغوا عَلى النّاس حَتّى تَاهَ في الدرْب جَائعٌ وطَرِيدُ
ياحُقُوقَ الإنسان! هذا هو الحَـ ـقُّ! سِـواهُ فباطِلٌ مَرْدودُ
إنَّها مِنْحَةٌ مِن الله ! حَقٌّ لمْ تُشَرِّعْهُ عُصْبَةٌ وَعَبيدُ
فاسْتَقيموا لِلَّهِ نَبْنِ سَلاماً لمْ تخالِطْهُ فِتْنَةٌ ووعودُ

* * *

يَارَسُولَ الهُدَى ! عَدَلْتَ وسَاوَيْـ ـتَ فَمَا جَارَ سَيِّدٌ ومَسُودُ
جَمعَ اللَّهُ أُمَّةَ الحَقِّ إخْوَا نأً فَهبّتْ عَزائِمٌ وَجُهودُ
غَيْرَ أَنَّ الزَّمَانَ حَالَ فَعَادتْ للشَّياطِين دَولَةٌ وجُنودُ
أَشْعَلُوا الأَرْضَ فَجَّروهَا بَرَاكِيـ ـنَ فَمَادَتْ ذُراً ومَادَ عَمُودُ
صاحَ من هَوْل مَكْرِهم كُلُّ جَبّا ر وَجُنَّ اللَّهيبُ «والأُخدودُ»
غيرَ أَنَّ اليقينَ يَبقَى ويمضي مَوكِبُ الحَقِّ يَجْتَلي وَيَرودُ

* * *

كَيفَ أَرْقَى إلى مَديحِك لكنْ غَلَبَ الشَّوقُ والحَنينُ الشّديدُ
غَلَبَ الشوقُ رَهْبَتي، وصِرَاعٌ في فُؤَادي يَغيبُ ثُمَّ يَعُودُ
كُلَّما لَجَّ في فُؤادِيَ شَوْقٌ دَفَعَ الشَّوْقُ رَهْبَتي فَتَزيدُ
وإذا بالخُشُوعِ يَرْفَعُ أَشْوَا قي فَتَصْفُو وتَرْتَـقي فَتَجُودُ
إنما اللَّه وَالرَّسُــولُ هُمَا الحُــ ـــبُّ وَلله وَحْدَه التَوحِيدُ

يالدَرْبٍ شَقَقْتَهُ «في سَبِيل الـ ـلَّه»، عَهْدٌ عَلَى الزَّمَانِ جديدُ
مَاجَ فِيهِ مِنَ الهِدَاية نُورٌ وسَرَايا تتابَعَتْ وحُشُودُ

* * *

٢١/ ٢/١٤٠٩هـ
٢ /١٩٨٨/١٠م



فَوحُ الشعر في ميادين الحياة

- الشعر بين الجاهلية والإيمان : مع بيتين لامريء القيس، أنا الغني
- الأدب الإسلامي أو مَهرجان القصيد
- مواكب بدر
- رؤىً في الجمال
- الجمال
- زخرفٌ وحقيقة
- الجنى الحلو
- الإنسان بين الذهب والنحاس
- بحيرة طبريا
- خضراء الدِّمَن
- هوى وهوان
- القاعدون
- عندما غابت الشمس
- تحية إلى شباب الإسلام
- ليميز الله الخبيث من الطيب
- أرج الميدان
- هي النجاة أدركيها (النجاة من حضارة الغرب)

الشعــر
بين الجاهلية والإيمان

١ - مع بيتين لامرىء القيس :

يقول امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها:

ألا عِمْ صَبَاحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي   وهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كان في العُصُر الخالي

يقول:

ولو أنّ ما أَسْعَى لأَدْنى معيشة   كَفَاني، ولم أطْلبْ، قليلٌ مِنَ المال

ولكنَّما أَسْعَى لمجْدٍ مُؤَثَّل   وقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالي

جمـع امـرؤ القيس في هذين البيتَيْن شهوة الدنيا والسعي إلى زخرفها، فرسَم الجاهليَّة بكل مطامحها وغرورها، وأهْوائها وشرورها، وكِبرها وفتنتها. ومثل هذا الشعر يغـرس في نفـوس الناشئة مطامح الدنيا، وحبَّ زينتها، فلابدّ من توعية إيمانيَّة حين نعـرض هذا الشعر وأمثاله على الناس في ميدان التربية والبناء، أو في ميدان الأدب والنقد. ولابد من أن تكون هذه القضيَّة، ركناً أساسيًّا في أُسلوب النقد الأدبي، حتى يتميَّز أمـام الإنسان الحقُّ من الباطل، والإيمان من الضلال. فهذه مهمَّة رئيسة لكل نواحي النشاط الإنساني المؤمن.

فقلت معارضاً امرأ القيس:

وَلَوْ أنّ ما أَسْعَى لِدُنْيا وزُخْرُف   شَقِيْتُ بِمَا أَجْنِيهِ مِنْ زُخْرفيٍّ بَالِ

ولكنّما أَسْعَى لفِردَوسِ جَنَّةٍ   وذاك بِعَونِ الله غايةُ آماليَ

وأعدت البيتين على قافية أخرى:

ولَوْ أنَّ ما أَسْعَى لدُنْيَا رَخِيصَةٍ   شَقِيْتُ بسَعيِ أو رَجَعْتُ بخُسْرانِ

ولكِنَّما أَسْعَى لأغْلى بِضَاعةٍ   مِنَ الله: جَنَّاتُ وَنفْحَةُ رضْوانِ

١٤٠٧/١/١هـ

٢ ـ واختلف الناس حول الغنى، واعتز أهل الثراء بثرائهم، فقلت في ذلك:

أنـــا الغـــني

أنا الغَنيُّ فقلبي من جَواهِره ... كَنْزٌ وكَفَّايَ جُودُ البَحْرِ والسُّحُبِ
حَمَلْتُ مِنْ آية القُرآنِ جَوهَرَه ... ومِنْ حديث نبيٍّ وفَرَةَ النَّشَبِ

* * *

١ /٤/١٤١٠هـ
٣٠/١/١٩٨٩ م



مهرجان القصيد

أو

الأدب الإسلامي[1]

«مَهْرَجَانَ القَصِيد» غَنِّ قَصِيْدِي   بَيْنَ زُهْرِ المُنَى وحُلْو النَّشِيْدِ
فالمَعَاني انْتَقَيْتُها مِنْ جِنَانٍ   والهَوَى صُغْتُه مَآثِرَ صِيدِ
والقَوَافِي كَأنَّها عَبَقُ الرَّوْ   ضِ وَنفْحُ الوُرُودِ بَيْنَ الوُرُودِ

* * *

هَاهَنا نَفْحَة مِنَ الأَمَلِ الحُلْـ   ـو وفَيْضٌ من خَيره الْممدُودِ
وَلقَاءٌ يَمُوْجُ بالنُّورِ يَجْلو   مَكرُمَاتِ البَيَانِ دَفْقَ الجُودِ
إِيْهِ «لَكْنُو» فكَمْ ضَمَمْتِ نَديًّا   مِنْ شُيُوخٍ وَمِنْ شَبابٍ نَجِيْدِ
يَا حَنانَ الهَوَى وصَفْوَ ودادٍ   غَرِّدي مِنْ قَصِيدِك المَعْهُودِ
زَيِّني دَارَكِ الغَنِيَّةَ بالشَّوْ   قِ، بِمَجْدٍ بِملحَمات الجُدُودِ

* * *

كَمْ دَعَوْتُ القُصِيدَ من دَمْعَة الذُلْـ   ـلِ فَألْوَى إلى مَكَانٍ بَعيدِ
كَمْ تَلَفَّتُّ في دُرُوب هَوَانٍ   وَحَوَالَيَّ ألفُ خَطْوٍ شريدِ

---

(١) ألقيت في مؤتمر الأدب الإسلامي في لكهنو الهند الذي عُقد خلال الفترة (٢٥ ـ ٢٧) ربيع الثاني ١٤٠٦هـ، الموافق (٧ ـ ٩) كانون الثاني ١٩٨٦م.

وَبقَايَا قَوافِل مزَّقتها عَضَّةُ الرِّيح والتطامُ النُّجُودِ
زَحمَتْها عَلَى الدُّرُوب زَوَايا ورَمَتْها في غَيْهَبٍ وسُدُودِ
أَفْلَتَتْ مِنْ يَدَيَّ زُهْرُ القوافي وَنَأَى اللحْنُ في بطونِ البِيْدِ
وَالمَعَاني تَنَاثَرتْ في فَضَاء واختَفتْ خَلْفَ أُفْقِهِ المسْدُودِ
كِبْرياءُ القَصِيدِ يَشْمُسُ عَنْ ذُلْـ ـلٍ وينْأَى عَن الهَوَى والجُحودِ
عِزّةٌ فيه، إنَّهُ أدبُ الإسْـ ـلَامِ غَرْسُ الإيمانِ، رَيُّ العُهودِ

* * *

يَا إبَاءَ القَصِيدِ يرْفَعُهُ الصّدْ قُ فَيَرْقَى إلى مَطَافِ خُلُودِ
لَا يَسِفُّ الهوَى ولاَ يَهْبطُ الحسْـ ـسُ وَلاَ ينحني لعَضّ قُيودِ
شَرَفُ القَوْلِ مِنْ هُدَى الحقْـ ـقِ وسِحْرُ البَيَانِ بالتَوْحيدِ
أَدَبٌ يرْتَوي البَيَانُ لَدَيه مِنْ حَديث، مِنَ الكتاب المَجيدِ
رَفَّ بالطِّيْبِ عُودُهُ فَتمنَّى كُلُّ رَوْضٍ نَدَاوَةً مِنْ عُودِ
يَنْشُرَ الجَوْهَرَ الكَرِيْمَ عَلَى الدَّهْـ ـرِ غَنِيّاً باللّؤلؤ المنْضُودِ
فَأَتَى الشَّاعِرُ المُدِلُّ عَليْهِ صَاغَهُ مِنْ أَسَاوِرٍ وَعُقُودِ
فَتَمَنَّتْ مُهَفْهَفَاتُ الغَوَاني حِلْيَةً حَوْلَ مِعْصَمٍ أَوْجِيدِ

* * *

هُوَ رَفُّ النَّدَى عَلَى الوَرَق اليَا بِسِ يَهْتَزُّ في رَبيعٍ جَدِيدِ
هُوَ خَفْقُ الأَوْتَارِ بالنَّغَم الحَا نِيْ عَلَى بَهْجَةٍ وَفَرْحَةِ عِيدِ
هَوَ زَهْوُ الصِّبَا التَّقيِّ وَشَوْقٌ مَنْ عَفافٍ وَزِيْنَةٌ في بُرُودِ
هُوَ في الكَوْنِ آيَةٌ حَوَّم المَجْـ ـدُ عَلَيْهَا فَعَادَتْ رَوائِعاً مِنْ نشيْدِ

* * *

يَا حَنَانَ القَصيدِ، يَا لمْسَةَ الإِسْـ ـلَام سَلْوَى الحَزين مَأْوى الطَّريدِ
يَارِحَابَ الأَمَان يَمْسَحُ ذُلَّا عَنْ جُفُونٍ وَدَمْعَةً عَنْ خُدُودِ
يَاحِمىً يَفْزَعُ الضَّعِيفُ إلَيْهِ فإذَا فيه قُوَّةٌ مِنْ أُسُودِ
ياغَنَاءَ الفَقِير في مَنْهَج الحقْـ ـق وَفي دَرْبهِ الأمِين الرَّشيدِ
يالَنُعْمى الإنْسَانِ يَحْمِلُ مِنْهُ مِشْعَلًا شَقَّ مِنْ لَيَالٍ سُوْدِ

* * *

رَفْرَفَ الشَّوْقُ، فانْتَقَى أَدَبُ الإِسـ ـلَام مِنْهُ قُمْرِيَّةَ التَغْرِيدِ
وَهَبَ الحُبُّ عِنْدَه الآيَةَ الكُبْـ ـرى وأَغْنَى قُدْسِيَّةَ التَرْدِيد
فَهُــوَ الله لاَ إلــه سِــوَاهُ هِيَ أَعْلَى هَوًى وَأَحْلى نَشِيدِ
رَجِّعي يَادُنا جَلاَلَ هَوَانا واسْجُدي وانْعَمي بهذا السُّجودِ
أنا عَبْدٌ لله مَا أَعظَمَ الحُبْـ ـب وَأَغْنَاهُ باليقَين الشَّديد
يَا أَهازِيجُ يَا نَشيدَ اللَّيَالي رَجِّعي اللحْنَ أو أعيدي قَصِيدي
أنا بالحبّ نَشْوَةٌ في فَمِ الدّهْـ ـرِ ولَحنٌ مِنَ الهَوَى المنْشُودِ

* * *

يَا عَطَاءَ الإِسْلَام يَا نَفْحَةَ الإِيـ ـمَان يَادُرَّةَ العَطَاءِ الفَرِيدِ
أَدَبٌ شَعَّ في اللّيالي مَعَ العَزْ م زَكَا عِطْرُهُ دَماً مِنْ شهيدِ
كَمْ جَلاهُ عَلَى المَيادين فُرْسَا نٌ وَغنَّتْهُ وَثْبَةٌ مِنْ صِيدِ
فانْهَضِي يَارَوَائعَ الشِّعْرِ هذي سَاحَةٌ زَغْردي لَهَا وَأَعيدي
أَنْتِ في ذِرْوَةِ البَيَانِ عَطَاءٌ زَاخِرٌ بالهُدَى وأَبْحُرُ جُودِ

* * *

يَادِيَارَ الإِسْلَام جُنَّتْ رُبَاهَا بَيْنَ عَادٍ مَروِّعٍ وَحَسُودِ
أطْلقي دُونَهُ البَرَاكِينَ، صُبِّي حِمماً، زَلْزلي القَوَاعِدَ، مِيْدي

وَاعصِفي غَضْبَةَ الأعَاصِير، وارْمي فَوْقَهُ مِنْ قَنابلٍ وحَديدِ
لسْتُ بالشَّاعِرِ المُدِلِّ إذا لَمْ يَكُ شِعْري قَذَائِفاً مِنْ وَقُودِ
وَإِذا مَا انْطَوى عَلَى الغِمد سَيْفٌ أو خَلاَ السَّاح من هَوَى صِنديدِ
سَوفَ يَمْضي عَلَى الطَّريقِ قَصِيدِي كالنَّدَى رَفَّ في رَبيعٍ جَدِيد

* * *

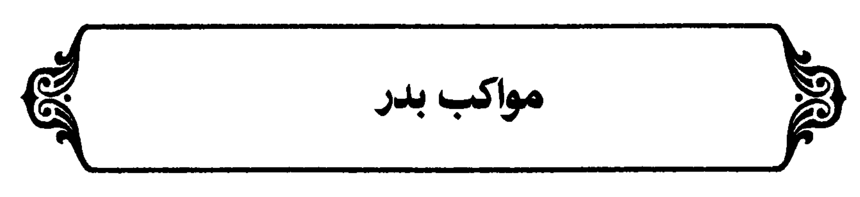
يا أديبَ الإسْلامِ أيْنَ السَّرَايا نَزَعَتْ عن مَضَاجِعٍ وَمُهُودِ
أيْقظَتْهَا صَواعِقٌ مِنْ نِدَاءٍ خاطِفَاتٌ بَقيَّةً مِنْ كُبُودِ
دَفعَتْها إلى النِّزَال أهَازِيـ ـجُ فَمَاجَتْ عَلى لهيب النَّشيدِ
وَجَلتْهَا عَلَى بِطَاح «فِلَسْطِيـ ـنَ» دَوِيّاً في يَوْمِهَا المَشْهُودِ
وعَلَى «كَابُلٍ»، وَزَمْزَمَتِ الأرْ ضُ لَهِيْباً وَأَرْعَدَتْ بالجُنُـودِ

* * *

أَدَبُ التَّائِهينَ لَيْلٌ وَخَمْرٌ بَيْنَ كَأْسٍ مُحطَّمٍ أَوْ غيدِ
حِينَ يَغْفُو القَصِيدُ في خَدَرِ السُّكْـ ـرِ لَخَصْرٍ مُهَفْهَفٍ وَنُهُودِ
أدَبٌ ذَلَّ في الفُجُورِ وَنامَتْ بَيْنَ أحْضَانِهِ جُفُونُ العَبيدِ
يَتَوارَوْنَ خَلْفَ سِحْرِ شِعَارٍ كاذبٍ أَوْ زَخَارِفٍ ووُعُودِ
سَمِّ مَا شِئْت مِنْ مِثَالٍ فَهَذا أَدَبُ الضَّائع الشَقيِّ الجَحُودِ
سَوفَ يَفنَى مَعَ الزَّمَانِ وَيبْقَى أَدَبُ الحقِّ شُعْلَةً في الوُجُودِ

* * *

٢٠/٤/١٤٠٦هـ
١ /١/١٩٨٦ م



مواكب بدر

في السابع عشر من رمضان سنة ١٤٠٨هـ، الموافق الثالث من نيسان (إبريل) سنة ١٩٨٨م، دعاني الأخ أحمد الخاني لمنزله، وقد دعا عدداً منْ رجال الفكر والأدب والشعر، الأساتذة: عبدالعزيز الرفاعي، الدكتور عبدالعزيز الثنيان، الفريق يحيى عبدالله المعلمي، الدكتور إبراهيم أبو عباة، الدكتور عبدالرحمن العشماوي، الدكتور عبدالعزيز المسعود، محمد منير الجنباز، سناء شيبة الحمد، أحمد سالم باعطب، أحمد يحيى البهكلي، فيصل محمد الحجي، فتحي الدويك، عوض حسين الشلالدة، وكان يدير الجلسة عبدالكريم الخطيب.

وكان الإسلام والأدب الإسلامي محور الحديث، ودور الأدب الإسلامي في الردّ على المدارس الأدبية المنحرفة ومذاهبها المتعددة. وكأن الندوة كانت تهدف مع ذكرى هذا اليوم العظيم، ذكرى موقعة بدر انطلاقة مدرسة أدبية شعرية تردّ على الأدب المنحرف وشعره، وتنطلق من ظلال معركة بدر الكبرى وآثارها العظيمة في التاريخ البشري، ولِتُسَمَّى «مدرسة بدر».

ومع هذه الذكرى الطيبة العبقة، في هذه الأمسية النّدية، كان أطيب ما نتعلمه هو محاسبة النفس حتى نظلَّ نتزوّد بصفاء الإيمان والتوحيد، وصدق الولاء لله سبحانه وتعالى والعهد معه، والتوجّه بعملنا كلِّه صغيره وكبيره إلى الله العليم الخبير، حتى لا تشوبه شائبة من شوائب الدنيا، ولا تنحرف نيّةٍ، ولا ينخدع مؤمن بِزُخرُفٍ كاذبٍ، ومتعةٍ عاجلة، وزهوة من خُضْرة الدنيا، فلا يظلم ولا يفسد.

في هذه الأمسية الغنيّة النديّة شارك جميع الإخوة في حوار جميل وآراء غنية،

وشاركت كذلك في إبداء رأيي في الأدب الإسلامي والشعر وقدمت هذه القصيدة في تلك الأمسية، مع التحية والشكر للأخ الكريم أحمد الخاني صاحب الدعوة، والأساتذة الأجلاء الذين أغنوا الأمسية بالرأي والفكر، والشعر والأدب.

ولا ننسى المائدة الشهية بعد ذلك.

مــواكــب بــدر

طَوِّفي حَيْثُ شِئتِ هـٰذي المَغَاني ... زَهَرَتْ بالقَصيـدِ والمهْرَجَـانِ
يا لَنَفْح الإيمان يَنْشُرُ طِيبـاً ... مِنْ فَعَالٍ ورِقَّةً مِنْ بَيَانِ
يا لَنُورٍ يَشُقُّ مِنْ ظُلْمةِ اللّيْـ ... ـلِ وَيَسْري بينَ الضُلُوعِ الحَوَانَي
يَا لَهَا خَفْقَةٌ مِنَ الكَبِدِ الحَـ ... ـرَّي وَدَفْقٌ مِنْ رَحْمَةٍ وَحَنانِ
أَسْعِفينَا فكمْ ضَلَلْنا وتاهَتْ ... في الدَّياجير خُطْوةُ الإنسانِ
أَسْعِفينا بآيةٍ مِنْ بَيَـانٍ ... شَعَّ مِنْ جوهَـرٍ كَريـم المَعَاني
كُلُّ حُرِّيَـةٍ تَمُـوتُ إذا لَمْ ... تَـكُ حُرِّيَّةً لصدقِ لِسَانِ
كُلُّ حُسنٍ يَمُوتُ فِينا إذا لمْ ... يَكُ أَغْـلاهُ آيَـةً مِنْ بَيَانِ

* * *

كمْ سَقَطْنا وَمَا نهضنـا فَأَهْـوتْ ... بَيْنَ أَوْحالنـا خُطَا الفُرْسَـانِ
كمْ خنَقْنا عَلى الحَناجرِ أَصْوَا ... تاً فماتَتْ في غُصَّةٍ وَهَوَانِ
الحُرُوفُ الخَرْسَاءُ ذُلٌّ ومَوتٌ ... دُفِنَتْ بَيْنَ مُجْرِمٍ وَجَبَانِ
لَهْفَةُ الشَوْق لَمْ تَزَلْ تتعَالَـى ... بَيْنَ أَحْنائِنَـا، وصَفْوُ الأَمَاني
أَسعِفِينا بِرَوْعَـةِ الحَرْفِ يَجْلُو ... عِزَّةً أو يُعِيدُ مِنْ إيمـانِ

* * *

كَمْ عَدُوٍّ تَرَاهُ يَقْتُلُ فِينا ... وَمْضَةَ الحَرْف من هُدًى وجِنانِ
يَالِذُلِّ الإِنْسَانِ يَطْرَحُه الكُفْـ ... ـرُ شَتِيتَ الأَهْوَاءِ والأشجانِ

يَا عَبيـدًا يَسُوقُها السـوطُ في الأرْ ... ضِ فَتَمْضِي هُناكَ كالقِطْعَانِ
سَرَقُوا الوَمْضَـةَ الغَنِيَّـة لكنْ ... أشرقتْ رغـم ذاك منهـا اليدانِ
سرقوا العطـر ثمَّ ولوا ولكن ... نَثَرَتْهُ الخُطا بكُلِّ مَكَانِ
كُلَّمَا أوغَلَ الجبَـانُ بظُلْـمٍ ... جَعَل الله فُرْجـةً منْ أمَـان

* * *

يَا لِذُلِّ العَبيدِ تَرْكَعُ فـي دُنـ ... ـيا «أبُولُو» في زحمَةِ الأوثانِ
كُـلَّ يَوْمٍ لهُـمْ إلهٌ جَديـدٌ ... يا لِذُلِّ الأَرْبَابِ والعُبْدَانِ
نَحتُوه مِنَ الخُرَافَةِ والجَهْـ ... ـلِ وصَاغـوهُ مِنْ هـوىً فتّانِ
كُلَّ يَوْمٍ لَهُمُ مَذاهبُ شتَّى ... مِنْ ضَلالِ اليُونانِ والرُّومَانِ
ثُمَّ سَمَّوهُ فلسَفَاتٍ وفِكْراً ... بين جُورِ الضَّلالِ والبُهْتَانِ
فِتْنَةٌ أشْعَلَـتْ أبَالسَـةُ الأَرْ ... ضِ لَظَاهَا تَمُدُّ مِنْ نيرَانِ
فَدَعُوهَا يَاقوم! أيُّ فَسادِ ... لِبُناةِ الأَجْيَالِ والأَوْطانِ
لا تُرَاعي يَانَفْسُ! هُم جُبَناءُ ... مَا أَذَلَّ الجَبَانَ عِنْدَ الجَبانِ

* * *

ها هُنا نَفْحَةُ النُّبُوَّة مِنْ بدْ ... رٍ وهـٰذي مَلاحِمُ الفُرْقانِ
ها هُنا تُصْنَعُ الرِّجَالُ وتُبْنَى ... أمَّةٌ بينَ آيَةٍ وَسِنَانِ
يَا لَبَدْرٍ! وَيَا لَمَعْرَكَةٍ تَمْـ ... ـضي مضيَّ الدُّهُورِ والأَزْمَانِ
يَنْحَنِي عِنْدَهَا الزّمَانُ فَيلْقَى ... شُعَلاً مِنْ عَزائِم الإِيمانِ
في مَيَادِينِهَا تَمُوجُ اللَّيالي ... ودَوِيٌ مِنْ آيَةٍ وأذَانِ
والْتِطامُ الزَّحُوفِ، حَمْحَمةُ الخَيْـ ... ـلِ ، نداءُ الرَّحمـٰـن للإِنْسانِ
عَبْقَرِيُّ الجِهَادِ مِنْ عَزْمَةِ الشّوْ ... قِ، ومِنْ مُهْجَةٍ، ومِنْ إحْسَانِ
عَبَقُ المجْـدِ كُلُّـهُ في الثَّنَايَا ... في ذُراً أشْرَقَتْ وفي وُدْيانِ

كُلُّ شِبْرٍ مُضَمَّخٌ بِدِماءٍ كُلُّ سَاحٍ زَهْوُ الرُّبى والمَغَاني
ها هُنَـا يُرْفَـعُ القَصِيدُ ويُبْنَى أَدَبٌ مُلْهِمٌ وفيضُ مَعَاني
أَدَبٌ يَرْتَوِي البَيَانُ لَدَيهِ مِنْ حَديثِ الرَّسُـول، مِنْ قُـرْآنِ
هُو نَبْعٌ مِنَ الهِدَايةِ، فَيضٌ مِنْ وَفَاءٍ، وخَفْقَـةٌ مِـنْ جَنَانِ

* * *

طَابَ لِيْ عِطْرُها! فَكَمْ رَفَّ مِنْها عَبَقُ الصِّدْق أو شَذَا الإحْسَانِ
خَشَعَتْ أَضْلُعي لآيَتِهَا الكبْـ ـرَى وإشْراقِ جَوْلَةٍ وطِعَانِ
هَاجَنِي الشَّوْقُ مِنْ هَوىً فَتلـ ـفَّتُّ! ونَادَيْتُ: أَيْنَ عَزْمُ البَاني
أَيْنَ أَمْجَادُ أُمَّتي؟! كيفَ تَرْضَـ ـون «أبولّـو» ودعوةً مِنْ هَوَانِ
ها هُنَا تَزْخَرُ البُطُولاتُ في التَّا ريخ مِنْ صَادِق الوَفَاءِ وحَانِ
فَتَنَاوَلتُ مِنْ هُنَاكَ مِنَ التَّا ريخ، مِنْ رَوضَةٍ وَمِنْ بُسْتَانِ
جَوْهَرَ المجْدِ أَوْ لآَلِيءَ فَتْح أَوْ عُقُوداً مَنْظُومَةً مِنْ جُمَانِ
ووُرُوداً تَفَتَّحتْ وزُهُوراً عَبقَتْ بالشَّذَا، ونَفْحَ جِنَانِ
فَإِذَا كُلُّهـا تَجَمَّعُ آيـاً في فُؤادٍ حَانٍ وفي وِجْدَانِ
لَمْحَةٌ تَجْمـعُ الفَرَائِدَ مِنْ بَدْ رِ ومِنْ وثْبَةٍ وزَهْـو يَمـانِ
لا تَغِيبِي عَنَّا مَيَادينَ بَدْرٍ أَطْلِقي مِنْ مَواكِبٍ وعِنانِ
وَثِبي يا مَوَاكِبَ الحَقِّ طُوفي بَينَ نَصْرٍ وبَيْن صِدْقِ الأَمَاني
وَاصْدُقي الله! واطْلُبي الجَنَّة لا الدُّنـ ـيَا ولا زُخْرُفَ الحَياةِ الفاني
إنَّ أَعْلَى البَيَانِ دَفْقُ دِمَاءٍ فَجَّرتْهـا مَوَاقِـعُ الإيمـانِ
كُلُّ حَرْفٍ يَصُوغُه دَمُ حُرٍّ هُوَ نُورٌ يَسْـري مَعَ الأَزْمانِ

* * *

لَفتةٌ مِنْكَ يا أَخي رفَّ منْها الـ ـشَوْقُ للحقِّ أو نَقيُّ الأماني
لفْتةٌ حُلْوةٌ ومَدْرَسَةُ كُبْـ ـرى ودارٌ مَشْدُودة الأركانِ
وكَأنّي أرَاكَ! قمْتَ! تَلَفَّـ ـتَّ! ونَادَيْتَ يَارجال البَيانِ
انْهَضُوا! أدركوا البَيَانَ وصُونُوا لغةَ الحَقِّ مِنْ عَدُوٍّ جَانِي
ودَعي أُمَّتي مَذَاهِبَ يُونا نِ وأَوْهَـام جَاهِلٍ مُتَـوانِ
وانْهضي! هذه مَدَارِسُ بَذْرٍ أطلِقي مِنْ مواكِبِ الفُرسانِ
كِمْ رَمَى الحِقْدُ والتّحاسُدُ فِينا خَيْلنا في مَتاهَةٍ وهَوَانِ
لَكَ مِنّي تَحِيَّةٌ يا أخي أَحْـ ـمَدُ! صفْوُ الدُّعَاءِ والإحسانِ

* * *

الثلاثاء
١٧/ ٩/ ١٤٠٨هـ
١٣/ ٥/ ١٩٨٨م

رُؤىً في الجمال

قال الشاعر الزنديق المشعوذ عطاء الخراساني الملقب بالمقنع الخراساني :

خَلقْتَ الجَمالَ لنا فِتْنَةً وقُلْتَ لَنَا يا عِبادِي اتَّقُونْ
فأَنْتَ جَميلٌ تُحِبُّ الجَمالَ فَكيفَ عِبَادُكَ لا يَعْشَقُون

وقال الشاعر المسلم عمر بهاء الأميري مُعارضاً :

خَلَقْتَ الجمالَ لنا نِعْمَةً وقُلتَ لنا يا عِبادي اتَّقُونْ
وإنَّ الجَمالَ تُقىً والتُّقى جَمالٌ ولكنْ لِمَنْ يَفْقَهُونْ
فذوقُ الجَمالِ يُصفِّي النُّفوسَ ويَحْبُو العُيون سُمُوَّ العيونْ
وإنَّ التُّقَى هاهنا في القُلوبِ ومَازَال أَهْلُ التُّقي يعشقونْ
ومن خامر العشق أُخلاقه تأَبى الصَّغارَ وعاف المجونْ

نشرت إحدى الصحف الأبيات السابقة للخراساني وللأستاذ الأميري ، فقلت معارضاً :

خَلقْتَ الجَمَالَ لَنَا آيةً يُمَحِّصُ فيها الهَوَى واليَقِينْ
فكمْ مِنْ جَمالٍ به فِتْنَةٌ فيُصْلى عَلَى نارها الماجِنُونْ
وكمْ مِنْ جَمَـالٍ بِه رَحْمَةٌ حنينُ القُلوب وشَوْق العُيونْ
وأجْمَـلُ آيَاتِــهِ أنَّـهُ هُوَ الحقُّ والطُّهْرُ أنَّى يَكُونْ
وفي كـلِّ نَاحِيَـةٍ نَفْحَةٌ مِنَ الحُسْنِ أو آيَة مِنْ حَنينْ
تَدُلُّ عَلَى أنَّـكَ اللــ ــه ربُّ الخَلاَئِق والعَالمينْ
وليسَ يَرَاهَا سِـوَى مُحْسِـنٍ وليسَ يَرَاهَا سِوَى المُتَّقِينْ
وأنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الجَمالَ فَقُلْتَ لنا يَاعِبَادِي اتَّقُونْ

* * *

٥ / ٥ / ١٤٠٨هـ

٢٥ / ١٢ / ١٩٨٧م

وخطر لي بعد مدة أن أتحدث عن الجمال بصورة أوسع تنبع من الإيمان والتوحيد فقلت القصيدة التالية:

الجمال

خَلَقْتَ الجَمَالَ لَنَا آيَـةً تَطُوفُ القُلوبُ بِهَـا وَالعُيُونْ
وَأَبْدَعْتَ فِي الكَوْن مَا تَجْتَلي عُيُونٌ وَمَا هُوَ سِـرٌّ دَفِينْ
وَزَيَّنْتَهُ! يَا لَهَذا الجَمَالِ وَهـذا الجَلَال وهـذا الحنين
فَتَخْشَعُ فِي نُورِه أَضْلُعٌ وتَخْفُقُ أَشْوَاقُهَا والشُّجُونْ

* * *

فهذي السَّمَاءُ وآفَاقُها بُرُوجٌ تُزَيَّنُ للنَّاظِرِينْ
فَكَمْ بَصَرٍ عَادَ مِنْهَا حَسِيراً عَلى خَشيَةٍ وَهُمُ مُشْفِقُونْ
وَغَيْبٌ وَرَاءَ وُثُوبِ الخَيالِ عَصِيٌّ عَلَيْهِ وسَقفٌ مَتِينْ
قُطُفٌ حَيْثُ شِئتَ فَآيَاتُهَا جَلَالُ المَدَى وجَـلال القرونْ

* * *

وهذي هي الأرْضُ كَمْ جَنَّةٍ تَفَجَّرُ بين جَنَاها العُيُونْ
ورَوْضٍ تَنَفَّسَ عَنْهُ الصَّبَاحُ شَذاً من وُرُودٍ ومِنْ يَاسَمِينْ
وطَيْرٍ كَأَنَّ رَفِيفَ جَنَاحَيْـ ـهِ رفُّ البُكُورِ وهمْسُ الغُصُونْ
يُسَبِّح لله في مَوْكِبٍ جَليلٍ وحَشْدٍ من الخاشِعِينْ

* * *

وكَمْ مِن جِبالٍ تَشُقُّ ذُرَاهَا عنانَ السَّماءِ وسَهْلٍ يَلينْ
وكَمْ أَبْحُرٍ غَيَّبَ الله فِيهَا غُيُوباً وأَطْلَقَ فيها السَّفِينْ

وَنَهْرٍ .. تَدَفَّقُ أَمْواهُـه يُرَوِّي الحَياةَ ويُغْني القُرونْ
يُزَيِّنُهـا الله كَيْـفَ يشـاءُ وَيَمْنَحُها عَبْقَرِيَّ الفُنُونْ

* * *

وأنْشَأتَ مِنْ زِينَةٍ في الحياةِ لِتَبْلُوَ مِنَّا الهَوَى واليَقِينْ
وَتَبْلوَ مِنَّا خَبايَا الصُّدُور ونَجْوَى القُلُوب وهَمْس الجُفُونْ
فَكَمْ زِينَةٍ سَعَّرَتْ فِتْنَةً تلظَّتْ عَلَى شَهْوَةٍ أو مُجُونْ
وكَمْ زِينَةٍ رفَّ فيها الجَمّالُ يُطَهِّرُ أَشْوَاقَنا والحَنين[1]
فَزِينَةُ هـٰذي الحَيَاةِ رِيَاشٌ وزهْوَةُ مَالٍ وَشَوْقُ البَنِيْنْ
يُبَدِّلُهَا النَّاسُ في سَعْيِهِمْ شُكُورَ التُّقَى أو جُحُودَ الفُتُونْ
فَكَمْ جَاهِلٍ ضَلَّ في غَيِّه فَظَنَّ الجَمَالَ هَوَى المُعْتَدِينْ
وَلَهْوَ الحَرَام عَلَى شَهْوَةٍ تَوَاثَبُ بَيْنَ غَوَانٍ وعِينْ

* * *

رَفِيفُ الجَمَالِ نَوَالُ الحَلالِ وصِدْقُ الوَفَاءِ وعَهْدٌ أَمينْ
وأَجْمَـلُ آيَاتِـهِ أَنَّـهُ هُوَ الحَقُّ والطُّهْرُ أنّى يكُونْ
ونورٌ تَدفَّقَ مِلءَ الوُجُودِ يُزيحُ الظَّلاَمَ ويَنْفي الظَّنُونْ
وَحُرِّيَّـةٌ أُطْلَقَـتْ أَنْفُساً لِتَمْضِيَ في مَوْكِبِ العَابِدِينْ

* * *

سَيَبْقَى الجَمالُ لَنَا آيَـةً يَرَى الله في صِدْقِها العَالمونْ
ويَبْقى هَوَانَا هَوَى الصَّادقِينَ فَمَا الحُبُّ إلا هَوَى الصَّادقِينْ

---

(١) إشارة إلى أن كلمة زينة ترد في القرآن الكريم لتدل على الزخرف العام، فإن كان طاهراً إيمانياً ترد لفظة الجمال، وإن كان شرّاً ترد لفظة «فتنة».

وَمَا الحُبُّ إلا زَكِيُّ الجَمَالِ ... نَقِيُّ الفعَال وَفَاءٌ وَدِينْ
وَمَنْ عَرَفَ الحُبَّ للــــهِ عَلّمَهُ الحبُّ تَرْكَ المُجُونْ

* * *

ففي كُلِّ ناحِيَةٍ آيَــــةٌ ... مِنَ الحُسْنِ تُجْلَى وحَقٌّ يَبِينْ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ الـــــه ... رَبُّ الخَلائِقِ والعَالمينْ
وَلَيْسَ يَرَاهَا سِوَى مُؤمِنٍ ... وَلَيْسَ يَرَاهَا سَوَى المتَّقين
وأَنْتَ جَميلٌ تُحِبُّ الجَمالَ ... فَقُـلْتَ لَنَـا يا عِبَـادِي اتَّـقُـونْ

* * *

٤ /٦ /١٤٠٨هـ
٢٣/ ١ /١٩٨٨م



زخـرف وحقيقـة

كنت في زيارة للمسجد الأحمر في دلهي ـ الهند ـ أثناء أحد المؤتمرات. ولقد رأيت هناك من مظاهر الفقر والجوع والعري بين المسلمين ما تقشعر منه الأبدان. وأقبل علينا الصبيّ والفتى والكهل والشيخ، يَحُثُّون الخطا. ورأيت بين هؤلاء رجلًا هرماً بانَتْ أضلاع صدره وتهدّل ذراعاه وضمر بطنه على عجز وسوء حال.

لم تفارقني هذه الصورة وألحّت عليّ. فما كنت أعتقد قبل ذلك أن الإنسان ظالم إلى هذه الصورة المفجعة. أين الدولة؟ أين المسلمون؟ أين الإنسان؟!

وعلى غير موعد خرجت هذه الأبيات تمثّل حواراً تخيلته دار بيني وبين ذلك الرجل الهرم!

مَدَدْتُ يَدِيْ كيما أجودُ بِدِرْهَمٍ ... عَلَيْهِ فَحَيَّاني وبَشَّ وَأَقْبَلا

عَليهِ بَقَايا مِن ثِيابٍ وخِرقَةٌ ... أغارَ عَلَيْهَا الدَّهرُ ثُمَّ تَحوَّلا

وَقَدْ بَرزَتْ مِنهُ العِظَامُ! عَرفْتُهَا! ... عِظامٌ! ولكن رَابَ نَفْسِي وأَذْهَلا

بَقَايَا! وأَشْبَاحٌ! وشيءٌ! فَبَعْضُها ... تَوَارَى ومِنها مَا أَطَلَّ وبَدَّلا

عَرفْتُ مِنَ الأَحْناءِ صَدْراً مُنسَّقاً ... ومِنْ سَاعِدَيْهِ خِلْتُ شيئاً تَهَدَّلا

وَمِنْ وَهَنِ السَّاقَينِ أَشْبَاهَ هَيْكلٍ ... وبَطناً رَمَاهُ الذُّعْرُ دَهْراً فأَجْفَلا

* * *

فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَهلْتَني ... وإنِّي أنا الإنْسَانُ أَصْلاً ومَنْزِلا

أَبي آدَمٌ! خَرَّت مَلائِكَةُ السَّمَا ... سُجُوداً له! مَن كَانَ أعْلى وأَفْضَلا!

وكَرَّمَني رَبِّي! فَيا لَفَضِيلةٍ ... وَصَبْري عَلَى مَا قَدْ قَضَاهُ وعَجَّلا

وَأَسْعَى جِهَاداً في الحَيَاةِ وربَّما ... طَغَى ظَالمٌ فِيهَا فَآذى وَعَطَّلا
وَأَمْضِي مَعَ الدُّنيا أُؤَدِّي أَمَانَةً ... وأَطْلُبُ في الأُخْرَى نَجَاةً ومَوئِلا
ولكنْ تُرَى مَنْ أَنْتَ؟ فيمَ سأَلتَني ... وأَنْكرْتَنِي؟ هُلَّا عُرَفْتُكَ أَوَّلاَ؟!
عَلَيْكَ ثِيَابٌ قَدْ تَخَفَّيتَ خَلْفها ... وطيبٌ! فَمَا أَحْلَى الثِّيَاب وأَجْمَلاَ!

* * *

فَحِرْتُ وَلَمْ أَدْرِ الإجابة! عَلَّنِي ... سَمِعْتُ مَقالاً ما أَجَلَّ وأَعْدَلا!
وَمَا كُنتُ قبْلَ اليوم فَكّرْتُ من أنا ... وَلاَ سَأَلَتْ نفسِي السُّؤَالَ المؤمَّلا
ظَنَنْتُ بهِ جَهْلاً فلمَّا سَمِعْتُهُ ... عَلِمْتُ بأَنِّي كُنْتَ أَعْيَا وَأَجْهَلاَ

* * *

١٤٠٨/٦/١٠هـ
١٩٨٨/١/٢٩م

الجنى الحلو

رُبَّ سَاعٍ مَضَى جَدَّ في سَعْيِهِ ... يَقْتَني زَادَه مِنْ جَنَى عُمْرِهِ

يَدْفَعُ الخَطْوَ في دَرْبه صَاعِداً ... للمُنى أَزْهَرتْ في رُؤى فَجْرِهِ

مُؤمِناً... ! رَبُّه الله قَدْ أَيْقَنَتْ ... نَفْسُهُ أَنَّهُ في حِمَى نَصْرِهِ

فَهْوَ لله في كُلِّ مَا قَدْ سَعَى ... وَهْوَ لله في السِّرِّ أَو جَهْرِهِ

بَلَّلَ الأَرْضَ والأُفْقَ والمجْتَنَى ... مِنْ نَدَى سَعْيِهِ أَوْ نَدَى ذكْرِه

جَدَّ... والله يُعْطي لمَنْ خَصَّهُ ... دَفْعَةَ العَزْم في اليُسْر أو عُسْرِه

يَحْسَبُ النَّاسُ مِنْ حوله أَنَّهُ ... ضَلَّ في سَعْيِهِ أو أَسى صَبْرِه

لَمْ يَزَلْ وَجْهُهُ مُشْرقاً بالهُدَى ... والضِّيَاء الذي شَعَّ مِنْ طُهْرِه

بَسْمَةُ الأمنِ... أو طَلْعَةُ أَشْرَقَتْ ... مِنْ مُحَيًّا مَعَ الفَيْضِ مِنْ نورِه

والرَّياحِيْنُ كمْ فَوَّحَتْ حَوْلَهُ ... وَانْتَشَى دَرْبُهُ مِنْ شَذَا عِطْرِه

آيَةُ الحقّ في قلبه جَوْلَةٌ ... يَطْلعُ البِشْرُ فِيها عَلى دَهْرِهَ

والجَنَى الحُلْوُ مِنْ غرْسه مُورقٌ ... مُثْمِرٌ قدْ زكا الطيب مِنْ زَهْرِه

لمْ يَزَلْ يَجْمعُ الزَّادَ في دَرْبِهِ ... كي يَرَى رَحْمَةَ الله في قَبْرِه

حَبَّذَا الزّادُ زادًا رَأَى خيْرَه ... في رِضا نِعْمَةٍ أو أَسَى فقرِه

* * *

٤/١٢/١٤٠٥هـ

٢٠/٨/١٩٨٥م

الإنسـان
بين الذهب والنحاس

الذَّهبُ:

أَنا الذَّهَبُ الغَالِي، فَأَيُّ مَكانَةٍ تنافِسُني فيها وأَنْتَ نُحَاسُ
أَنا الجوهَرُ الصَّافي ومَا بي شَوائِبُ وأنتَ مَعَ الأَخْلاطِ مِنكَ جناسُ
مَكَانِيَ تيجانُ المُلُوكِ وَحِلْيَةٌ وَيَزْهو بْحُسْني معْصَمٌ وَلِبَاسُ
وَأَنْتَ مَعَ الأَوْشَابِ تُلقَى وَتُزْدَرى وَتُرْمى على أعتابِهَا وَتُدَاسُ
وَيُغني بِي الرّحمن مَنْ شاءَ بَهْجَةً وَيسْعَدُ بي قَلْبٌ ويذْهَبُ بَاسُ
وَيفقَرُ إن أَدْبَرْتُ صَاحِبُ حاجَةٍ وَيشْقى ببُعْدِي أُمَّةٌ وأُناسُ

* * *

النُّحاس:

رُوَيْدَكَ! هَلْ غرَّتْكَ خَطْفَةُ لَمْعَةٍ وَومضَةُ حُسْنٍ أَوْ بَريقُ ثَنَاءِ
أَغرَّكَ حُسْنٌ كَمْ فَتَنْتَ بِهِ الوَرَى وَقَطَّعْتَ مِن ودٍّ وحَبْلِ إخَاءِ
فَلَولاكَ ما هَاجَتْ حُرُوبٌ ولا طَغَتْ شُرُورٌ ولا هاجَتْ بُحُورُ دِمَاءِ
إذا ازَّيَّنَتْ مِنْكَ السَّلاطِينُ إنَّما تَزيَّن شَهوَاتٍ وبَغى ثَرَاءِ
ولكنَّني خيرٌ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ لِذي ثَرْوَةٍ إنْ شِئْتَ أو فُقَرَاءِ
أَسُدُّ مَعَ الأخْلَاطِ حاجَةَ أُمَّةٍ وأَدْفَعُ عَنْهَا مِنْ شُرور بَلاَءِ
فَإنّيَ في «الماعون» صُلْب قِوامِهِ وفي غَيرِه عَونٌ وكفُّ سَخَاءِ
ومن يَمْنَع «الماعُون» يُجْزَ بِشَرِّه وَمَنْ يُعطِهِ يَرْجعْ بخَيْرِ جَزَاءِ
وَبي زِينَةٌ لا يُرْهِقُ النَّاسَ حَمْلُهَا وَمَا أَنَا فَتَّانٌ وَلاَ بِمُرائي

* * *

الذَّهبُ:

أتحسبُ جَهْلاً أنني بَرقُ فِتْنَةٍ ... وَمَا أَنا إلا شعْلَةٌ في الدَّياجرِ
ولكنَّهُ الإنسانُ صَاحِبُ شَهْوَةٍ ... تَمُورُ بِبُرْكـانٍ مِنَ الشَّرِّ ثائرِ
فيُبْلى بمَا تَجْني يَدَاهُ وَيُبْتَلَى ... وتَمْضي عَليه مِنْ صُرُوفِ المقادرِ
كأنَكَ قَدْ أُوتيْتَ مِثلَ ابن آدم ... مِنَ الحَسَد القَتَّال فارْجعْ وَحاذِرِ
أَتُلْبَس من ثوبي وتُومِضُ وَمْضَتي ... لِتَخْدَع مِنْ غِـرٍّ شَقيٍّ وَعَاثِرِ
مَنَازلُ تَبْلُوْهَا المَعَادِنُ كُلُّها ... عَلَى قَدَرٍ لله ليس بجَائِرِ
خُلِقْنَا، فيُمْضِي الله سُنَّة خَلْقِهِ ... عَلَى حِكْمةٍ غَلاَّبةٍ وَمَصَائِرِ
ولو عَرَفَ الإنسانُ كُلَّ مَكَانَهُ ... لَهَانَتْ أُمورٌ أو نَجَا من كَبَائِرِ
فَمنْزلَةُ الإنْسَان أوفَى لِقَدره ... إذا نَالَهَا في صِدْقِهِ والمآثِرِ
وَلَوْ وَافقَتْ أَهْوَاؤُه قَدْرَ نَفْسِهِ ... لعزَّ عَلى خَصْمٍ وَطابَ لِذَاكِرِ
كذلك أشْكَالُ المَعَادِنِ كُلِّها ... مَنَـــازِلُ فَضْــلٍ أو مَنازِلُ خاسِرِ

الإنسانِ :

رُوَيدَكما!.. لَـمْ تَذْكُرَاني بِصَالحٍ ... وَلِيْ فِيكُما فَضْلٌ مِنَ الله وافِرُ
فَما أَنْتُمَا إلاَّ مَصَادِرُ نِعْمَةٍ ... مِنَ الله يُجْرِيهَا فَنِعْمَ المَصَادِرُ
وَمَا أَنْتُمَا إلاَّ ابْتِلاَءٌ وفِتْنَةٌ ... إذا بَرقَتْ مِنْ بَيْن ذاكَ المَظاهِرُ
يُمَحِّصُنَا الرَّحمن في كُلِّ نِعْمَةٍ ... لِيُعْرفَ مِنَّا مَعْدنٌ وَجَواهِرُ
فَمَا هـذِهِ الدُّنْيَا سِوَى دَارِ فِتْنَةٍ ... لِيَنْجُوَ مِنْهَا مَنْ يَعِيْ ويَحَاذِرُ
ومَنْ يَعْبُدِ الرَّحمن يُخْلِصْ لِدينِهِ ... وَمَنْ مَالَ عَنْه مَزَّقَتْه الحَوافِرُ

وما هُو مُجْدٍ في الحيَاةِ تَنَافُسٌ إذا كان في دُنيا الهَوى والمخاطِرُ
سَنُطوَى جَميعاً في التُّرَاب يَضُمِنا ظَلاَمُ قُبُورٍ أَوْ تَضمُّ الأَزاهِرُ
فَذلك مَيْدَانُ التَنَافُسِ تُجْتَلَى عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى هُنَاكَ المآثِرُ

* * *

استانبول

٢٠/١٠/١٤٠٦هـ

٢٢/٦/ ١٩٨٦م

كنا نجلس في «الرُّجوم» في مدينة صفد في فلسطين مع المساء، نشرف على بحيرة طبريا والجبال التي تحوطها والبدر الذي ينساب عليها في منظر جميل آخاذ. فقلت:

بحيرة طبريا

تناديك هذي! فاسْتَجِبْ أيُّها الشِّعْرُ ... أما زِلْتَ تَلْهو بالهَوى والهَوى شَرُّ
دَعِ الغيد لا تَطمعْ بِوَصْلٍ فإنّها ... ولو وَعَدَتْ لا يَسْتَقِيمُ لَهَا أَمْرُ
وصِلْ سِحْرَ هاتيكَ المعالِمِ والرُّبى ... ففيها جَلالُ الحُسْنِ والجَوْهَرُ الدّرُّ
بُحَيْرَتنا! يا طَلْعَةَ الحُسْنِ والهَنا ... وَيَا لهَفَةَ المشتاقِ هاجَ به الذكْرُ
تخفُّ لَكِ العُشّاقُ من كُلِّ موطنٍ ... سِرَاعاً! وأَبوابُ الهوى مسلك وعْرُ
كَسَاها الدُّجى ثَوباً لِيَسْتُرَ حُسْنها ... فمَزَّقَ هذا الثَّوبَ صَبٌّ له سِحْرُ
أَلَمْ تَـرَ أن البَدْرَ سَال بِحِلْيه ... على صَدْرِها فازدان من حِلْيه الصَّدْرُ
بَدَتْ آيَةً لله فاخْشَعْ لخالقٍ ... وقَدْ بانَ من آياتِهِ حُسْنُها البكرُ
وتِـلْكَ الهضابُ الخاشعاتُ أَحطْنَها ... كأَنَّ حُنوَّ العاشقين لهـا سِتْرُ
جلسنا وقد حالت هِضابٌ وأنْهُرٌ ... وجاوزت العينان ما أَبْعَدَ الدَّهْرُ
وراقت لنا الدنيا وطاب نسيمُهَا ... فغاب بنا فِكرٌ وجاء بنا فكرُ
وطابَ مع الخِلّان صَفْوُ حَدِيثهم ... وطــاب بتسبيحِ الإلـه لنا الـذكْـرُ

١٩٤٥م

* * *

خضراء الدمن، الفتاة التي غرَّها جمالها المدنّس، فأخذت تفتن الشباب حتى ملأها الغرور والكِبْر! فغرقت في فتنة الدنيا، وفي بحرها المتلاطم جثة هامدة.

خضــراء الدمــن

وَفتاةٍ لَا تَرَى الحُسْـنَ سِــوَى فِتنَـةٍ تَنْـزعُ مِنْ جِلْبَابِهـا
وَتَرى المُتْعَةَ في لَهْو جَرَى وَهَوىً ضَـجَّ عَلَى أَبْوَابِهـا
وعَبيْدِ اللَّيْلِ... والعشَّاقِ تَهْـ ـوي صَبَابَاتٍ عَلَى أَعْتَابِها

* * *

كَمْ شَقِيٍّ تَاهَ فِيهَا جاهِلاً وَشَقـيٍّ كَـانَ مِنْ خُطَّابِهَا
كَمْ فَتـىً غِرٍّ جَـرَتْ أَنْفَاسُهُ خلفَهـا... تَلْهَثُ فِي طُلَّابِهَا
غَرَّهَا الحُسْـنُ فَلَمْ تَحْفَلْ بِهِمْ وَجَرَتْ تَخْتَالُ فِي أَتْرَابِهَا
لَمْ يكُنْ حسنا على أعطافها مـا بـدا.. بل كـان من كذّابها
روعة الحُسْنِ عَفَافٌ يَتَّقِـي زلَّـةَ العَيْنِ وَلَا يَشْقَـى بهـا
وَرِداءُ الطُهْرِ أَحْلَى زِيْنَةٍ وَسَـنىً لـو مَـاجَ في آدَابِهـا
تُنْـزَعُ العِفَـةُ في عَرْبَـدَةٍ ومُجُونٍ ضَجّ في تَصْخَابِهَا
وَجَمَالُ العُـرْيِ في خُضْرَتِـهِ دِمَـنٌ تَقْتُـل مِنْ أَصْحَابِهَـا

* * *

أَقْبَلَـتْ لِلشَّاطِيء الهَادِيء في فِتْنَة القَدِّ وَفي أَهْدَابِهَـا
وَرَمَـتْ عَنْهَا بَقَايَا قِطَـعٍ وَتَثَنَّى الدَّلُّ مِنْ إِعْجَابِهَـا

وَمضَتْ تَنْفُثُ مِنْ فِتْنَتِهَـا شَـهْوَةً تَصْـرَعُ مَنْ يُرْمى بِهَا
سَكَـنَ المَـوْجُ . . فَلَمَّا طَلَعَتْ هَاجَ يَنْفضُّ عَلَى أَعْقَابِهَا
فَرمَـتْ بَيْنَ ثَنَاياهُ الهَـوَى لَهَبـاً يَحْـرِقُ مِنْ أَعْصَابِهَـا
لَمْ يكُـنْ يُطفِـيءُ مِنْ ثَوْرَتِهَا دَفْقَـةُ المَوْجِ وَلاَ أَسبَابُهـا
لمَّها المَوْجُ شَظَايَا شَهْوَةٍ وبَقَايَا لَهْفَةٍ تُطْوَى بِهَا
تَتَلوَّى فَوْقَهُ مِنْ ضَجَرٍ قَاتِلٍ . . . . يَضْرِبُ في أَسْرَابِهَا
تَتَلَوَّى . . . والمِيَاهُ انتفضَتْ خجَلا مِنها . . ومِنْ أَوشَابِهَا
وَهَوَتْ لِلقَاعِ . . . والمَوْجُ لَهُ ذِكْرَياتُ الشَّوْقِ مِن أَضْرَابِهَا
كَمْ فَتىً أَلْقَى بِهِ في قاعِهِ وَفَتَاةٍ ضَمَّ مِنْ أَوْصَابِهَا
واخْتَفَتْ مَا تَركَتْ غَيْرَ صَدىً حَالِـمٍ يُفْزِعُ مِنْ أَترابِها
زَبَـدًا لَـمَّ عَلَى أَطْرَافِـهِ لَهْفَةَ الشّوقِ إِلَى تَصْخَابِهَا
ضَمَّهَا القَاعُ وَأَلْقَى حَوْلَهَا كَفنَا يَطوي هَوى أَحبَابِهَا
هكذا البَحْرُ فَكمْ مِنْ صَدَفٍ يحفظُ الدّرّة مِن نُهَّابِهَا
دُرَّةٌ لكنَّهَا مَا حَملتْ عِفَّةَ الدُّرِّ . . . وَمَا أَحْرَى بها . . . !
بَرَدَتْ أَنْفَاسُهَا فِي لُجَّةٍ يَزْحَفُ المَوْتُ عَلَى أَعْقَابِهَا
وانْتَهتْ قِصَّتُها في قاعِهِ آيَةً تُرْوىٰ عَلَى أَصْحَابِهَا

* * *

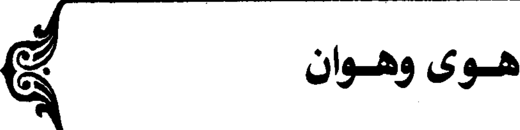
كَمْ مَضَتْ فِيْ دَرْبِهَا مَجْنُونَةً تَنْهَبُ الخَطْوَ إلى أَسْرَابِهَا
تَتَلقَّاهَـا الأَيَـادِي فِتْنَـةً وَلظىً يَحْـرِقُ مَنْ يُلْقَى بِهَا
وتظنُّ العُمْرَ مَمْدُوداً لَهَا وَمَتَاعَ العُمْرِ مِنْ أَسْلاَبِهَا
هكَـذَا الدّنْيا مَتَاعٌ زائِـلٌ والهَوَى يَقْتُلُ من يُغْرَى بِهَا

أَوْسَعُ المتْعَةِ في دُنياكَ لمْ يَعْدُ أَنْ تَلْقَاهُ مِنْ أَشْذَابِهَا[1]
والذي يَجْمَعُ مِنْ دُنْيَاه يَصْـ ـرَعُهُ الشَّوْقُ عَلَى أَعْتابِهَا
كُلَّمَـا أَوْغَلَ في شَهْوَتِـه عَادَ كَيْ يَطْرُقَ مِنْ أَبْوَابِها

* * *

١٩٥٤م

(١) الأشذاب: القشور.



هـوى وهـوان

مَالْي أَرَى كُلَّ يَوْمٍ دَمْعَةً سَقَطَتْ   تَبْكي الطُّلولَ وتَبْكي الأَهْلَ والوَطَنَا

مَا كَانَ أَجْدَرَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ حَفِظُوا   عَهْداً ومدُّوا يَداً أَو أَسْكَتُوا فِتَنَا

بَكَوْا على الدَّارِ لمَّا أَصْبَحَتْ أَثَراً   وَمارَعوهَا وَقَدْ كَانتْ لَهُمْ سَكَنَا

رَمَاهُمُ الخُلْفُ حَتَّى شَقَّهُمْ فِرَقاً   وأَطْلَقَ الشرَّ واسْتَشْرَى بِهِمْ عَفَنَا

تَقَاسَمُوهَا حُدُوداً غَيْرَ آمِنَةٍ   فما استَقَرَّ فَتىً فِيها وَمَا أَمِنَا

كُلٌّ يُغَنِّي هَوَى رَبْعٍ أَقَامَ بِهِ   ويَحْسَبُ المجْدَ في أَفْيَائِهِ قَطَنَا

هذَا يَقُولُ: هُنا قَلْبُ العُرُوبةِ لم   تَخْفِقْ بغَير هواهُ أضلعي شَجَنا

وذا يَقُولُ: هُنا أُمُّ الدُّنا فَلَكَمْ   مَدَّتْ لنا الأَرْضُ مِنْ رِزْقٍ بهَا وجَنَى

وظَنَّ كُلُّ دَعِيٍّ أَنَّ عُصْبَتَهُ   تَكْفِيهِ إِنْ مَالَ شرٌّ نَحْوَه وَدَنا

غَفَا وَمَال وَمَا أَعْطَى سِوَى لَغَطٍ   وَلَمْ يُرَوِّ بهَا زَرْعاً وَلا غُصُنَا

فَقَطَّعُوا رَحِماً أَو مَزَّقُوا سَبَباً   وَضَيَّعُوا جَوْلَةً أَوْ أَغْلَقُوا أُذُنَا

رَضُوا بِمَا قَسَّمَ الأَعْدَاءُ مِنْ قِطَعٍ   رضاً يُثَبِّتُ فِيها الذُّلَّ والوَهَنَا

وَأَطْلَقُوا مِنْ شعَاراتٍ مُزَخْرَفَةٍ   ومِنْ هُتَافٍ يُدِيرُ السُّكْرَ وَالوَسَنَا

كَأَنَّما الوَحْدَةُ الكُبْرَى مُسَاوَمَةٌ   أَوْ مَدْمَعٌ كُلَّمَا نادَيْتَهُ هَتَنَا

* * *

وَيْحَ العُرُوبَةِ! كَمْ قَلْبٍ يُقَالُ لَهَا   وَمَا تَرَى أَبداً قَلْباً صَفَا وَحَنَا

كُلٌّ يُقيمُ عَلى أَهْوائِهِ صَنَماً   ويَجْعَلُ الشَّوْقَ مِنْ أَحْلامِهِ وَثَنَا

لَو كَانَ يَعْلَمُ قَومي مَا مُصِيبَتُهُمْ   لأَرْخَصُوا دُونَها الأَرْواحَ والبَدَنا

مَا مِنْ عَدْوٍّ لَهُمْ إلَّا نُفُوسُهُمُ ... تَسُوقُ كَلَّ عَدُوٍّ أَوْرَثَ الحَزَنا
هَوىً يَقُودُهُمُ في كُلِّ مُرْدِيَةٍ ... وَشَهْوَةٌ عَرْبَدَتْ رِجْساً بِهِمْ وَخَنا

* * *

ما للعُروبَةِ مِنْ قَلْبٍ يَدُقُّ لَهَا ... إلَّا الهُدَى يملأ الدُّنيا رِضاً وَسَنَا
يَحُوطُها الدِّين عِزّاً أو يَمُدُّ لَهَا ... عَزْماً ويَرْفَعُ أَسْيَافاً لَها وَقَنا
وَيَرْبِطُ العُرْوَةَ الوُثْقَى عَلَى رَحِمٍ ... وَلَا يُرَدُّ به إحْسَانُهُ مِنَنَا
وَطَلْعَةُ الحقِّ بالإسْلامِ مُشْرِقَةٌ ... تَزْوِي الظَّلَامَ وَتَزْوِي الشَّرَّ والدَّخَنَا
فَلا تَرَى مِنْ غَرِيبٍ في مَنَازِلِهِ ... مُضَيَّعٍ أو فَتىً عَنْ أَهْلِهِ ظَعَنَا

* * *

إنَّ العدى جَمَّعُوا أَشْتَاتَهُمْ وأَتَوْا ... زَحفاً عَلَيْنَا يَغطِّي السَّهْلَ والحَزَنَا
مِنْ كُلِّ مِلَّةِ كُفْرٍ لَا تَرَى أَبَداً ... إلا امتصاصَ شُعُوبِ الأرضِ والضَّغَنَا
فَأَشْعَلُوا الأَرْضَ مِنْ أَطْماعِهِمْ لَهَباً ... وسَجَّرُوا البَحْرَ مِنْ طُغْيَانِهِمْ سُفُنا
وَفَجَّروا الأُفْقَ مِنْ عُدْوانِهِم حُمَماً ... تَهْوِي فَتَسْحَقُ مِنْ أَهْوَالِهَا المُدُنَا
هَلَّا أَفَقْتُمْ؟! فما زَالَتْ لَنَا فُرَصٌ ... يُنْجِي بِهَا الله مَنْ أوفَى وَمَا رَكَنَا
هُبُّوا يَداً بِيَدٍ صَفّاً نَشُدُّ بِهِ ... بُنْيَانَنَا ونشُقُّ الدَّرْبَ والسُّنَنَا

* * *

١٤٠٦/٦/١٢هـ

١٩٨٦/٢/٢١م

القاعـدون... الصامـتون

قُمْ أيُّهَا الرَّجُلُ انْتَقِدْ وانطقْ وَقُلْ
شَيْئاً لِمَنْ قَدْ ضَيَّعُوا الأَوْطَانَا
وَأَدِرْ لِسَانَكَ بالبَيَانِ فَرُبَّمَا
وَعَتِ القُلُوبُ، إِذا نطقْتَ، بَيَانَا

* * *

يا سَيِّدي! قَطَّعْتُمُ مِنّي اللِسَا
نَ فَلَسْتُ أَمْلكُ أَنْ أُديرَ لِسَانَا
كَمْ قُلْتُمُ اخرَسْ أَمْسِ ، لا تَنْطِقْ، فَلَمْ
أَنْطِقْ ورُحْتُ أُخَاطِبُ الجُدْرَانَا
وَغرِقْتُ في صَمْتي وَصِرْتُ كمَا تَرَى
يَا سَيِّدي! عَبْداً لدَيْكَ جَبَانَا

* * *

يَا صَاحِ ! قُمْ واصْرَخْ وَأَطْلِقْ مِن حَنَا
جرِكَ الدَّوِيَّ وأَطْلِقِ البُرْكَانَا
كَمْ كُنْتَ تَهْدُرُ فِي الشَّوارِعِ هَاتِفاً
«يَحْيَــا»، ويَسْقُطُ، كَمْ رَفَعْتَ «فُلانَا»

* * *

يَا سَيِّدي! أَلقَمْتُمُونِي صَخْرَةً،
أَنَسِيْتُمُ، وَسدَدْتُمُ الآذَانَا
وَخنَقْتُمُ مِنَّا النِّدَاء عَلى الحَنَا
جر، في الصُّدُور، قَهَرْتُمُ الإِنْسَانَا
مَا عُدْتُ أَقْوى أَنْ أُعِيدَ مِنَ النِّدَا
ءِ، أَوِ الثُغاءِ، أَوِ المواءِ الآنَا
أَنَا في القَطيع، مَعَ القَطِيعِ، أَلاَ ترى
كَمْ تَدْفَعُ الدُّنْيَا لَكَ القطْعَانَا

* * *

فارْفَعْ إِذَنْ كَفَّيْكَ في وَجْهِ العُدَا
ةَ الزَّاحِفِينَ وَزَلزِلِ الأَرْكَانَا
فَلَقَدْ دَنَا خَطَرٌ عَلَيَّ فَقُمْ لَهُ،
وانْهَضْ، وَخُضْ مِن أَجْلِي المَيْدَانا
لا أَسْتَطِيعُ بغَيْر صَوتِكَ صَيْحَةً
وَبِغَيْرِ كَفِّكَ لا أَهُزُّ سِنَانَا

* * *

ثَقُلَ الحَدِيدُ على يَدَيَّ وَعضَّنِي
قَيْدٌ أَقَامَ عَلَى يَدَيَّ زَمَانَا
مَا عَادَ لي زَنْدٌ يَهُزُّ قَواطِعاً
أَبَداً وَلاَ عُدْتُ الفَتَى الطَّعَّانا
أَنَسِيتُمُ قَهْرَ السُّجُونِ وَذُلَّهَا
وعَذَابَهَا أَنَسِيتُمُ السَّجَّانَا

وَرَضِيتُ في ذُلِّ العَبيدِ كَمَا تَرَى
وَغَضَضْتُ مِنْ هَوْلِ الأَسى الأَجْفَانَا
وَقَبَعْتُ أَنتَظِرُ الهَلاَكَ لأَنَّني
فَارَقْتُ - مِثْلَكَ - بِالهَوَى الإِيمانَا
وَفَقَدْتُ صَيْحَتيَ الأَبيَّة والعَزيـ
مَة، لَمْ أَعُدْ يَا صَاحِبي إِنْسَانَا
وَلَسَوْفَ يَجْرِفُنَا العَذَابُ سَوِيَّةً
وَنَذوقُ مِنْ مُرِّ الهَوَانِ هَوَانا

* * *

الثلاثاء ١٥/٧/١٤٠٦هـ
٢٥/٣/١٩٨٦م



عندما غابت الشمس

أصبح «اللجوء» مظهراً من مظاهر العالم الإسلامي. وأصبحت الغربة حياة الكثيرين، وصارت الخيمة شعار الناجين. أفواج وأفواج في العالم الإسلامي تعيش في ما نسميه «مخيّما». . . ! النازحون من فلسطين، لبنان، سوريا، أفغانستان، أرتيريا، الفليبين. . . وكثير غيرها. . .

ويقع الاعتداء على مخيم. . . كما حدث في تل الزعتر وصبرا وشاتيلا في عمليات إبادة. ويظل في كل مكان في مخيمات العالم الإسلامي تبرز بطولة الإيمان، هنا أو هناك. . . !

وهذه صورة من أحد هذه المخيمات، تضم خيمة عائلة مؤمنة قتل رب الأسرة في يوم، وعاد الهجوم في اليوم الثاني، وتصدّى الفتى في جولة لقاتل أبيه فأرداه قتيلاً. . عندما غابت الشمس. . . !

في هذه القصيدة حوار بين الفتى وأمّه، وقد طلع عليهم العدوّ بجنوده ودباباته، طلع الذين كانوا يظنونهم أهلاً لهم وجيراناً، من خلال شعارات غنّاها الكثيرون.

عندما غابت الشمس

يَا لَفْتَةَ الصّبْحِ وَمَا يُضمِرُ وَلَهْفَةَ الأفْقِ وَمَا يَنْشُرُ
وَلَمْسةَ النُّورِ عَلَى خَيْمَةٍ كَأَنَّها لَمْسَةُ مَنْ يَحْذَرُ
وَرعْشَةَ العُشْبِ وَأَزْهَارِه عَلَى نَدَىً يَظْهَرُ أَو يُسْتَرُ
سَحَابَةٌ حَائِرَةٌ في مَدًى يَحْبِسُها الشَكُّ فَلا تُمْطِرُ
وخَفقَةَ الطَّائِرِ في عُشِّهِ عَلَى صَدىً مِنْ أَمْسِهِ يُنْذِرُ
وَطَلْعَةَ الشَّمْسِ على فَجْوَةٍ تَسْأَلُ مَا الأَمْرِ؟ مَنْ يُخْبِرُ
وَغضْبَةَ الخَيمَةِ مِنْ أَمْسِهَا وصَيْحَةَ المؤْمنِ لا تُنْكَرُ
هُنَا فَتًى ضَمَّ عَلَى جُرْحِهِ أَشْوَاقَهُ تَكَادُ لَا تَصْبِرُ

* * *

يا أُمُّ ضَاقَ الأَمْرُ مِنْ حَوْلِنَا ورَحْمَةُ الله لَنَا أَكْبَرُ
إِذَا عَدَا الغَادِرُ فِي كِبْرِه هَوَى... وأرداه هَوى أَغْدَرُ
سَيَقْتُلُ الظَّالِمَ عُدْوَانُهُ يَصْرعُهُ الكَيْدُ وَمَا يَمْكُرُ
لابُدَّ يا أُمِّيَ مِنْ جَوْلَةٍ يَهْدأُ فِيهَا القَلْبُ أَوْ يَظفَرُ

* * *

أَمَاهُ... ! مَنْ هذا..؟ أرى خَطْوَهُ أَسْرَعُ مِنْهُ نَصْلُهُ الأَحْمَرُ
يَسْتَبِقُ الخَطْوَ إلى خَيْمَةٍ تَكَادُ مِنْ غَضْبَتِهَا تَزْأَرُ
يُقْبِلُ في عِصَابَةٍ نَحْوَنَا والصُّبْحُ مِنْ إقْبَالِهِمْ يُدْبِرُ
يَرُوغُ كالثَّعْلَبِ في مَكْرِهِ وَسُنَّةُ الله بِهِمْ تَمْكُرُ

عَرَفْتُهُـمْ أُمَّاهُ . . ! عَـادُوا لَنَـا وَالمَـوْتُ مِـنْ أَكُفِّهِمْ يَقْطُـرُ
هَـذِي وُحُـوشٌ مِنْ بَنِي آدَمٍ يَحْمَـرُّ مِنْهَا نابُهـا الأَذْكَـرُ
بالأَمْس مَزَّقـوا أَبِـي مَا رَعَـوا حُرْمَـةَ شَيْبَـةٍ وَلا أَعْـذَرُوا
فَأَفْرَغُـوا النَّـارَ عَلَـى عُـوْدِه فَانْفَجَـرَتْ مِنْ عُـوْدِهِ الأَنْهُـرُ
كَأَنَّهَا المِسْـكُ علـى نُـوْرِه وَنَفْحَـةُ الصِّـدْق شَذاً أَطْهَـرُ
يَا دَفقَةَ الرَّصَاص . . . لَمَّا يَزَلْ دَويُّها عَلَى المَـدَى يَكبُـرُ
يُرَوِّعُ الطَّيْـرَ صَـدًى نَـازِفٌ ويَصْبِـغُ الأُفْـقَ دَمٌ أَحْمَـرُ
يَا وَيْحَهُمْ . . . قَدْ أَفْرَغُوا حِقْدَهُم مِنْ أَضْلُعٍ تَغْلـي بِهَـا أَبْحُـرُ
سَوْداءُ . . . مِـنْ دُخَانِهَا ظُلَّـةٌ وَمِـنْ حَمِيمِهـا لَظـىً يَصْهَـرُ
خَلْفَ الصَّلِيْبِ اسْتَتَرُوا . . . وَيْلَهُمْ ذلِـكَ لا يُخْفـى وَلا يَسْتُـرُ
عِصَابَـةٌ يَـدْفَـعُ بُـهْتَانَـهَـا حليُّها . . . والظُّلْمُ . . . والمظْهَرُ
لا يَتْـرُكُ التَّـارِيْخُ مَا أَجْرَمُـوا وَلَا يُـوَارِي الحـقُّ مَـا زَوَّرُوا
اليَـومَ هَاجَ الشَّوْقُ مِن أَضْلُعـي أَنـفاسُـه الرَّيْحَانُ والعَـنْبَـرُ

* * *

بُنَيَّ . . . هَيَّا . . . إِنَّهُمْ أَقْبَلُـوا فَانْهَـضْ إِلى اللِّقَـا فَمَا نُعْـذَرُ
رَوائِـحُ الجَنَّـةِ قَـدْ فَوَّحَـتْ وَدَرْبُـهَـا مُنَـوَّرٌ مُـزْهِـرُ
مَا العُمْـرُ إِلَّا جَوْلَـةٌ حُـرَّةٌ يَصْـدُقُ فيهـا العَـزْمُ والجَوْهَرُ
فَهَـاتِ بُنْـدُقِيَّـةً أَرْعَـدَتْ وَلْيَسْتَقِـمْ في كَفِّـكَ الخَنْجَـرُ
وَأَطْلَقِ الصَّيْحَـةَ في وَجْهِهِـمْ تَسْمَعُهـا الآفَـاقُ والأَعْصُـرُ
وكَـبِّـرِ اللهَ فَـمَـا غَـيْـرُه يُكَبَّـرُ اليَـوْمَ وَلَا يُنْصَـرُ

وادْعُ شَبَابَ الحَيِّ كَيْ يَنْهَضُوا ... لِمَوْثِقٍ في الله أَنْ يَنْفِرُوا
هَيَّا بِنَا نَمْضِي إلى خَنْدَقٍ ... يَضُمُّنَا جِهَادُنا الأَخْضَرُ

* * *

والْتَفَتَتْ كُلُّ الخِيَام الّتي ... أَفْرَغَهَا الأَهْلُونَ والمَعْشَرُ
كَأَنَّمَا تُطْلِقُ أَكْبَادَهَا ... في مَدَدٍ تَمْضي بِهِ الأَعْصُرُ
طَائِفَةٌ ظَاهِرَةٌ حَقُّهُمْ ... أَنْ يَصْدُقوا الله وَلاَ يُدْبِروا

* * *

بُنَيَّ... ! هـٰذِي عُصْبَةٌ أَقْبَلَتْ ... وَهـٰذِه دَبّابَةٌ تَهْدُرُ
وهـٰذِهِ طَائرَةٌ حَوَّمَتْ ... كَأَنَّهَا تُمْهِلُ أو تُنْذِرُ
تَسُدُّ وَجْه الأُفْقِ في هَجْمَةٍ ... والأُفْقُ مِنْهَا أَغْبَرٌ أَكْدَرُ
أَلاَ تَرَى اليَهُودَ مِن حَوْلِهِمْ ... وعُصْبَةُ الشِّرْكِ وَمَنْ يَمْكُرُ
أَلاَ تَرَى الأَحْزابَ قَدْ أَوْعَبَتْ ... يَدْفعها الكِبْرُ وَمَا دَبَّرُوا

* * *

وَدَارَتِ الحَرْبُ وَأَبْطَالُهَا ... تَدَافَعَتْ للمَوْتِ لا تُدْبِرُ
في لَهَبٍ مُحَلِّقٍ صَاعِقٍ ... وَدَفْقَةٍ خَاطِفَةٍ تَزْخَرُ
وَأَفْرَغوا المَوْتَ على سَاحَةٍ ... واشْتَعَل اليابِسُ والأَخْضَرُ
فَكَمْ تَرَى في السَّاحِ مِنْ مَشْهَدٍ ... كَانَ هُنَا... غَابَ وَمَا يَظْهَرُ
كَأَنَّما يُخْطَفُ في لَمْحَةٍ ... وَتُسْحَقُ الأَرْضُ وَمَا تَعْمُرُ
أَيْنَ خِيَامٌ زَغْرَدَتِ للرّدى؟ ... أَيْنَ فَتىً كَانَ هُنا يَخْطُرُ؟
أَيْنَ بَقَايَا رَعْشَةٍ لِمَهَا الـ ... ـعُشْبُ..؟ وأَيْنَ الحَقْلُ والبَيْدَرُ؟

أيْـنَ بَقَايا الطِّفْـلِ في مَلعَـبٍ وبَسْمَـةٍ إشْـراقُها نَيِّـرُ ؟

* * *

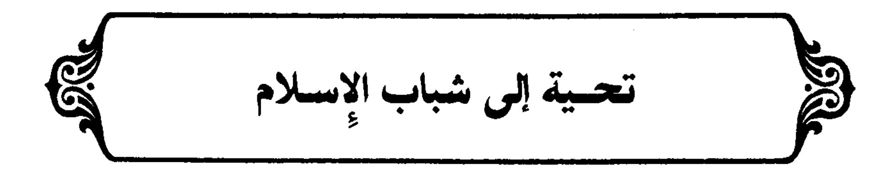
وَدَارَتِ الحَـرْبُ إلى سَاعَـةٍ تَميلُ فِيهـا الشَّمْسُ أَوْ تُدْبِـرُ
وَصاحَتِ الأُمُّ... بُنَيَّ انْهَضَنْ أمَامَـكَ اليَوْمَ هَـوىً أخْطَـرُ
بُنَيَّ...! هـٰذَا مُجْرِمٌ مُقْبِـلٌ فانْهَضْ فأنْـتَ الفَـارِسُ الأَقْدَرُ
عَرَفْتَـهُ أمْـسِ بعُـدْوانِـهِ فَلَقِّـنِ الظَّالِـمَ مَـا يَحْـذَرُ
فَهَـبَّ كالبَـرْقِ عَلَى غَـادِرٍ تَسْبقُـهُ الأَشْـوَاقُ وَالخِنْجَـرُ
وسَـدَّدَ الطَّعْنَـةَ في صَـدْرِه تَتَابَـعَ المَـوْرِدُ والمَصْـدَرُ
هَوَى بِهَا المُجْـرِمُ واسْتَسْلَمَتْ أحقادُهُ... وَالنَّصْلُ لا يَغْفِـرُ
وَلَمْ يَكَـدْ يُبْصِـرُ مَا حَولَـهُ وغَفْلَـةُ الظالِـمِ لا تُبْصِـرُ
وكلُّ شَـيءٍ دَارَ مِـنْ حَوْلِـهِ حِينَ هوى... فَراعَهُ المنْظَرُ
كَأنَّمـا الأَشْـيَاءُ وَثَّابَـةٌ إلَى فَضَـاءٍ لَوْنُـهُ أغْبَـرُ
فدَارَتِ الأَرْضُ عَلَى جَفْنِـهِ وَذِرْوَةَ الخَيْمَـةِ وَالخنْجَـرُ
وَطَلْعَـةٌ مِنَ الفتَى لَـمْ تَـزَلْ تُفْزِعُه... ووَجْهـهُ الأسْـمَرُ
وَقُبَّةُ المَسْجِـدِ طَيْـفٌ عَـلاَ يَمُـوجُ في الأُفْـقِ سَنَا يَبْهـرُ
وهـٰذِه مِئْذَنَـةٌ شَقَّـتِ الأُ فْـقَ. نـدَاؤُهَا مَـدىً أكْبَـرُ
هَوَى... وَمَا أَمْسَكَ أنْفَاسَـهُ والمَـوْتُ مِنْ أنْفَاسِـهِ يَقْهَـرُ
تَفَجَّـر الدِّمَـاء مِـنْ صَـدْرِه سَوداءَ... لا تَهْـدَأُ أو تَصْبرُ
يَفُـورُ مِنْهَا حقْـدُهُ فَـوْرَةً كأنَّهـا البُرْكَـانُ... أو أخْطَرُ
يَا وَيْلَـهُ لمَّا هَـوَى فِـي دَمٍ مُضَرَّجـاً بالرِّجْس لاَ يَطْهُـرُ

تَلْفُظُــه الأَرْضُ وَسَــاحَاتُهــا		والبَحْــرُ واليَابِــسُ والمَعْشَــرُ
هَوَى. . . وَقُرْصُ الشَّمْسِ مِنْ رِجْسِهِ		أَشَاحَ. . . والآفَـاقُ والأَعْصُـرُ
وَغَابَــتِ الشّمْــسُ عَلَى بُقْعَــةٍ		سَوْدَاءَ. . . لا طِيبُ وَلاَ جَوْهرُ

* * *

٦ /٣ /١٤٠٦هـ

١٨/١١/١٩٨٥م



تحـية إلى شباب الإسلام

قَدَّمْتُ هذه القصيدة إلى المؤتمر الثاني عشر الذي نظمه ودعا إليه اتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا، واتحاد العمال المسلمين في أوروبا والمركز الإسلاميّ في آخن، وذلك خلال الفترة من يوم السبت ٢٩/١١/١٤٠٧هـ الموافق ٢٥/٧/١٩٨٧م حتى يوم الأربعـاء ٤/١٢/١٤٠٧هـ المـوافق ٢٩/٧/١٩٨٧م، في مدينـة كولن في ألمـانيا الغربية. وقد حضر المؤتمر عدد غير قليل من رجال الدعوة والفكر وطلاب الجامعات وغيرهم.

أُشير في هذه القصيدة إلى بعض أمراض الواقع الإسلامي، وأشير إلى القاعدتين الرئيستين اللتين يقوم عليها كل نهج وتخطيط ودعوة وبناء. وهما:

١ ـ دراسة المنهاج الرباني ـ قرآناً وسنة ـ كما نزلا باللغة العربية والإيمان والعمل به.

٢ ـ دراسة الواقع الذي نعيش فيه والذي نمارس فيه إيماننا ومنهاج الله.

لتنطلق من هاتين القاعدتين: المنهاج الربّاني والواقع، سائر قواعد العمل والفكر والنهج والتخطيط.



تحية إلى شباب الإسلام

يا شَبَابَ الإِسْلَام يَا نَدْوَةَ الإِيـ ـــمَانِ يَا نَفْحَةَ الهُدَى والتَّلاَقي

يَا زُنُوداً تَشَابَكَتْ بِزُنُود وَرِجَالاً تَوَاثَبَتْ لِسِبَاقِ

يَا حَنَانَ الإِخَاء يَا لَهْفَةَ الشَّو قِ رُؤىً حَوَّمَتْ عَلَى أَحْدَاقِ

أَيْقِظُوا في النُّفُوسِ آمَالَ تَارِيـ ـــخٍ وأَحْيُوا مِنْ فارِسٍ سَبَّاق

* * *

جِئْتُ أَشْدُو مَعَ القَوافي قَصِيْدِي بَيْنَ لُقْيَا نَدِيَّةٍ وافْتِرَاقِ

جِئْتُ يَا إِخْوَتي لأُنْشِدَ لحناً صُغْتُه مِنْ تُقىً وَمِنْ أَشْوَاقِ

صُغْتُهُ مِنْ هَوَى المُروءَةِ والصِّدْ قِ ومن نَفْحِهِ ومِنْ إِشْرَاقِ

مِنْ يَقِينٍ بالله كَالنُّور يسري في عُرُوقي يمُوجُ في أَعْمَاقي

تَمْلأُ الكون آيَةً مِنْ خُشوعٍ وَجَلاَلاً مِنْ نُورِهِ الدَّفَّاقِ

يَدْفَعُ الماءَ في غِرَاسٍ فَيَجْري في عُرُوقٍ مِنْهَا وَفي أَوْرَاقِ

في ثِمَارٍ غَنِيَّةٍ وَزُهُورٍ وَيَنَابِيعَ حَولَها وَسَوَاقِ

وَرَوَابٍ مَكْسُـــوَّةٍ بِـرُواءٍ وَمُروجٍ مَمْدُودَةِ الآفَاقِ

يَدْفَعُ النَّبضَة القَوِيَّة تُحْيي مِنْ نُفُوسٍ وَمِنْ رِضا واشْتِيَاقِ

حَيْثُما مِلْتُ فالحَيَاةُ عَطَاءٌ زاخرٌ والجَمَالُ سِحْرٌ بَاقِ

إِنَّهُ الله فَاسْجُدِي يَارَوابي واخْشَعِي هـٰذِهِ يَدُ الخَلاَّقِ

آيَةُ الحَقِّ في السَّموات والأَرْ ضِ وَدَفْقُ الأَنْوَارِ في الآفَاقِ

فَاخْشَعي يا نُفُوسُ هـٰذِي صخورٌ خَشَعَتْ في رِضـًا وَفي إِشْفَاقِ

واهجري ظُلْمَةً من الجَهْل قُومي حَطِّمي القَيْد وانْعمي بانْعِتَاقِ
قَدْ صَنَعْتِ القُيُودَ مِنْ ذلة الكبـ ـر وَمِنْ فِتْنَةِ الهَوَى والشِّقَاقِ
وَصَنَعْتِ القُيودَ عَضَّتْ على الزَّ ندِ وأَحْنَتْ إِباءَةَ الأعْناقِ
أسْلِمي واخْشَعي وتُوْبي إلى اللـ ـه على مَنْعَةٍ وعزٍّ بَاقِ
واهْجُري ظُلْمَةَ السُّجُونِ إلى النُّـ ـورِ إلى فُسْحَةَ الرَّجاءِ الوَاقي
واهْجُري عَتْمةَ السُّجُونِ! أَقَمْتِ السـ ـجونَ مِنْ شَهْوَة وَمِنْ إغْرَاقِ
هـٰاهُنا دَفْقَةٌ مِنَ النُّورِ تَجْلُو مِنْ مَيادِيْنَها وَمِنْ آفاقِ

* * *

كيف تُرْجى بَوادِرُ النَّصْرِ والأُمَّـ ـةُ أشْتَاتُ فِتْنَةٍ وَفِراقِ
كيف يُرْجَى الخَلاصُ والنَّاسُ غرْقى في ظُنُونٍ وَفِرْيَةٍ واخْتِلاقِ
والشَّياطِينُ تَملأُ الأَرْضَ شَرّاً من خَبيثٍ طاوٍ وَمِنْ فُسَّاقِ
لهفَ نَفْسي على تَمزُّقِ أَهْلٍ ودِيارٍ وَلَوْعَةٍ واحْتِرَاقِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَنَازِلَ كَانَتْ أَمْس سَاحاً لَموكِبٍ وانْطِلاَقِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ يامَسْجِدَ الأَقْـ ـصَـى وَيَا خَفْقَةَ الهُدَى والبُرَاقِ
وَيْحَ نَفْسِي وَكابُلُ تَقذِفُ الأكبَـ ـادَ قَذْفاً في سَاحِهَا الخفَّاقِ
أَيْنَما مِلْتُ لا أَرَى غَيْرَ نارٍ أحْرَقَتْ مِنْكِ أَيَّما إحْرَاقِ
يَادِيَارَ الإِسْلاَمِ أَيُّ مُصَابٍ جفَّفَ الدَّمْعَ مِنْ جَوىً ومَآقِ
كلَّ يَوْمٍ لنا نُواحٌ جَديدٌ وَعَويلٌ وَغُصَّةُ الإِخْفَاقِ
قد ذَرَفْنَا الدُّموعَ حَتَّى كأنا لا نَرى لِلدُّموع أَيَّ بَوَاقِ
لَيْسَ يُجْدِي العَويلُ! هذي المَيادِيـ ـنُ لَهَا خَفْقُ حَسْرَةٍ واشْتِيَاقِ
كَمْ تُراها تَلفَّتَتْ لِرجَالٍ صَدَقوا العَهْدَ أَوْ خُيولٍ عِتَاقِ
فانْفِرُوا..! كلُّ وثْبَةٍ في رُبَاها جَنَّةٌ فَوَّحَتْ وَحُسْنُ خلاَقِ

* * *

يَاشَبَابَ الإِسْلَامِ... ! عَهْدُ مَعَ اللـ ـهِ... ! فَأَوْفُوا بِعَزْمَةِ المِيْثَاقِ
وَصِلُوا لُحْمَةً وَإِنْ قطع النا سُ ومُدُّوا لها حِبَالَ وِفاقِ
يَجْمَعُ الصَّادِقين صَفْوَةُ نَهْجٍ وَجَلاءُ المنى وَيُمْنُ انطلاق
هو نَهْجٌ من الكِتَاب مُبينٌ وهدى سُنَّةٍ ومِنْ أَخْلَاق
وَرُؤَى وَاقعٍ وَسَاحِ ابتِلَاءِ وفتىً صَابِرٍ وَعَزْمِ رِفَاقِ

* * *

فانْفِرُوا... هـٰذِهِ المَيَادِينُ مَازا لَتْ تنادِي لجَولَةٍ ولحَاقِ
وارْفَعُوهَا شَوَاهِقاً مِنْ بِنَاءٍ وصُفوفٍ مَرْصُوصَةٍ وتلاقِ

* * *

١٤٠٧/١٢/١٦هـ
١٩٨٧/ ٨/١٠م

ليميز الله الخبيث من الطيب

عَذِيريَ مِنْ قَوْمٍ تَعاهَدَ قَلْبُهم على الحقِّ في نَهْجٍ به الحقُّ ظاهِرُ
مَضوا كي يَشُقُّوا الدربَ والدربُ دونهُ صخورٌ وأشْواكٌ ودَاعٍ وزاجرُ
تَموجُ بهِ الأَهْواءُ شَرّاً وفِتْنَةً وليْسَتْ لمِنْ يَهْوَى تَضِيقُ المعاذِرُ
فَفِتْنَةُ مَالٍ أو بَنينَ وزَوْجَةٍ وخُضْرَةُ دُنيا والضّلالُ المُجَاهِرُ
وشهْوَةُ آمَالٍ تَهيجُ كأنّها بِحَارٌ على أَمواجِها الركْبُ حائِرُ
عَلَى جَنَبَاتِ الدّرْبِ أَلْوان فِتْنَةٍ ودَرْبُهُم نورٌ من الحقِّ صَادِرُ
إذَا ما رَأَوا عن جَنْبِهم زَهْوَ وَرْدَةٍ تولَّوا إليْها مُسْرِعينَ وَغَادَروا

* * *

فَكَمْ مِنْ فَتىً تلقاه يَلْهَثُ جارياً وراءَ سَرَابٍ مِنْ هوىً وهْو سَادِرُ
كَأَنَّ الذي يَسْعَى له زهْوُ سُمْعَةٍ ولَهْفَةُ دُنيا مِنْ غُرورٍ وخَاطِرُ
فَكَمْ غرَّ أَهْلَ الدّرْبِ بَسْمةُ مُقْبلٍ يَعَضُّ بِصَحْبٍ وَهْو مَاضٍ وَنَافِرُ
وكَمْ غرَّهُمْ مِنْهُ مَظَاهِرُ أُلْفةٍ كَذلِكَ غَرَّ النّاسَ مِنْهُ المظَاهِرُ
لِسَانٌ يَمُجُّ الحُلوَ حتى يَظنَّهُ بَنُو الجَهْلِ عِلْماً وهْوَ في الجهْلِ غَائِرُ
ويُخْفي سَوادَ القَلْبِ والقَلْبُ مَاكِرٌ ويُخفي نِفاقًا وهْوَ باغٍ وجَائِرُ
فَوَاعَجَباً هَلْ يجهلُ المرءُ أنّما هُوَ الله لاَ تَخْفَى عَليهِ السّرائِرُ
وأَوصَى رسولُ الله: حِذْرَكُمْ إذَا أَطَلَّ عَليمٌ باللّسَانِ ومَاكِرُ[1]

* * *

---

(١) إشارة إلى قول عمر بن الخطاب إلى الأحنف بن قيس: «. . وإن رسول الله ﷺ خوّفنا كُلَّ منافق =

وكَمْ مِنْ صَديقٍ كَانَ في الدرب سَائِرا ... تَنَمَّرَ وامْتَدَّتْ عَلَيكَ الأظَافِرُ
وكَمْ مِنْ مُراءٍ نالَ صَفْوَةَ مُهْجَةٍ ... تَغيَّرَ، أهواءُ تَموجُ وخَاطِرُ
وكمْ مِنْ رَفيقٍ كُنتَ تأمَنُ فالتَوَى ... فَذلك ثُعبان وذلك غادِرُ
وَمَا ضَاقَتِ الأعْذَارُ يَوْماً عَلَيْهِمُ ... إذا جاءَهم نُصْحٌ جَليٌّ ووافِرُ
يُمَارُونَ في التأويل جَهْلاً وفِتنة ... فذلِكَ خَدَّاعٌ وذلك مَائِرُ[1]
يظنّون أنْ قد أفْلَحُوا ونَجَوْا به ... فَدارتْ عَلَيْهم بَعْدَ ذاك الدوائِرُ
يُقلِّبُ ربُّ العَالمين قُلوبَنَا ... على حكْمَةٍ لله والله قاهِرُ
وما هـٰذِه الدنيا سِوَى دارِ فِتْنَةٍ ... يُمَحَّصُ فيها النَّاسُ حَتّى يُغادِرُوا
فناجٍ بِأعْمالِ الهِداية رَاشِدٌ ... وغاوٍ بِألْوان الضَّلالة عَاثِرُ

* * *

ولكنَّ أَهْلَ الصِّدْقِ والعَهْدِ أَقْبَلُوا ... وفاءً وإحْسَاناً وجَدُّوا وبَادَرُوا
أجلَّاءُ مثْلُ الصّبح بِشْرُ وُجُوهِهِمْ ... على العَهْدِ ما خَانُوا ولم يَتَدَابَرُوا
أُولئك أَوّابُون لله، نُورُهُمْ ... لَآليءُ مِنْ صَفْوِ الوَفَاءِ جَوَاهِرُ
إذَا أَخطأوا تَابُوا إلى الله توبَةً ... نَصُوحاً وجَدُّوا في المسير وثابَرُوا
وإنْ دَاهَمَتْهُمْ في الحَيَاة مصائِبٌ ... أَنابَتْ لِرَبِّ العالمينَ الضّمائِرُ
ومَدُّوا بَجوفِ الليل كَفَّ ضراعة ... فتجْأَرُ أَكْبادٌ لَهُمْ وحَناجِرُ
ويَمْضُون في دَرْبٍ مَعَالِمُه الهُدَى ... يُلِحُّ بهمْ شوقٌ إلى الله صَائِرُ
ولاؤهُمْ لله وَعْيٌ ومَنْهَجٌ ... وعَزْمُهُمْ في الحَقِّ وافٍ وصَابِرُ

= عليم اللسـان. ولستَ منهم». [أخبـار عمـر وأخبـار عبـدالله بن عمر، علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي (ص ٢٠٤)].

(١) مائرٌ: متردّد.

لهُمْ من كتاب الله نُورٌ وحِكْمَةٌ ... ومِنْ سُنَّة المُخْتَارِ هَدْيٌ وزاجرُ
دُعَاةٌ إلى التّوحيد ليس يصُدّهم ... عن الحقِّ لَهْوٌ أو غنىً أو مَفَاقِرُ[1]
ويَرْعَونَ أجْيَالاً عَلى نهْج أحْمدٍ ... فيُغْنيهُمُ زَادٌ عَلى الدّرْب وافِرُ
ويَبْنُونَ مِنْهُمْ أُمَّةً فكأنَّها ... دَعَائِمُ بُنْيَانٍ سَمَتْ وَعَمَائِرُ
فَتَمْضِيْ جِهَاداً في سَبيل رِسَالةٍ ... فَتَغْنَى بَوَادٍ عِنْدَها وَحَواضِرُ
أُولئِكَ أنفاسُ الرَّبيع إذا بَدَوا ... وإطْلالَةُ البُشرَى بهِمْ وأزاهِرُ
أولئك في اللَّيْلِ البَهيمِ كَأنَّهُم ... إِذَا طَلَعُوا فيه بُدُورٌ زَوَاهِرُ

* * *

ولله في الدُّنْيا شُؤونٌ وحِكْمَةٌ ... عَلَى سُنَنٍ تَمْضِي بهنَّ المَقادِرُ
ولَولاَ تكاليف الأمانَةِ لم يَفُزْ ... تَقيٌّ ولم يَخْسَرُ شَقِيٌّ وَسَادِرُ
لقَد عُرِضَتْ تلك الأمَانَةُ فانْتَهى ... إليها قَويٌّ في المَيَادين صَابِرُ
فهذي هيَ الدُّنْيا ابْتِلاءٌ وفِتْنَةٌ ... ويوم الحِسَاب الحقِّ تُبْلى السَّرَائرُ
وتُكْشَفُ أعْمالُ البَرَايا فَهالِكٌ ... إلى النّار أو نَاجٍ أَتَتْهُ البَشَائِرُ

* * *

الجمعة ٧ /١٢/١٤١٣هـ
٢٨/ ٥ /١٩٩٣م

---

(١) المفاقر: جمع مفقرة. وهي أحوال الفقر ووجوهه.



أرج الميدان

اللّيلُ! حنانُك يَجْمَعُهُ ... وَيَزيْدُ الشّوْقَ وَيُوسِعُهُ

وَتَهُبُّ إِلَيْك بَوَادِرُهُ ... وَعَصِيُّ الدَّمْعِ وَطَيِّعُهُ

وَقِيَامُ الّليْلِ وهَجْعَتُهُ ... وَنِدَاءٌ فِيْهِ يُرَجِّعُهُ

ما بين سُجوْدٍ في رَغَبٍ ... وَرِضًا فِي الله يُشَفِّعُهُ

وَرُكُوعٍ مَالَ عَلَى رَهَبٍ ... وَحَنينٍ بَاتَ يُصَدِّعُهُ

تَتَجَافَى أَضْلُعُهُ رَهباً ... ويكَادُ هَوَاهُ يَصْرَعُهُ

هَلْ هَاجَ الشَّوقَ وحَرَّكَهُ ... مَا كَانَتْ تَكتُمُ أَضْلعُهُ

دَفَعَ الأنَّاتِ عَلَى كَبِدٍ ... فَجَرَتْ بالأَنَّةِ أَدْمُعُهُ

يَطْوِيْهِ اللَّيْلُ وَيَنْشُرُهُ ... عَزْماً في السَّاحَةِ يَدْفَعُهُ

كَمْ شَقَّ الدَّرْبَ وَهَبَّ لَهُ ... وَعَجَاجُ الوَثْبَةِ مَطْلَعُهُ

وَمُحَيًّا يَجْلُو الفَجْرَ سَناً ... وَيُزِيْحُ اللَّيْلَ وَيَرْفَعُهُ

وَيَدُقُّ الأَرْضَ بِوَثْبَتِهِ ... وَيَمُدُّ الدَّرْبَ وَيَقْطَعُهُ

كالبَرْقِ يَشُقُّ اللَّيْلَ ضِياً ... يَجْرِي كالرَّعْدِ يُصَدِّعُهُ

وَإِذا مَا كَبَّرَ في شَرَفٍ ... آفَاقُ الدُّنْيَا تَسْمَعُهُ

يَمْضِي فِي الأَرْضِ عَلَى ثِقَةٍ ... بالله وَعَهْدٍ يَمْنَعُهُ

والله وَلِيُّ الصَّابِرِ في ... نُعْمَى أَو بَلْوى تُوْجِعُهُ

ويَمُـدُّ العَبْـدَ بحَاجَتِـه ... إنْ صَحَّ إلَيْـهِ تَضَرُّعُـهُ

مَنْ كَـانَ هَـوَاهُ في دُنْيَـا ... فَمتَـاعُ الدّنْيَـا يُولِعُـهُ

واللَّهْـوُ وَفِتْنَـةُ غانِيَـةٍ ... والكأسُ.... ولَيْـلٌ يُتْرِعُـهُ

وَحُمَيَّـا النَّشْـوَةِ عَرْبَـدَةٌ ... وَمُجُـونُ الشَهْـوَةِ يَصْرَعُـهُ

وَمَـن اسْتَعْلَـى فِي هِمَّتِـه ... فَنَعِيـمُ الجَنَّـةِ مَطْمَعُـهُ

يَعْلُو وَتَعِـفُ النَّفْـسُ وَمَا ... تَهْـوِي لِـدَنايـا تُوقِـعُـهُ

المُؤمِـنُ جَـوْهَـرُه أَلِـقٌ ... وكريـمُ المَعْدنِ يَصْنَعُـهُ

يَجْلُـو الإيمَـانُ سَجِيَّتَـهُ ... والطُّهْـرُ يَقِيـهِ وَيَرْفَعُـهُ

فَسَـلِ المَيْـدَانَ وَغَضْبَتَـهُ ... يُنْبِئْـكَ الجَوْلَـةَ مَوْقِـعُـهُ

وَسَطَ السَّاحَـاتِ وَخَاضَ بِهَـا ... لجُجَـاً والحَـقُّ تَـطَلّعُـهُ

والجَنَّـةُ رائِحَـةٌ عَبَقَـتْ ... وشَـذاً قد فَـاحَ تَضَوُّعُـهُ

الجَنَّـةُ مهـوَى أَضْـلُعِـهِ ... وَحَنيـنَ الأَضْلُـعِ يَدْفَعُـهُ

تَجْتَـازُ الدّنْيَـا لَهْفَتُـهُ ... وَيُـلِحُّ الشَّـوْقُ وَيَقْـرَعُـهُ

تَهْـوِي الهَامَـاتُ بِضَرْبَتِـهِ ... وَيَصُـدُّ الجَحْفَـلَ يَصْدَعُـهُ

وَطَـنٌ للهِ مَـواقِـعُـهُ ... وَحِمـىً يَهْـواهُ وَيَمْنَعُـهُ

قُدْسِـيُّ الأرض لَهُ عَبَـقٌ ... وَهَـوَى الإسْـلَام وَأَرْبُعُـهُ

دارٌ بِـالـوَحْـيِ مُجَلَّلَـةٌ ... وَدَوِيُّ الهَـدْيِ يُـرَجِّعُـهُ

يَفْدِيـهِ وَيَسْكُـبُ مِنْ دَمِـهِ ... نُـوراً يَجْلُـوه وَيَرْفَعُـهُ

وَيَظَـلُّ مَعَ التَّاريـخ لَـهُ ... ذِكْـرَى تَرْوِيـهِ وَتَصْنَعُـهُ

فَهَوَى...! والنَّصْـرُ بِرَايَتِـهِ ... فَأَطَـلَّ وَأَشْـرَقَ مَطْلَعُـهُ

وَتَــرَى المَيْــدَانَ يَخِـفُّ لَـهُ وَحَنَــانُ السَّــاح يُشَيِّعُــــهُ
وَنَـدِيُّ الــرَّوضِ وَنَسْمَتُــهُ وكُبُــودُ الأَهْــلِ تُوَدِّعُــــهُ
والــــوَرْدُ وَنَفْحَــــةُ زَهْرَتــهِ وَنَدَاهُ. . . هُنَالِـكَ مَهْجَعُــهُ
والـــوَرْدُ ودَفْـــقٌ مِنْ دَمِـــهِ أَحْـــلاهُ المِسْكُ وَأَرْوَعُـــهُ
يَاطِيبَ المَضْجِـــعِ فـي أَرَجٍ يَصِـلُ التَّارِيْـــخَ ويَجْمَعُــــهُ
وَظِـــلالُ الشَّـوْقِ لَهُ سَكَــنٌ وَحَنيــنُ السَّاحَــةِ مَضْجَعُــهُ
وَنَدِيُّ الرَّحْمَـــةِ تُمْطِــــرُهُ وَرِيـاضُ الجَنَّــةِ مَـرْبَعُــهُ

* * *

٩ /١/١٤٠٦هـ
٢٣/٩/١٩٨٥م

هي النجاة أدركيها
(النجاة من حضارة الغرب)

أيُّ جُنُـــونٍ مُـوبِــقِ ... أيُّ رَدىً مُـحَـقَّــــقِ
أيُّ ضَيَـــاعٍ تَـائِـــهٍ ... أيُّ هَــــلاَكٍ مُحْــــدِقِ
يَـا وَيْحَهُـــمْ قَـدْ غرِقُـوا ... أيُّ فتـىً لَـمْ يَـغْـــرَقِ
فِي شَهْــوَةٍ مَحْمُــومَـــةٍ ... وَفِتْنَـــةٍ لَــمْ تَــرْفُـــقِ
وَنَـــزْوَةٍ عَــارِمَـــةٍ ... مِنْ مُجْــرِمٍ وَمِنْ شَـقِـــي
وَظُلَمَــــةٍ زَاحِفَـــةٍ ... تَسُـــدُّ وَجْـــهَ الأُفُـــقِ

* * *

يَـا أُمَّــــةً مَـا بَرِحَــــتْ ... فِـي خَــدَرٍ لـمْ تُـفِــقِ
وَسَكْــرَةٍ غَـارِقَـــةٍ ... فِـي حُلُــمٍ مُنَمَّـــقِ
وغَـفْــوَةٍ قَـاتِـلَـــةٍ ... فِـي لَهْوِهَـا المُمَــزِّقِ
عَلى شِعَـــارٍ كَــاذِبٍ ... وَرَايَـــةٍ لَــمْ تَصْــدُقِ
وَتَـاجِــــرٍ مُضَـــلِّلِ ... وَمُــدَّعٍ مُـرْتَـــزِقِ
وَفَــاجِـــرٍ وَغَــادِرٍ ... وَخَائِــنٍ وأَحْمَـــقِ
يَحَــارُ فـي أُصُـولِهِــمْ ... كُــلُّ فَتَــىً مُدَقِّـــقِ
وكُـــلُّ يَــوْمٍ شُـبْهَـــةٌ ... عَلَـى رِجَــالٍ تَـرْتَقِـــي
فَمِـــنْ يَهُــودِيٍّ عَلَـــى ... قِـنَاعِـــهِ الـمُـــزَوَّقِ

وَمِـنْ صَليبِـيٍّ جَـرَى ... خَلْـفَ هَـوىً مُفَـرِّقِ
يَـظُـنُّ أَنَّ الأجْنَبِـيْ ... يُنْجِـدُهُ فـي المـأْزَقِ
لَـو كَـانَ فِيهِ عَـزَّةٌ ... لِدِيْنِـهِ لَـمْ يَنْفسُـقِ
وَمَـا رَمَـى فـي دَارِهِ ... مِـنْ لَهَـبٍ مُحَـرِّقِ

* * *

وَاخْتَلَـطَ النَّـاسُ عَلَى ... مَصْلَحَـةٍ وَمِرْفَـقِ
فَلَـمْ تَعُـدْ تَميْـزُ بَيْـ ... ـنَ جَاهِـلٍ أَوْ مُتَّقـي
لا خُلُـقٌ يَجْمَعُهُـمْ ... أَوْ دَعْـوَةٌ مِـنْ خُلُـقِ
وَلاَ هُـدَى الـدِّيْـنِ وَلاَ ... مَوْعِظَـةٌ مِنْ مُشْفِـقِ
تَزَاحَـمَ النّـاسُ على ... لَعَـاعَـةٍ أو رَمَـقِ
كَـمْ فَتَحُـوا مِنْ فِتَـنٍ ... هَاجَـتْ وَلَمَّـا تُغْلَـقِ
كَمْ فَتَقُـوا في دَارِهِـمْ ... فَتْقـاً وَلَمَّـا يُرْتَـقِ
كَانُـوا عَلَـى يَـدٍ وَقَلْـ ... ـبٍ وَاحِـدٍ وَمَـوْثِـقِ
وَأُمَّـةٍ مَرْصُـوصَـةِ البُنْـ ... ـيَـانِ لَـمْ تُشَـقَّـقِ
يَضُمُّهَـا القُـرآنُ وَالسُّـ ... ـنَّةُ ضَـمَّ المُـرْفِـقِ
يُنِيـرُ مِـنْ دُرُوبِهَـا ... إِلَـى صَبَـاحٍ مُشْـرِقِ

* * *

كَـمْ عَصَبِيَّـةٍ رَمَـتْ ... لَنَـا بِشَتَّـى الفِـرَقِ
وَجَاهِـلِيَّـةٍ أَتَـتْ ... لَنَـا بِشَتَّى الطُّـرُقِ
فَمِـنْ هَـوَى قَوْمِيَّـةٍ ... إِلَـى هَـوَى مُسْـتَرْزِقِ

إلى اشْتِرَاكـــيٍّ جَـــرَى يَهْيــجُ حِقْـــدَ المُمْلِـــق
مُـدَّعِيـــاً بأَنَّـــهُ يَسْعَـــى لِيَـــوم مُـــورِق
فَـأَفْقَـــرَ النَّـــاسَ وَأَجْـ ـــرَى نَصْلَـــهُ في العُنُـــق
وَقَـادَيانـــيّ أَتَـــى بفِتْنَـــةٍ لَـــمْ تُـغْلَـــق
وَمـنْ بَـهَـائـــيٍّ رَمـــى النـ ـــاسَ بشَـــرٍّ مُغْـــرق
يَـا فِرَقـــا يَـمِيـــزُهَا الشَّـ ـــيْطَـــانُ دُونَ الـفِـــرَق
رَمَـــى بِهَـــا الأُمَّـــةَ فـي خَـواطِـــر ومَـنْطِـــق
وَكُـلُّهـــا صنيعـــة لأَجْـنَبـــيٍّ مُنْفِـــق
فَـلَمَّهـــا الفِـــرَنْـــجُ فِـــي خَتَالـــه الـمُلَفَّـــق
مَـا بَيْـــنَ «واشُـــنْطـنَ» أَوْ «لَـنْـــدُنَ» شَـــرُّ المـــأْزَق
وَظُـلْـــمُ «بَاريـــسَ» الّـــذي طَـغَـــى بِكِبْـــر مُرْهِـــق
وَكُفْـــرُ «مُـوسْكُـــو» لجَّ فِي عُـدْوَانـــه الـمُطَـــوِّق
وكُـــلُّ مَـــنْ يَـتْبَعُـهُـــمْ مِـنْ طَامـــعٍ فـي مَشْـــرِق
يَصُـــوغُ مِـــنْ فِرْيَتِـــهِ عَلَـى لِسَـــانٍ ذَلِـــق
يَصُـــوغُهَا مِـنْ كَـــذِبٍ وَزُخْـــرُفٍ مُنَمَّـــق
يُـلاَمِـــسُ الحِقْـــدَ الـــذِيَ نَمـــا بصَـــدْرٍ ضَيِّـــق
أَوْ طَمَـــعٍ طَـــوَاهُ فـــي أَحْنَـائِـــه مِـــنْ فَـــرَق
فَكَـــم تَـــرَى من رجلٍ وَصَيحَـــةٍ مِـــنْ نَـــزَق
وكَـــمْ تَـــرَى عِصَابَـــةً وَثَـــوْرَةً مِـنْ حَنَـــق
تَغيـــبُ في سَكْـــرَتـهَـا مِـن خَمْرِهَـــا المُعَتَّـــق
تَهيـــجُ فـــي عَاصِفَـــةٍ مِـــنْ غيِّهَـــا المُنْطَلـــق
وَغَضْبَـــةٍ مِـــنْ شَـــرَهٍ وَصَـــرْخَةٍ مِنْ حُمُـــق

تَقُــولُ : يَـا حَضَــارَةَ الــ ـــغَـرْب أَطلّــي واخْفقــي

وَأَقــبلــي بِـكُــلِّ زُخْــ ــرُفٍ وَكُــلِّ رَونَــقِ

وَأَقْبلــي . . . . وَغَـرِّدي مَـعَ الهَـوَى وَصفِّقي

وَاقْـتلِعـي الــدِّيْـنَ وكُـ ــلَّ غرْسَـةٍ مِنْ خُلُـقِ

وَزَيِّنـي الظُّلْـمَ . . . وَحَمْـ ـأَ الجنْس . . . دَفْقَ الشَّبَـقِ

هَـاتِ لنَا الفِتْنَـةَ فـي زَهْـو الشـبَاب الـرَّيِّـقِ

وَجَـرِّدي المَـرْأَةَ مِـنْ عِفَّتِهـا وَانْطَلِقـي

وَجَـرِّدِيهـا مِـنْ بَقَـا يَـا ثَـوْبِهَـا وَالخِـرَقِ

وارْمِ بِهَـا عَـارِيَـةً عَـلَى ثَنايَـا الطُّـرُقِ

لكُـلِّ ذِئْـبٍ جَائِـعِ وكُـلِّ وَحْـشٍ مُطْبِـقِ

ثـمَّ اقْـتلِـي بَقِيَّـة الإِ نْسَـانِ فِيهَا واسْحَقـي

لـمْ يَبْـقَ إلاّ مُـضْغَـةٌ يَلفُظُـهَـا كُـلُّ شَـقِـي

يَـبْصُقهـا . . . وَيَنْثَـنِـي لِلَهْــوِهِ المُمَـزَّقِ

وَغَـلِّفِـي الجَـريمَـةَ الـ ـكُبـرَى بِثَـوْبٍ خَلِـقِ

بـرايَـةٍ كَـاذِبَـةٍ أَوْ بِشِـعَـارٍ شَيِّـقِ

كَـمْ عُـرُسٍ فـي مَأْتَـمٍ ومـأْتَـمٍ فـي رَوْنَـقِ

* * *

حَضَـارَةَ الكُـفْـرِ امْلَـ ـئِي الأَرْضَ بظُلْـمٍ مُطْبِـقِ

بالدَّمْـعِ . . بالأَنَّـةِ . . بالـ ـجُـرْحِ العَمِيـقِ المُرْهِـقِ

بالجُـوعِ . . بالثكْلَـى بأَيْـ ـتَـامٍ . . بِسِجْـنٍ ضِيِّـقِ

بالـذُّلِّ . . بالمَـوْتِ البَطـ ـيء . . بالأَسَى . . بالصَّعَقِ
بالـدَّم فـي مَجْـزَرَةٍ بالَّلهب المُحَلِّـقِ
بكُــلِّ بُنْيَـانٍ هَـوَى بطِفْلِـهِ المُمَـزَّقِ
يَدْفُـنُ فِـي أَنْقاضِـهِ مِـنْ غُـصَصٍ أَوْ حُـرَقِ

* * *

مـا قِيمَـةُ العِلْـم الَّـذِي يُلْهِـبُ حُمَّـى السَّبَـقِ
يُلْهِـبُ مِـنْ جُنُونِـهِ وَمِـنْ هَـوىً أَوْ شَبَـقِ
يَبْنِـي وَيُعْلِـي مَا بَنَـى شَـوَاهقـاً فِي أُفُـقِ
يُنْفِـقُ فِيهَـا عُمْـرَه وَفَيْـضَ كنَـزٍ مُغْـدِقِ
ثُـمَّ نَـرَاهُ يَنْثَنِـي فِـي لحْظَـةٍ مِنْ نَـزَقِ
يَهْدِمُهـا إلـى الثَّـرَى كَأَنَّهـا لَـمْ تَسْمُـقِ
فهـذه حَـضَـارَةٌ وَاهِـيَـةٌ مِـن وَرَقِ

* * *

وَأَيُّ فَـنٍّ يُرْتَجَـى مِـنْ مُجْـرِمٍ لاَ يَتَّقِـي
عَلَـى رَكُـوبٍ لَيِّـنٍ ومَنْـزِلٍ مُنَسَّـقِ
وَآلَـةٍ تَـخْـدِمُـهُ فِـي حَاجَـةٍ وَمِرْفَـقِ
وَهَاتِـفٍ يَجْمَعُـهُ بصحبـهِ المُفَـرَّقِ
ووَثْبَـةِ الصَّـارُوخ فـي عَوَالِـمٍ لَـمْ تُطْـرَقِ
وكُـلُّ مَـا قَـدْ يَشْتَهِيـ ـه مِن نعيـمٍ مُـورِقِ
ونَـزْوَةٍ تَطْرَحُـه فـي خَـدَرٍ مُطَـوَّقِ

رَفَاهَــــةٌ في أُمَّـــةٍ　　وأُمَّـــةٌ فـــي مَحَـــق
فَـــذَاكَ يَجْنِي قُوْتَـــهُ　　مِـــنْ كَـــدِّهِ والعَـــرَق
وذاكَ يَجْـــرِي رِزْقُـــه　　إلَيْـــهِ فَـــوقَ الطَّبَـــق
وكُـــلُّ يَـــوْمٍ فِتْنَـــةٌ　　هائجَـــةٌ لَـــمْ تُغلَـــق
رَصَاصَـــةٌ في كبِـــدٍ　　وطعنَـــةٌ فـي عُنُـــق
قَـدْ نَـزَعَتْ مِنْ نَفْسِـهِ الأَ　　مْـــنَ بِـــذُلٍّ مُرْهِـــق
وَأَوْرَثَتْـــهُ الخَـــوْفَ والـ　　ـشَّـــك وَطُـــوْلَ الأَرَق
حَضَـــارَةٌ مَـــا حَمَلَـــتْ　　سِـــوَى شِـــعَارٍ ضَيِّـــق
حضَـــارة بَالِيَـــةٌ　　كَبَعْـض ثَـوْبٍ خَلَـــق
وكُـــلُّ مَـــا تُفْـــرِزُه　　يَصِيـــرُ نَهْبـــاً لِشَقِـــي
وَملّـــةُ الكُفـــرِ بِهَـــا　　وَاحِـــدَةٌ فـــي فِـــرَق

* * *

أَقْسَـــى جَرَائِـــم العُتَـــا　　ةِ قَتْـــلُ شَعْـــبٍ مُعْـــرِق
وَقَتْـــلُ مَـــا في المـرْءِ مِنْ　　إبَـــائِـــهِ المُـــرَوَّق
وَمِنْ كَـــرَامَةِ الهُـــدَى　　وَعِـــزَّةٍ مِنْ صُـــدُق
وَلاَ تَـــرَى مِنْ دَمْعَـــةٍ　　وَصَيْحَـــةٍ مِـــنْ مُشْفِـــق
مَاتَـــتْ مُـــرُوْءَاتُ الـــرِّجَا　　لِ وانْطَـــوَتْ عَنْ مَلَـــق

* * *

يَـا أُمَّتـــي لاَ تَـرْكَنِـــي　　لظَالِـــمٍ أَوْ أَحْمَـــق
لا تَـرْكنِـــي لِجَاهِـــلٍ　　مَـعَ الهَـــوَى أَوْ أَخْـــرَق

وَاعْتَصِمِي باللهِ والـ ـجَأي لَهُ واسْتَبِقِ

مَنْ كَانَ في حِمَاهِ ظَلَّ في حمىً لِمْ يُخْرَقِ

وَمَأمَنٍ مِنْ كُلِّ عَادٍ مَاكِرٍ أَوْ مِنْ شَقِي

هِيَ النَّجَاةُ أَدْرِكِيهَا أَوْ ذَرِيْهَا فاغْرَقي

* * *

٢٢/ ١/ ١٤٠٦هـ

٦ /١٠/١٩٨٥ م





مع الأصدقاء
بين الحوار والمعارضات
والتهنئة والمداعبات

* مع هارون هاشم رشيد:
  - شاعر يافا (لهارون هاشم رشيد).
  - الأمل المنوّر والوحيد.
  - إلى الشاعر النحوي (لهارون هاشم رشيد)
  - وما عتبي عَلَيك بُحِبٍّ دارٍ
* مع الدكتور يوسف عز الدين:
  - يا أحمد الخيرات (للدكتور يوسف عز الدين).
  - أحلى العتاب.
* مع الخليل النحوي:
  - ليلة في الدوحة (للخليل النحوي).
  - نفحة من موريتانيا.
* تحية «إلى حيدر آباد» في الهند.





مع هارون هاشم رشيد

نشـرت جريدة الشـرق الأوسط في عددهـا ليوم الاثنين ٢١ محـرم ١٤٠٨هـ، الموافق ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٧م، قصيدة للأخ الشاعر هارون هاشم رشيد بعنوان «شـاعر يافا»، يوجهها إلى الشاعر «سعيد العيسى»، «شاعر يافا وغرّيدها، إليه، في غربتـه، نبضـة حب، ودفقة وفاء»، كما كتب الأخ هارون نفسه في مقدّمة قصيدته. والقصيدة حلوةٌ في نغمتها، شجيةٌ في حنينها، غنيّة في بنائها. ولكنني اختلفت مع الأخ هارون في بعض المعاني والتعبيرات التي وردت في قصيدته. فكتبت له رسالة ودٍّ وتحية لأشرح محور اختلاف وجهات النظر، وأرفقت مع الرسالة قصيدة بعنوان «الأمل المنوّر والوحيد»، لأن هذا التعبير والسياق الذي جاء فيه يمثل محور الاختلاف. فهو يقول:

أخـــي بحيــاة يافــا وهــي منــا ـــــ لنــا الأمــل المنــوِّر والوحيــد

وقلت في قصيدتي:

أخـــي بالله لا بـحـيــــاة يــافـــــا ـــــ لنــــا الأمــلُ المنـــوّر والوحيـــد

وكان أن نشر الأستاذ هارون قصيدتي في الشرق الأوسط. ففوجئت بنشرها، ثمّ تلا ذلك أن نشر ردّه الجميل على قصيدتي. وانقطع إلى هنا الحوار الممتع، ربّما بسبب مرضي وتوالي الأحداث. ولكن بعد حين وأنا أراجع القصائد الثلاث انطلقت قصيدة رابعة أختم بها هذا الحوار الشيق بعنوان: «وما عتبي عليك بِحُبِّ دارٍ»، وعسى أن أوفّق في إرسالها إليه.

وأرى مِنْ واجبي نشر القصائد الأربع عسى أن يكون في ذلك وفاء لأخ كريمٍ، وهي:

إلى شاعر يافا: نشرتها الشرق الأوسط في ٢١ محرم ١٤٠٨هـ (١٩٨٧/٩/١٤).

الأمل المنوّر والوحيد: نشرتها الشرق الأوسط في ١٢ جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ (١٩٨٨/١/٣١م).

إلى الشاعر النحوِيّ: نشرتها الشرق الأوسط في ٧ شعبان ١٤٠٨هـ (١٩٨٨/٣/٢٦م).

وما عَتْبي علَيكَ بحبّ دار: (لم تُنشَرْ).

وقد كان من ثمرة هذا الحوار أن دارت بيني وبين الشاعر سعيد العيسى مراسلات كان محور الحديث فيها عن الإسلام. وكان في ديوانه الذي نشره يقدّم لكل قصيدة بآية كريمة ويتحدث عن عيسى عليه السلام وعن مريم بمعاني القرآن الكريم.

شاعـر يافـا

(إلى سعيد العيسى، شاعر يافا.. وغريدها، إليه.. في غربته.. نبضة حب.. ودفقة وفاء..).

(١)

يمر بخاطري.. الاسم الفريد فأسأل.. كيف حالك.. ياسعيدُ
ويافا في قيود الأسر ثكلى يحاصرها.. ويهدمها اليهودُ
فلا الدور التي شهدت صبانا ولا الساحات، تغمرها الورود
ولا النسمات عند الفجرْ سكرى بنفح البرتقال، ولا النجود
ولا التكبير، يشرق في سماها فيزهو في مساجدها السجود
ولا الأجراس.. دقات توالي فتندفع المواكب.. والحشود
ولا الحارات، بالأطفال تزهو وما في ساحة الأحلام غيد

(٢)

فيافا.. اليوم أنقاض تراءى مخربة.. يدنسها العبيد
يجوس دروبها شؤم وحقد وينخر في جوانبها صديد
ودار العامرّيـــة ليس فيها سوى الذكرى، تعيد، وتستعيد
وساعتنا، التي كانت مناراً لنا صَدئت وأخرسها الركود

(٣)

حبيب الشعر. حتى الشعر أضحى كسِيفاً.. لا يثير، ولا يجود
فيافا لا تجيء به التفاتاً ولا في نبره، يرد الوعيد

كلام الشعر، أضحى ثرثرات مبعثرة، يغلفها الشرود
فلا يافا ولا ذكرى لقاها تردد أو يفجرها القصيد
وصار الرمز حجة منشدينا يضلل باسمه الجيل الجديد

(٤)

حبيب الشعر.. بي شوق عنيف ليافا، لا يكل، ولا يحيد
فهلا، هب شعرك من جديد كما الأنسام، يحمله البريد
يجيء من البعيد، وإن تناءت ديار بيننا، وقست حدود
وهل ديوانك المخبوء يعلو شهابا، تَسْـتَنيرُ بـه الوفود

(٥)

أخي بالله، أطلقها سرايا من الكلمات، يحضنها الخلود
فيافا في انتظارك وهي أم لنا.. قد شاقها الابن السعيد
أخي بحياة يافا، وهي منا لنا، الأمل المنور والوحيد
أعدنا للـذي قد كان إنا يؤرقنا لك الشوق الشديد
فخل الشعر يبرق في سمانا فتنتشر العساكر، والبنود
أعدنا للذي قد كان منا وذكّرٍ، ربما انتفع الشهود
فأيام النضال، وإن توارت عن الأنظار، ينشرها النشيد
فأين أخي سعيد، أين منا تراث عن ليالينا، مجيد
وأين مواقف الأبطال دهراً ترد الغزو، شامخة تذود
وأين صحائف، حفظت زماناً مواقفنا، تزيد، وتستزيد
أتذكر صاحبي، كم من شهيد بيافا، غاله الخصم اللدود
وكيف مبكراً هبت تلبي جماهير، تكبلها القيود
فما ضلت، ولا كلت خطاها وإن عز المساند والمريد

(٦)

أعدنا.. شاعري لرؤى هوانا   فما بعد البلاد لنا وجود
ومهما دارت الأيام إنـا   إلى أحضانها، شوقاً نعود
لنا يافا، لنا الذِّكر الغوالي   لنا التُّـرْبُ المقدس، والجدود
أعدنا أطلق الكلمات شعراً   يبشر بالغد الآتي، يجود

* * *

هارون هاشم رشيد

الأمل المنور والوحيد

تجيء هذه القصيدة تجاوباً من الشاعر رداً على قصيدة سبق للشاعر الأستاذ هارون هاشم رشيد أن نشرها في هذه الصفحة عن الشاعر الكبير سعيد العيسى، ابن يافا.. المدينة الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨م.

أخِــي هَارون، حقّـك أنْ تنـادِي ... نـداؤك لو علمــتَ هوًى شريــدُ

جميـــلٌ أن تكــونَ أخــا وفـــاءٍ ... «وتســأَلَ كيـفَ حالُـكَ يَا سعيــدُ»

وحقُّــكَ أن تغنّــي أرضَ يافَــــا ... وتسـحرُكَ «النسائمُ» و«الــورودُ»

وحقّــك أنْ تعـــودَ لذكريــاتٍ ... تمـوجُ بهَا طفــولاتٌ و«غيــدُ»

وأزهـــارٌ تفــوحُ على رُبَاهَـــا ... و«نفــحُ البرتقــالِ أو النجــودُ»

و«حــاراتٌ»، و«أحــلامٌ» ودُنْيَــا ... زهــتْ فيهَا الزّخَــارفُ والشهــودُ

وأطيــافٌ من «الذِّكَــر الغَوالــي» ... و«تُـربٌ» نَفْحُــهُ عبَــقٌ وجــودُ

وأنقاضٌ بكــتْ فيهَــا الليالــي ... وعــوَّى الذئبُ والريــحُ الشديــدُ

وحقُّــك أنْ تصــبَّ الدمعَ صــبًّا ... وقـد غابــتْ «ودنَّسها» اليهـــودُ

حــلالٌ أن يلــحَّ بنَــا حنيـــنٌ ... لأوطـــانٍ «يُفَجِّــره القصيــدُ»

* * *

ولكــنْ كيـفَ تختلــطُ المعانـــي ... وتختلــطُ المشاهِــدُ والشهـــودُ

أخــي! باللهِ لا «بحيــاة يافـــا» ... لنا الأمـــلُ المنـــورُ والـوحيــدُ

أخــي! بالحــقِّ تحملُــه قلــوبٌ ... وبالإيمـــان تدفعُـــه الزنـــودُ

وللرحمـــان تَطْــرق كلَّ بـــابٍ ... وتنطلــقُ «المواكبُ والحشــودُ»

وحلــوٌ أن تثير هـوَى «سعيــدٍ» ليدفعَـه الترنُّـمُ والنشيــدُ
وأيّ تَرَنُّــمٍ يسلــو هَوَانــا ويرجــعُ منـهُ مَا أخذَ اليهــودُ
وأصــدقُ ما يكــونُ بـه هــوانا يقيــنُ مشـرقٌ وتُقــىً وَجُــودُ
وتكبيــرٌ ترجِّعــهُ الثَّنايَــا وتهليــلُ الكتائــبِ والبنــودُ
وخطــفُ المشرعاتِ على ربانَــا على اسـمِ الله زغـردةٌ وعيــدُ

* * *

عجبتُ! وكيــفَ تختلطُ المعانــي وتختلــطُ المناهِـجُ والعُهــودُ
وتجمَــعُ بيـنَ «تكبيرٍ» نــديٍّ تــردِّدهُ البطـاحُ أو الكبــودُ
وبيـنَ مناهــجٍ شتّــى رمتْنــا يرجِّــعُ مـنْ مآسِيهــا الحديــدُ
و«أيامُ النضــال» وكـمْ بلونَــا هتافاتٍ بهَــا وزهَــا النشيــدُ
فيا ليــتَ النــداءَ إذنْ «جهــادٌ» تــدوِّى من عواصِفِــهِ النجــودُ
وتأتلــقُ الرَّوابي من دِمَانَــا وينشــرُ عطـرَهُ البطلُ الشهيــدُ
وحقك أن تحــنّ لأرضِ يافَــا وفـي أطيافِهَــا ذِكـرٌ وصِيْــدُ
فلـو وثَّقْـتَ من شَــوقٍ عُراهَــا لِسَاحــاتٍ وطافَ بـكَ القصيــدُ
ولــجَّ حنينُــكَ الفيَّــاضُ فيهَــا ووُسِّعَتِ المرَابــعُ والحــدودُ
ولمَّ تناثُــرَ الأشــواقِ ديــنٌ وجمَّــعَ منْ نَوازِعِهَــا العُهــودُ
فكيــفَ إذا دعَا هَــذا لِعكَّــا وحرَّكَــهُ لهَا حــبٌّ وحيــدُ
وآخــرُ من رُبــى صَفَــدٍ أتــاهُ هوًى طــاغٍ وذاكَ هـوًى جديــدُ
وصــارَ لكـلِّ قافيــةٍ هواهَــا وأربــابٌ مفرَّقــةٌ تســودُ
تفرقــتِ النفــوسُ إذن عليهَــا وضاعتْ في مسالِكهَــا الجُهــودُ
ولو غنيــتَ يـافَــا في حُلاهــا وما حَمَلتْـه مِــنْ دُرٍّ عُقُــودُ
لكانَ أعــزَّ مَا حملتْــهُ يـافَــا عقيدتُهَــا وتوحيــدٌ رشيــدُ

* * *

أتجعَلُ منْ قَداستِها «تراباً» وأطيبُ قُدْسِها وَحْيٌ عتيدُ
ونورُ نبُّوةٍ وجلال دِينٍ وأطيافُ الفُتوح ومَا تُعيدُ
أتذكُرُ يَا أخِي أيامَ كنَّا تمزّقُنَا عَلى الساحِ البنودُ
لكلِّ قبيلةٍ علمٌ مفدّى وكلُّ مدينةٍ حِزْبٌ جديدُ
فغنِّ إذا رغبتَ هواك ديناً يجمِّعُنا بهِ العهدُ الأكيدُ
وغنِّ هوَى العقيدةِ في جلالٍ يرجِّعُ لحنَها خَضِرٌ وبيدُ
فلولاهُ لمَا عبقتْ رياضٌ ولا نفحتْ روائِعَهَا الورودُ
ولا نفحتْ بساتينٌ شذاهَا وجفَّ البُرتقالُ فمَا يجودُ

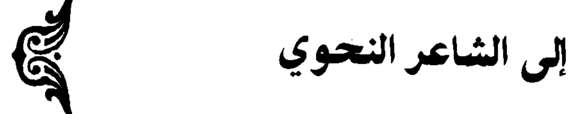
* * *

لعلَّ أخي سعيداً مالَ يَطْوى جِرَاح أسىً فأَسْكَتَهُ الكُنودُ
تحطِّمُه الهزيمةُ كلَّ يومٍ وتهجرُه الأمانِي والوعودُ
فيُطفيءُ حزنُهُ لهبَ القوافي ويسكتُ عندَه وترٌ وعودُ
لعلَّك لو أثرتَ هوَى سعيدٍ بأشواق العقيدةِ قدْ يعودُ

* * *

١٢ صفر ١٤٠٨هـ (٥/١٠/١٩٨٧م)

عدنان على رضا النحوي



إلى الشاعر النحوي

إليه . . مع الحب والتقدير في الرد على قصيدته العصماء.

شعر: هارون هاشم رشيد

سعدتُ . . وشاعري «النحوي» يجودُ ... عليَّ . . بشعرِهِ . . وهو المُجيدُ

يردُّ عليَّ إذْ شِعري يغنِّي ... بلادي، أو يهيمُ بهَا القَصيدُ

وأنِّي للترابِ، نذرتُ شِعْري ... وللجناتِ . . شدَّتني . . الوُرودُ

وأنِّي قد كلفتُ بحبِّ «يافا» ... وهمتُ بهَا . . وأرَّقني الشَّرودُ

وأنِّي قدْ حملتَ لهَا غراماً ... بأعماقي لهُ نبضٌ شديدُ

وأنِّي جئتُ شاعرَها أُنادي ... عليهِ، وهوَ منفيٌّ . . بعيدُ

وأنِّي أحملُ الأسماءَ أُغْني ... بها الأيامَ، إبداعاً . . أجيدُ

يُطَالبني أخِي صِدْقاً، وحباً ... بإيماني . . وإيماني . . وطيدُ

ويَدعوني إلى شدوٍ أُناجي ... بِهِ . . مَا أستطيعُ وأستزيدُ

ويَدْري أنني مـا حدتُ يوماً ... عن الإيمانِ أو مالَ الرشيدُ

حملتُ عَقيدتي سيفاً قوياً ... يقاتلُ لا يكفُّ ولا يحيدُ

وكنتُ بهَا أُدافع عن بلادي ... وعن أقداسِ حرمتِهَا أذودُ

فأينَ العيبُ في هَذا بربِّي ... وفيمَ العتبُ يحملُه القصيدُ

نعمْ إيمانُنا بالقدسِ يَعلو ... بنـا . . ويرد ما سلـب العبيدُ

نعـمْ إيمانُنا بالله يُثـري ... مسيرتنـا، يحقِّـقُ مَا يريـدُ

وبالإيمانِ نصمدُ للرزايَا ... وبالإيمان ينتصرُ الشهيدُ

وبالإيمان تندفعُ السرايا سرايا الفتح زلزالاً يميدُ
فما عيبٌ إذا الإيمانُ غنَّى بلادي أو أهابَ بهِ الجنودُ
أمَا مِنْ شرعةِ الإيمانِ أنَّا نحبّ بلادَنا، ولهَا.. نعودُ
أمَا منْ شرعةِ الإيمانِ أنّا نـردِّدُ إســـمَها أو نستعيدُ
تقولُ.. بأنها اختلطتْ معانٍ عليكَ، وأنَّه اختلطَ القصيدُ
فمَا عيبٌ إذا مَا قلتُ يافَا وقدْ غيلتْ ودنَّسَها اليهودُ
وحب الأرضِ إيمانٌ إذا مَا بغى الباغي وزُوِّرت الشهودُ
وما معنى الجهادِ بلا اندفاعٍ إلى وطنٍ تكبِّلُه القيودُ
وما معنى الجهادِ بلا قتالٍ إلى التحريرِ، مندفعاً يذودُ
أما كنَّا الأُلىٰ رَفعُوا لواءً إلى التوحيدِ تحميهِ الحشودُ
نزلنَا الأرضَ نرفعُ في سماهَا لواءَ الحقِّ، إسلاماً.. يسودُ
تقولُ إذا رغبتَ فغنِّ ديناً يجمِّعُنا، بهِ العهدُ الأكيدُ
وشعري كلُّه معنى ومبنىً لهذا، كانَ يدفقْ يستزيدُ
فإنْ غنيتُ أوطاني فإنِّي إلى ديني، انتمائيَ والوجودُ
ولله العَليِّ الدينُ فينَا وموطِنُنَا لنَا فيهِ الخلودُ
تقولُ لديكَ تختلطُ المعَاني وتختلطُ المناهِجُ، والردودُ
وما أدري الذي تَعنيه أنِّي على عهدي، أكافحُ لا أحيدُ
حملتُ الجرحَ من وطني، طويلاً أجاهدُ.. لا تضلِّلني الوعودُ
وكنتُ الواضحَ الوضَّاحَ دوماً ومَا مالت بخطواتِي الحدودُ
أنا مازلتُ تفتنُني بلادي وتجذبُني الرَّوابي والنجودُ
وتسألُني أأجعلُ من ترابي قداساتٍ.. أجل وبهِ أشيدُ
تُرابي فيهِ، آبائِي وقومي وفي طيَّاتِه سكنَ الجدودُ

تُرابي منهُ أطلقتِ السَّرايَا إلى الدنيَا، وكنتُ بهِ أسودُ
فماذا قد أساوي دون أرضِي ودونَ الموطن الغالِي يعودُ
هو الإيمانُ، بالأوطانِ شرعٌ تعلمناهُ علَّمنَا الجدودُ
وعلَّمنا الأُلىٰ سبقُوا خطانَا بأن الدينَ تحميهِ الجنودُ
وتحميهِ الفيالقُ زاحفاتٍ وتحميهِ العساكرُ والبنودُ
ويحميهِ القوي إذا تحلَّىٰ بهِ.. وتشدُّ جبهتَه الحشودُ
فبالإيمانِ قاتلنا طويلاً ومازلنَا. ومَا هذا جديدُ
وأما شاعري هذا.. سعيدُ فبالإيمان موقفُه، وطيدُ
فقد غنَّاه أعواماً طوالاً وظل بشعرهِ السامِي يجودُ
ومَا أبداً تحطمَ أو تهاوَى ولا زالتْ بخطوتهِ، قيودُ
وما سكتتْ قوافيهِ، انطواءً ولا جفت، ولا جَفَّ الوريدُ
فيَا «نحويُّ» نحنُ معاً نغني لموطِننا، وما هَذا جديدُ
عشقنَا كونَه أرضاً، سـماءً وغنيناهُ، وارتفعَ النشيدُ
وقد راجعتُ بَثَّكَ وهو عِنْدي دواوينٌ، بها يحلُو القصيدُ
وفيهَا منهُ أطيافُ عِذابٌ وأشواقٌ، وأجنحةٌ شرودُ
فما يَعني، بأنك إذْ تغنّى فلسطيناً عن التقوى تحيدُ
تطالبُني بمَاذا.. لستُ أدري وإيمانِي بأوطانِي شديدُ
وإيمانِي بأنْ الشعرَ سيفٌ عن الأوطانِ في الجلَّى يذودُ
وإيماني بربِّي في عروقي وفي نبضي. وفي روحي، عتيدُ
وما بينِي وبين الله باقٍ لهُ يحلُو التبتلُ والسجودُ
فيَا صاحي! وحقِّـكَ لستُ أدري بماذا.. بعدُ.. يختلط القصيدُ

تونس ١٢ شعبان ١٤٠٨هـ
٣٠ آذار (مارس) ١٩٨٨م



وما عتبي عليك بحب دارٍ

أخي هارون حسبيَ ما أتاني ... وما يجلو بيانُكَ والقصيدُ
لقد أوضَحْتَ مُشتَبِهَ المعاني ... وزال اللبسُ والظنُّ البعيدُ
وللألفاظ آفاقٌ فَمَعْنىً ... جليٌّ أو خفــيٌّ أو شَرُودُ
وأفضل ما يَصُوغ المَرْءُ قولٌ ... جَليٌّ لا تَنَازَعُهُ الشُّهودُ
وما عَتْبي عَلَيْكَ بُحُبِّ دارٍ ... لَهَا في كلِّ ناحِيَةٍ شَهيدُ
يُبارِكُها على الأَزْمان دينٌ ... وعَهْدُ الله والزَّحْفُ الشَّديدُ
وأنْوارُ النُّبوّة في رُبَاها ... تُجلّيها المَلاحِمُ والبُنودُ
وعَهْدُهُمُ لأحْمَد حين أَسْرى ... به الرَّحْمـٰنُ عَهْدُهم الأكِيْدُ
له للمُسْلمينَ الدّارُ حقٌّ ... وَفَاءُ أَمَانَةٍ وتُقىً رَشيدُ
أَخي ما كَانَ عَتْبي في قصيدي ... على حَبِّ الدِّيارِ وما يُعيدُ
فقلبي مِثلُ قَلْبكَ في هواها ... حَنينٌ دائِمٌ وهَوَى يزيدُ
تكادُ مِنَ الحَنينِ وقد أُسِرْنا ... تطيرُ إلى مرابِعَها الكبُودُ
خَشيتُ عَلَيكَ مِنْ بعض المعاني ... وألْفاظٍ تَحَــارُ بهَــا الردُودُ
وألْوَانُ الهَوى شَتّى: فَحُبٌّ ... تقِيٌّ أو هَوَى فِيهِ جُحُود
فكَمْ عَصَبيّةٍ جَهْلاءَ أُودَتْ ... بنا وَرَمَى تآخينا الحُدودُ
وكَمْ رَجُلٍ رأى الأجْراسَ تعني ... كما يَعْني الأذَانُ أو السُّجودُ
وكَمْ رَجُلٍ رَأى الأَدْيانَ تَمْضي ... عَلَى خُلْفٍ تُوفِّقُهُ الجُهُودُ
رأى الأَدْيانَ من جَهلٍ سَواءً ... ودينُ الله، لو يَدْري، وحِيدُ

هو الإسلامُ لا يَرْضَى سِوَاه ... وتَوْحِيدٌ وقُرآنٌ مَجيدُ

وأَفْضَلُ ما نَقولُ لأهل عَهْدٍ ... كما قال الإلهُ ولا نَزيد

فَنَدْعُوهُمْ إلى كلمٍ سَوَاءٍ ... فلا شِرْكٌ يُذَلُّ ولا يَقُودُ

ونَنْصَح صِدْقَ دَعْوتنَا ونَبْقى ... على ذِمَمٍ إذا صَدَقَتْ عُهُودُ

لَنَا أَمْرُ الدّيار نَبَرُّ فيها ... وشَرْعُ الله تَصْدُقُه الجهُودُ

فَإمّا أن يُجيبُوا أو يَظلُّوا ... على عَهْدٍ ولا غَدْرٌ يَسُودُ

عَدَلْنَا في مَسيرَتنا وصُنَّا ... لَهُمْ حُرُماتِهِمْ ووفَتْ عُهُودُ

ولكن كُلّما مَلَكوا أَدارُوا ... عَلَيْنَا السيْفَ وانْفَجرَ الحَديدُ

مَجَازِرُ تَمْلأُ التَّاريخَ ظُلْماً ... وحَسْبُكَ مِنْ فِلسْطِينَ الشهُودُ

وحَسْبُكَ ما يَدُورُ بِأرْضِ «بوسنا» ... فَلا عِرْضٌ يُصَانُ ولا عُهُودُ

وَحَسْبُكَ ما يَدُورُ بكلِّ أرضٍ ... من الإسْلام أركانٌ تَمِيدُ

فَمَا يُجْدي البُكَاءُ عَلى طلُولٍ ... وَمَا يُجدي الحَنينُ ولا القَصيدُ

ولكنْ تَرْجِعُ الدُّنيا إلِيْنَا ... إذَا وَثَبَتْ عَلَى السَّاحَاتِ صِيدُ

إذا صَدَقَتْ مَعَ الرَّحمـٰن عَهْداً ... وأَوفَى الدِّينَ فارسُها الشَّهيدُ

ولَمْ يبْقَ التّنافُسُ حَول دُنْيا ... وأَهْواءٍ تَمُوجُ بهَا الوُعُودُ

هِيَ الدُّنْيا عَلَى دُوَلٍ نَرَاهَا ... يُمَحَّص عِنْدَها بَذْلٌ وجُودُ

فَتوزَن بَعْدُ في مِيزانِ قِسْطٍ ... لِتوفَى عِند خالقِنا الجُهودُ

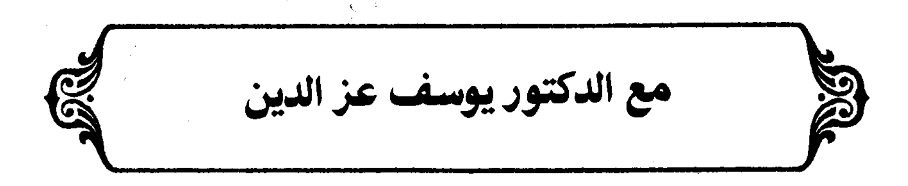
فَذلك يا أخي ما كُنْتُ أخْشَى ... وقَدْ وضَحَ القَصيدُ بما تُريدُ

* * *

١٢/١١/١٤١٣هـ

٤/ ٤/ ١٩٩٣م

عدنان على رضا النحوي



مع الدكتور يوسف عز الدين

كان بيني وبين الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين مراسلات. بعث لي في إحداها بصورة من قصيدة كتب عليها: أُولى قصائد العتاب، وجعل عنوانها: «يا أحمد الخيرات دع قيثارتي» ويبدو أنه يوجهها إلى صديقه الشاعر أحمد، دون أن يبيّن لي أي تفصيلات عن موضوع العتاب، ولا عن مناسبة القصيدة وكان مطلعها:

جَفَّ اليَرَاعُ ومَاتت الأَحْلامُ ... وتحشرَجَتْ في عَزِفها الأنغامُ

لم يبق لي غير العِتاب أُسُوقه ... فالقلبُ يحرقه لظى وضرامُ

فبعثت إليه بقصيدة ابتدأت بها بتشطير مطلع القصيدة السابقة، أو البيتين السابقين.

وإن كنت لا أدري تفصيلات العتاب. ولكنني استنتجت أن الدكتور يوسف عز الدين عاتب على بعض من أساؤوا له. فأتممت الأبيات الأولى بعد ذلك لأوفي الرأي والنصيحة على ضوء ما وعيت.

أولى قصائد العتاب :



يا أحمد الخيرات دع قيثارتي

في زحمة العمل المرهق هبت نسمتك العطرة ترجوني أن أنظم لك قصيدة لتسعدني بتشطيرها. أشكرك على جميل وفائك، ومعذرة عن مرارة القصيدة:

جَفَّ اليراعُ وماتت الأَحْلامُ ... وتحشرجتْ في عزفها الأنغامُ

لم يبقَ لي غير العتاب أَسوقه ... فالقلب يحرقه لظى وملام

رفض العتاب أزفه لرياضكم ... هل ثم للود القديم مقام؟

هي حبة العين التي رويتها ... صدق الهوى وتضاحكت أَنسام

هي همسة الأمل الجميل بربعها ... بسم الأريج وغنَّت الآكام

* * *

وطن هويت به رُبى كُثْبانِهِ ... وبطاحه ما كرَّت الأيام

وطن لبستُ هواه مَزْهُوَّ المنى ... فشدا القريض ولحنه بسَّام

كم غازلتني في هواه مَوَاطنٌ ... وسوى هواه للفؤاد حرام

فأَبيت إلا أن أعيش بظلِّه ... متنعّماً تزهو به الأحلام

وعزفتُ كل مَزاهري لحناً له ... وترنَّحت من شدوها الأقلام

ونشرتها بين الخُلود فرائدا ... ثَمِلتْ لها الأَنغام والأَيام

* * *

ويلي ذلك أبيات ينفثُ فيها مرارة ألمه.

أ. د. يوسف عز الدين

عميد كلية الآداب

فكتبْتُ إليه:

أحــلى العــتاب

جَفَّ اليَرَاعُ ومَاتت الأَحْلامُ ... وبكت على أيامها الأيَّامُ

وأكاد أَحْبِسُ مَوْجَها فتدافعتْ ... وتحشرجتْ في عزفها الأنغامُ

لم يبق لي غير العِتاب أَسُوقه ... وهوى أكتِّمُهُ به وهيامُ

وبقيّةٌ في أَضْلُعي مَدْفونةٌ ... والقلبُ يَحْرِقُهُ لَظىً ومَلامُ

ما بين أَنْداءِ العتاب وَهمسةٍ ... بين الظلال جرى هُناك كَلامُ

وكأنّه زَهَرُ الربيع وَأَيكةٌ ... رفَّت عَلى سَاحَاتِها الأَنْسَامُ

وشذا يَطيبُ ونفْحَةٌ عَبقَتْ بها ... وزكَتْ لَهَا الآمَالُ والأحْلامُ

أَحْلى العِتَابِ إذا النّفوسُ صَفَتْ به ... ونَما به وُدٌّ وَصَحَّ وِئَامُ

وإذا غَضِبْتَ عَلى الصَّديقِ لهَجْره ... فَمَعَ العِتابِ مَودَّةٌ وسَلامُ

واخْشَعْ لِرَبِّكَ، لم يَزلْ في نَعْمَةٍ ... من كان يَصْدُقُ عَهْده وذمامُ

عَهْدٌ مع الرحمـٰن مَنْ أَوفى به ... أَوفَتْ على سَنَنٍ لَهُ الأَيَّامُ

أَنْتَ الوفِيُّ فَقُمْ لِعَهْدِك صَادِقاً ... واغْفِرْ لِصَحْبِكَ، لا أَصَابَك ذامُ

خُلُقٌ جُبِلْتَ عليه! مِنْ إحْسَانِهِ ... لانَتْ عَلَيْكَ مِنَ الوُشاةِ سِهَامُ

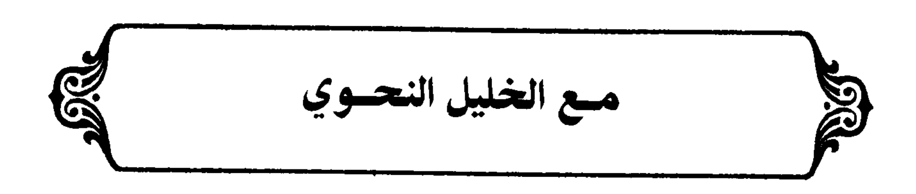
ما بَيْن دمْعَةِ راكعٍ أو سَاجِدٍ ... لله تُغْسَلُ عِندَها الآثامُ

فإذا الحِبالُ جميعُها مَوْصولةٌ ... تُجْلَى النُّفوسُ وتُطْرَحُ الأوهامُ

* * *

١/١٢/١٤٠٦هـ

٦/٨ /١٩٨٦م



مع الخليل النحوي

كان الأستاذ الأديب الشاعر الخليل النحوي الموريتاني في زيارة للدوحة في قطر، حيث التقى بأبناء الأستاذ حامد النحوي: خالد وماجد وأحمد، وصهره عصام عبدالقادر، وتمّ التعارف بينهم. وكان من ثمرة هذا اللقاء في الدوحة أن دار بيني وبين الأستاذ الخليل النحوي مراسلات، بعث لي في إحداها قصيدته التي قالها بمناسبة التعارف الذي تم في الدوحة بعنوان: ليلة في الدوحة. فبعثت إليه برسالة مع قصيدة بعنوان: نفحة من «موريتانيا». وكانت القصيدة آنذاك لا تزيد على عشرة أبيات. ثم أضفت إليها أبياتاً أخرى. وهنا أنشر القصيدتين كاملتين.

والخليل النحوي أديب شاعر معروف في نشاطه الأدبى والفكري والإعلامي له عدد من المؤلفات، وتنقّل في عدة مراكز في وزارة الإعلام، ورئاسة تحرير بعض الصحف الموريتانية، واتحاد الصحفيين العرب، والمكتب الدائم لاتحاد الأدباء والكتاب العرب، والجامعة العربية.

وهو ابن الشيخ العالم المعروف في موريتانيا باسم الإمام الشيخ محمد النحوي.



ليلة في الدوحة

للأديب الشاعر الخليل النحوي

لَيْلَـةٌ . . أَكْرِمْ بِهَا مِنْ لَيْلَـةٍ ... جَمَعَتْنَا في رِحَـابِ الدَّوْحَـةِ

غَمَـرَ البِشْـرُ أَحاسيسي بهـا ... والْتَقَيْنـا فَتسامَـتْ فَرْحَتِـي

أَنْصَفَتْنا مِنْ يَـدِ العَيْشِ الَّتـي ... أَرْهَقَتْنـا في دِيـارِ الغُرْبَـةِ

لَـيْلَـةٌ مَـنَّ بهـا الله وَقَـدْ ... حَـقَّ لله شُـهُـودُ الْمِنَّـةِ

جَمعَ الشَّمْلَ وَلاَ مِنْ مَوْعِـدٍ ... لَيْسَ أَحْلَـى مِنْ لِقاءِ الصُّدْفَةِ

فإِذا بِـي بَيْنَ أَهْلِـي . . لَسْـتُ ... في غُرْبَـةٍ عَنْهُمْ وَلا فِي عُزْلَـةِ

يُنْعِشُ الدِّفْءُ، ضُلوعي بَيْنَهُمْ ... مِثْلَمـا كُنْتُ وكـانَـتْ أُسْرَتِـي

زادَنِـي فَخْـراً وَتيهـاً مالَهُـمْ ... مِـنْ مَزايـا وسَجَايـا جَمَّـةِ

خُـلُـقٌ جَـمٌّ وَآدابٌ بِهـا ... يَقْتَـدي مَنْ شاءَ حُسْنَ القُـدْوَةِ

خَالِـدٌ فيها يُبـارِي ماجِـداً ... وَيُبـارِي أَحْمَـدُ في الحَلْبَـةِ

وعِصـامٌ شَـأْنُـهُ مِنْ شَـأْنِهِـمْ ... نَابِـتٌ في الـمَجْـدِ أَعْلَىٰ مَنْبِتِ

وَوَلِيـدٌ أَيُّ شِبْـلٍ عَبِـقٍ ... بِنَـدىٰ المَجْـدِ وعِـطْرِ العِـزَّةِ

كُلُّهُـمْ نَـدْبٌ مجِـلٍّ سابِـقٌ ... واحِـدٌ بالأَلْفِ ضِعْفُ الْمِئَـةِ

وَلَعِدْنـانَ الـذي نَبْـأَى بِـهِ ... ما تشـا مِنْ أَدَبٍ أَوْ حِكْمَـةِ(١)

---

(١) نبأى: نفخر.

أوتـىَ الحِكْمَـةَ والْخَيْـرُ أتــى | وَدَعــا لله أَسْمـــىٰ دَعْـــوَةِ
قَـدْ رَعَيْنـا مِنْهُ رَوْضـاً ناضِــراً | وكَـذاكَ الفِكْـرُ مِثْلَ الرّوضْــةِ
فيــه أَخْبــارٌ إذا مـاذُقْتَهـــا | فَعَلَتْ بالْقَلْب فِعْـلَ الخَمْـرَةِ
غَيْـرَ أَنَّ الهَــذْيَ مِنْهـا وبهــا | ما طَغَتْ نَفْسٌ بِها. . . ما ضَلَّت
صَفدَ المَجْد. . لَقَدْ أَعْطَيْتِ ما | يَرْفَعُ الرَّأسَ. . فَهَلْ مِنْ عَوْدَةِ
أنجُـمٌ غـرٌّ لـك الفَخْـرُ بهــمْ | وَلَنـا رَغْــمَ اتِّســاع الـشُّقَّــةِ
نَبْسُـطُ الــوُدَّ جُســوراً بَيْنَنَـــا | ولنـا في الدّين أقـوىٰ لُحمــةِ
نَحْــنُ بَيْــتٌ واحِـدٌ قامَ علـىٰ | عَمَـدِ الْمَجْـدِ ورُكْـن الرِّفْعَــةِ
أَوْدَعَ الأَسْــلافُ في أَعْنَاقِنــا | ذِمَّــةَ الحَـقِّ وَعَـهْـدَ الأُمَّــةِ
فَــرَعَيْنا صاغِــراً عَـنْ كابــرِ | خَيْـرَ ما عَهْــدٍ وأعْلـىٰ ذِمَّــةِ
فَـهَنيئــاً وَهَنيئـاً. . . فَلَقَـــدْ | قَــرّت الْعَيْـنُ بِكُـمْ ياإخْوتـي

* * *

الخليل النحوي

فكتبتُ إليه:



نفحة من موريتانيا

إلـى الخليـل النحـوي

يا أَخي! يا «خليلُ»! يَا نَفْحَةَ الفِكْـ ... ـرِ وَيَا نَفْحَةً من الأَجْدادِ

هَزَّنـي عِطْـرُكَ الغَنـيُّ وشَـدْوٌ ... وَرَفِيـفٌ مِـنَ الـوَفَـا والـودادِ

بُلْبُلٌ لم يَزَلْ يُغَنّي مَعَ «الَّليْـ ... ـلِ» ويُشجي مِنْ «دوحَةٍ» و«وهادِ»(١)

فأعِيدِي يَا دَوْحةً مِنْ هَوَاهُ ... في ظلالٍ غَنِيَّةِ الإِمْدادِ

رجّعي لَحْنَهُ عَلَيْنا وَهَاتي ... مِنْ حَنينِ القلوبِ والأَكْبَادِ

وانْثُري حَوْلَنَا الأَزاهِير منه ... واسْكُبي عِطرَه على كُلّ نادِ

إنّه مِن أُرُومَةٍ قَدْ رَوتْها ... نبْعَةُ الطُّهْرِ والتُّقى والجهادِ

ورَعَتْها عَلَى الهُدَى وسَقَتْها ... حَانياتٌ من السَّحابِ غوادي

إنَّها غَرْسَةٌ تَفرَّعَ منها ... «ألخليلُ» الوَفيُّ الكريمُ النّجادِ

مِنْ إمامٍ «مُحَمَّدٍ» صَادِقِ العَهْـ ... ـدِ مَعَ الله، مُنْجِدٍ أو هَادِ

«مُورِتَنْيَا»! حَسْبُنا اليوم أَنَّا ... نَتَلَقَّى رَوائِعَ الإِنْشَادِ

نَفْحَةً عَبْقَرِيَّةً من «خليلٍ» ... صَادِقٍ في الهَوَى غنيِّ الزَّادِ

ورجالٍ كَأَنَّهمْ طَلْعَةُ الصُّبْـ ... ـحِ، سَرَايَا مَوْصُولةِ الأمجادِ

فانْعَمي بالرِّضا «نُوكْشُطُ» تيهي ... بَينَ أمجادِ عَالمٍ أو شادِ

(١) إشارة إلى قصيدته السابقة «ليلة في الدوحة».

نَــذَروا للتُّقَـى العَـزَائِـمَ والبَــذْ ... لَ ولله حَـالِـيَــاتِ الجِـهَــادِ
يا أخي! يا «خليلُ»! هـٰذي ديارٌ ... مـزَّقَـتْهــا نـوائِــبٌ وعــواد
أَمْس كانَتْ عِقْداً غنيَّ اللآلي ... وهِيَ اليوم نُهبةُ القُصَّادِ
أَمْس كُنَّا، يَا لَهْفَتي، أُمَّةَ الحـ ... قّ وصِرْنا أتباعَ كُلِّ مُنادِ
كمْ لجَمْنَا أهواءَنا أمْس بالتُّقـ ... ـوى وكُنَّا صَفَّ الهُدَى والرَّشادِ
أَفْلَتَ اليَوْمَ مِنْ يَدَيْنَا زِمَامٌ ... فَطَغَى المَوْجُ من هَوىً وفَسادِ
يا أخي! كان عِزُّنا أمْس باللـ ... ـه وصَارَ اعتزازُنا بالنَّفادِ
والولاءُ الحقُّ الذي كَانَ فينا ... ضاعَ بَيْنَ الحدودِ والأَنْجادِ
أودع الله، يا أخي، فِطرَةَ النَّا ... س وأغْنَى بالعَهْد والإِشهادِ[1]
نَسِيَ النَّاسُ عَهْدَهُمْ وَتَوَلَّوا ... ومَضَوا في مَتَاهَةٍ وسوادِ
ولأسْـلافِنــا عُـهُــودٌ عَـلَـيْنَــا ... أن نَبَـرَّ التُّقَـى وصِـدْقَ الجهــادِ
فَسَــلامٌ كَـأنَّــهُ مِـنْ نَــدَى الفَجْـ ... ـرِ وطيــبٌ وإنَّــه من فــؤادي

* * *

١ /١/ ١٤٠٨هـ

٢٥/ ٨/ ١٩٨٧م

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة في سورة الأعراف: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (الأعراف: ١٧٢).



تحية إلى «حيدر أباد» (١)

حَيْدَرْ أَبادُ! وكُلُّ قَلْبٍ خافقٌ … بالحبِّ توّاقٌ إلى الأَمْجَادِ

في كُلِّ ناحِيَةٍ جُذُورٌ مِنْ عُلاً … ضَرَبَتْ بأَرْضِكِ مِنْ هَوَى الأَجْدادِ

تِيهِي! فَعِزُّكِ مَا حَمَلْتِ رِسَالَةً … لله فـي زنْـدٍ وفـي أَكْبَـادِ

يا أَيُّها الحَفْلُ الكَرِيمُ! تَحيّةً … لكمُ مِنَ الأَقْصَى ودَارِ جِهَادِ

قُومُوا! مَيادِينُ الهُدَى مَفْتُوحَةٌ … لِبَلاغِ هَدْيٍ أو لِصِدْقِ جِلَادِ

وتَسَابَقُوا ! نِعْمَ السِّبَاقُ إلى الهُدَى … وتَنافَسُواالحُسْنَى لِدَارِ مَعَادِ

أَنّى التَفَتُّ لَظَى لهيبِ مُضْرَمٍ … وهَدِيرُ طوفَانٍ وزَحْفُ عَتادِ

سَأَظَـلُّ أذكُـرُ مَا حييـتُ لِقَاءَنـا … لأُخـوَّةٍ ووِفـادَةٍ ووِدادِ

* * *

مساء الاثنين

٨/ ٣/ ١٤١٠هـ

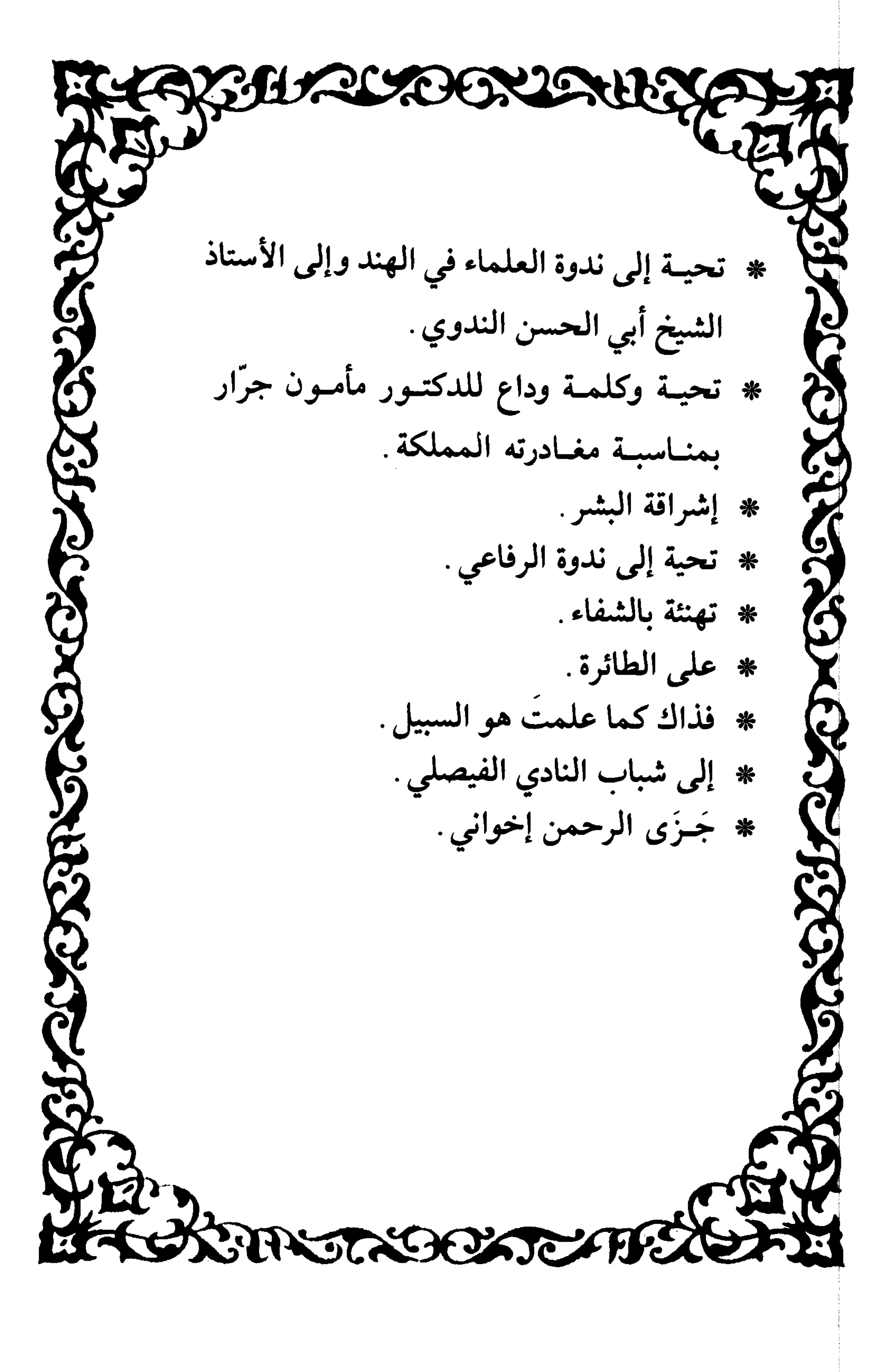
٩/ ١٠/ ١٩٨٩م

---

(١) في الحفلة الختامية لندوة الأدب الإسلامي في مدينة حيدر آباد في الهند حول: «دور الأدب الإسلامي في تحرير البلاد من الاستعمار ومقاومة الفساد». أثناء الحفلة أعددت هذه الأبيات تحية إلى مدينة حيدر آباد وأمجادها التاريخية وتحية إلى المؤتمر. وقام بترجمتها الأخ الكريم الأستاذ سلمان الحسني الندوي بأسلوبه الجميل إلى اللغة الأوردية.

لقد عقدت هذه الندوة خلال الفترة: (٨ ـ ١٠)/٣/١٤١٠هـ الموافق (٧ ـ ٩)/١٠/١٩٨٩م.

ولقد حضر الحفل الختامي الأمير مُفَخَّم جاه بن أُعظم جاه من الأسرة المالكة المسلمة التي كانت تحكم حيدر آباد.







أبو الحسن الندوي[1]

ندوة العلماء لكنهو ـ الهند

يا دارَ لَكْنُوَ سَلامُ الله يَحْمِلُهُ ... إِلَيْكِ مِنْ كُلِّ رَوْضٍ نَفْحَةُ الزَّهَرِ

إلي إمامِكِ مِنْ قَلْبٍ ومِنْ كَبِدٍ ... تَحِيَّةً وإلى فِتْيانِكِ الزُّهُرِ

إلَى أَبي الحَسَنِ النَّدْويِّ طَلعَتُهُ ... نُورٌ يَموجُ مِن الآياتِ والسُّوَرِ

وَنَدْوَةِ العَلَماءِ الغُرِّ دَفقُ هُدىً ... غَنيَّـةً بغطَـاءِ الحَـقِّ وَالذِّكْـرِ

كَأَنَّما صَاغَ مِنْ أَضْلاعه دُرراً ... مِنَ اليَقِين، مِنَ الإِيمانِ، مِنْ فِكرِ

وَضَمَّها في يَدَيْهِ رأْفَةً وَتُقىً ... يَحْنُو عَلَيْهَا حُنُوَّ الوَالِدِ الحَذِرِ

وَقَامَ يَنْثُرُها في الأَرْضِ فانتفَضَتْ ... عَلَى الرُّبى فِتْيَةً وَهَّاجَةَ الغُرَرِ

مِـنْ كُـلِّ دَاعِيَـةٍ لله مُـنْطَلِـقٍ ... مُـمَسَّـكٍ بكِتَـابِ الله مُصْطَبِـرِ

يَا غَرْسَةَ الخَيْرِ تَزْكو مَنْبتا وَجنىً ... طُهْراً وتَمْتَدُّ في بُسْتَانِها النَّضِرِ

يَرْوي حَدَائقَها غَيْثٌ يَصُبُّ بها ... صَبًّا وَيَجْري بهَا دَفَّاقَةُ النَّهَرِ

غَيْثٌ مِنَ الذِّين رَوَّاها ونضَّرها ... وَدَفْقَةُ النَّهْرِ عَزْمٌ غَيْرُ مُنْحَسِرِ

نَقِّل كَما شِئْتَ فِي أَفْيَائِها بَصَراً ... واقْطُفْ كَما شِئْتَ مِنْ زَهْرٍ وَمِنْ ثَمَرِ

فَأَنْتَ في بَرَكَاتِ الخَيْرِ بَيْنَ جَنىً ... حُلْوٍ وَبَيْنَ رَبيعٍ رَيِّقٍ عَطِرِ

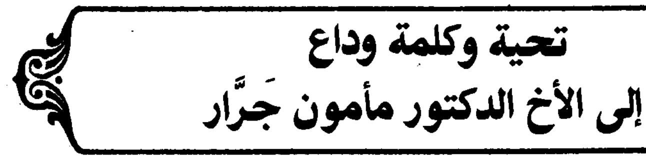
وَبَيْنَ مَوجٍ مِنَ الأَنْوار دافِقَةً ... هُنَاكَ مِنْ صُدُقٍ لله أَوْ صُبُرِ

* * *

٥/٥/١٤٠٦هـ

١٥/١/١٩٨٦م

(١) قلت هذه الأبيات بعد انفضاص مؤتمر الأدب الإسلامي تحيّة وتقديراً لجهود ندوة العلماء ورئيسها الذين استضافوا المؤتمر على كرم وحب وجمال خلق.



تحية وكلمة وداع
إلى الأخ الدكتور مأمون جَرَّار

بمناسبة مغادرته المملكة ليستقر في الأردن

أحقاً ستترك هذي الدِّيارْ؟! وتمضي! إلى أين؟! أين الدِّيارْ؟!
يشـدُّك أنـي اتجهـت حَنيـنٌ إلـى لُحْمـة الـدين، أو للجـوارْ
حَنينُ الودادِ، حنينُ الفؤادِ رَفيق الصِّحاب وشَدْوُ الهَزارْ
ونَفْحٌ مِن الأَدَب المجتَنَى ومن عَبَق المنْتَدَى والنّضارْ
وذكرى تُلمْلِمُها في الليالي حَنينٌ يهيج وشَوْقٌ يُثارْ

* * *

أحقاً ستتركُ هذي الدّيارْ وتمضي إلى أَين؟! أَيْنَ القَرارْ؟!
كُأنّكَ في غُرْبَة كُلَّما تَنَقَّلتَ في رَوْضَةٍ أَو قِفارْ
وَطالَ بكَ السَّير بين الدُّروبِ وبَيْنَ البَراري وبَيْنَ البحَارْ
على كتفَيكَ خِيامُ اللجوءِ وحولك أشباحُ لَيْلٍ تُدارْ
وبين خُطاك لهيبُ الدروب ومَوْجُ الدِّمَاء وطولُ الحِصَارْ

* * *

ستمضي! وحَوْلَكَ هذا الدَّويُّ دَويُّ الكَلام وخَفْقُ الشِّعارْ
ومَوْتُ العَزِيمَةِ في أُمَّةٍ ترنَّح في سَكْرَةٍ أو دوارْ
وأُنشودة مِنْ هوى الحالمين على خَدَرٍ قاتِلٍ أو سُعَارْ
وَأَلْف شِعَار يَدُور وَيَهْوِي وتهوي أَمَانٍ وتهوي دِيَارْ

ويسري خلال العُروق دَبيبٌ ويَسْري بهَا خَدَرٌ أو عُقارْ
وتغفو الجفونُ وتُطوَى الظنون ويُسْدَل دون الهَوَان ستارْ

* * *

ستمضي وتسأل أين الطريقُ وكُلُّ الدّروبِ هوى أو شجارْ
تلفَّتُ ! في كُلِّ أُفقٍ ظلامٌ يَمُوجُ وفي كل ساحٍ عِصارْ
وتُمْعِنُ في الدَرْبِ لا يائساً تُلحُّ خُطاكَ لجَولاتِ ثارْ
فلابُدَّ لِلّيْلِ أَن يَنْجَلي عَلى وَضحٍ مُشْرِقٍ أو نَهارْ
يَقينُك بالله نورٌ يشُقُ الظلام وينزِعُ زَيْفَ الستارْ
ويَفْتَحُ دُونك إشراقَ نهجٍ وإشراقَ عَهْدٍ ودَرْب انتصارْ
ومَهْما تَطُلْ عادياتُ الزّمانِ ومُرُّ الفراقِ وتيهُ الْمَسار
ستجمعنا منْ غدٍ سَاحَةٌ جهادٌ أبرُّ فنوفي الذّمارْ
ميادين حــقٍّ تصوغُ الرجال وتروي الغراس وتجني الثِّمَارْ
فَسِرْ حَيْث شئت فإنّك «مأمو نُ» حُلْوُ السجايا كريم النِّجارْ
هو الله يَرْعاكَ أنّى اتجهت ويحميك من زِلّةٍ أو عِثارْ

* * *

٢١/١١/١٤١٠هـ
١٤/٦/ ١٩٩٠م
الرياض

عند خروج الأستاذ عمر بهاء الأميري من مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض بعد عملية جراحية معافىً بفضل الله . كتبت إليه هذه الأبيات التي لم أُوفّق إلى إرسالها إليه حيث غادر قبل أن أُعلم :

إشراقة البشر

أَحْلَى الأَمانيِّ أَنْ تَلْقَى أَخاك على ... إشراقةِ البشر أَو موصولةِ الرّغَدِ

نُعْمَى مِنَ الله إيمانٌ وعافيةٌ ... أَجَلُّ مَاكَانَ للإنْسَانِ مِنْ عُدَدِ

أَبَا بَرَاءٍ! أَخي! فاهْنَأْ إذن بهما ... أَحلى على النّفس من ماءٍ ومن بَرَدِ

يحوطُكَ البِشْرُ حتى إنّه عَبَقٌ ... ويجتلي الطّيبَ من صَحْبٍ ومِنْ ولَدِ

* * *



ندوة الرفاعي

بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً

يا دوحةَ الأَدب الغنيّ وندوة الشـ ... ـعر الزكيِّ دَنا جَنَاك وطابَا

المكرُمات! وما أَجلّ عطاءَها ... جودٌ تخيَّرَ مِن نَدَاكِ لُبَابا

والروض! يا طيب الشذا! فكأنّه ... جمعَ الوُرودَ وفتّقَ الأطيابا

وتنفَّس الزَهَرَ النّديّ وفوَّحَتْ ... منه الرُّبى عَبَقًا سَرَى ومَلابَا

* * *

نادٍ! كَأَنّ الفَجْرَ في نَفَحاتِه ... نُورٌ يَشُقُّ من الشِّعَاب رِحَابَا

حَرُّ الجَواهِرِ من كَرِيم مَعَادنٍ ... بَرَقتْ فكان عطاؤُها خلّابا

يا للصِّحابِ حَنا عليهم ظِلُّه ... مَدَّ الوفاء وقرَّب الأَسْبَابَا

كَمْ جَوْلَةٍ دَارَتْ عَلى سَاحَاتِه ... فَيَظلُّ في جَوْلَاتِه غلّابا

كَمْ صَاحِب قَدْ ظَنَّ أَنْ عَرَفَ الهَوَى ... حتى رآه فقال ظَنِّي خابا

هـذا الهَوى الحلو الذي نَلْقَى به ... عَبَقَ الوفـا والطيـبَ والأصحابـا

* * *

كَمْ سَائِلٍ مَنْ ذَا أَعاد لك الهوى ... والشوقَ والأَصحابَ والأَحبَابَا

فأجبتُهمْ: هذا الرِّفاعيُّ الذي ... مَـدَّ المكـارم من يَدَيْه عِذَابـا

* * *

١ /٦/١٤٠٨هـ

٢٠/١/١٩٨٨م

تهنــئة
عبدالعزيز الرفاعي

ذهب الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي إلى أمريكا للعلاج وهو متوجّس. فمنّ الله عليه بالبشرى والنجاة. هكذا أبلغني الأخ الأستاذ أحمد براء الأميري. وقال لي كذلك إن الأستاذ الرفاعي قال قصيدة وهو متوجه للفحص والعلاج مطلعها:

ارمِ طوق النَّجاةِ يارَبّ إني　　في خِضَمٍّ ولا أُجيد السباحَة

وأبلغني كذلك أنه مع بعض الأصدقاء نظموا بيتاً أو قصيدة مطلعها البيت التالي تهنئة له بالشفاء:

خذ بطوق النجاةِ يا حِبُّ إنا　　قد تَلَونا ما فيه رَوْحٌ وراحَة

فانطلقت مني الأبيات التالية:

ذاكَ طَوْقُ النَّجاة إنّكَ فيهِ　　بَيْــنَ بُشْــرَى وقــوَّةٍ وسَــمَــاحــة

حَسْبُكَ اليومَ أنْ لجأتَ إلى اللــ　　ــهِ، فَهذا طَوْقُ النَجا والسِّباحَةْ

إنّه الله ربُّنا وحْدَهُ الشا　　في يُغْني بَلاؤُه أفْراحَهْ

والخِضَمُّ الّذي تَوَهّمْت رَدَّ اللــ　　ــهُ بالعَفْوِ مُنْعِماً أَشباحَهْ

ودُعاءُ الإخْوانِ يَجْلو بظَهْرِ الغــ　　ـيْبِ إشراقَه ويجلو صَباحَهْ

لَيسَ مِنْ عِلّةٍ تُقصِّر عمْراً　　يا أخي! لا وَلا دَواعــي الجِرَاحَةْ

صِحّةُ الجسم لا تَمُدُّ مِنَ العُمْــ　　ــرِ، ولا يَتْرُكُ التَّقِيُّ سِلاحهْ

إنّ أقْوى السِّلاح في العُمْر ذكر اللــ　　ــه يمضي غُدوَّه ورواحَهْ

وَخُشوعٌ في هَدْأةِ اللّيْل، دَمْعٌ　　أطلق القَلْبُ دَفْقَه وجِماحَهْ

* * *

١٤١٣/١٢/١١هـ

١/ ٦/ ١٩٩٣م

علـى الطائـرة

في رحلة العودة من المؤتمر الأول لرابطة الأدب الإسلامي الذي عُقِد في «لكهنؤ» ـ الهند بين ٢٦ ـ ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٤٠٦هـ، الموافق ٧ ـ ٩ يناير سنة ١٩٨٦م، أقـول في رحلة العـودة إلى الرياض على متن طائرة الخطوط السعودية من دلهي إلى الـرياض يوم الأحـد ٢/٥/١٤٠٦هـ المـوافق ١٢/١/١٩٨٦م، مع الأخـوة الأدبـاء ومنـدوب رابطة العالم الإسلامي، جلس معنا أخ كريم من مضيفي الطائرة. . يحب الشعر وقرأ علينا شعراً غزلاً بالأسلوب المنثور كما يسميه بعض الناس ورغب أن يصوغ أحدنا له معانيه بالشعر العمودي فأجبته بالأبيات التالية :

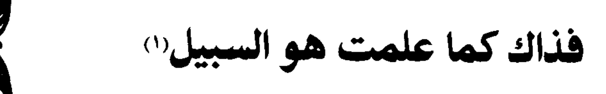
على الطائرة

دَعِ الهَوَى وغَرَامَ الغِيْدِ وافْتكِر ... يوماً مَعَ الله فِي سِرٍّ وفي جَهَرِ
هَذَا هُوَ الخَيْر لا خيرٌ سِوَاهُ لَنا ... وَمَنْ يَحِدْ عَنْ طَرِيقِ الحقِّ يَنْدَحِرِ
تَرَى عَلَى «الجَوِّ» آياتٍ مُجَدَّدَةً ... لله فَانْظُرْ إِلى الآيَاتِ وَاعْتَبرِ
مَنْ ذا يَصُونُكَ غيرَ الله مِنْ خَطَرٍ ... وَمَنْ يُعِيْذُكَ في حِلٍّ وفي سَفَرِ
وَمَنْ رَفِيقُاكَ غَيْرُ الله إن طَلَعتْ ... في الجَوِّ طائِرَةٌ هَدَّارَةُ النُّذُرِ
وَمَنْ رَفِيقُكَ في بَحْرٍ وفي جَبَلٍ ... وَفي مَرَاقِيَ مِنْ جَوٍّ وَفي نَهَرِ
عُلِّقْتَ في الجَوِّ لَا أَهْلٌ وَلَا رحم ... يُغْني وَلا زَهْوَةُ السُلطَانِ مِن بَشَرِ
وَلَا صَدِيقٌ يُوَاسِي فَهْوُ مِثْلكَ في ... حَالٍ وفي أَمَلٍ حُلْوٍ وَفي حَذَرِ
وكُلُّ مَنْ كنتَ تَرْجُو نَفْعَهَ رَجَعَتْ ... قُوَاه عاجِزَةً مشلُولَةَ الأَثَرِ
أَتَسْتَغِيثُ بأَلحَاظٍ وَغانِيَةٍ ... إِنْ جَدَّ أَمْرُ فَتُبْ لله وادَّكِرِ
وَعُدْ إلى الله رَبّ العَالِمين عَلَى ... طُهْرٍ يُغيْثُ وَصِدْقِ القَلْب والفِطَرِ

* * *

الأحد ٢ /٥/١٤٠٦هـ

١٢/١/١٩٨٦م



فذاك كما علمت هو السبيل(1)

خِلاَلٌ حُلْوَةٌ فِيمَا تَبَدَّي … وَفَاءٌ والوَفَا أَبداً قَلِيلُ

صَفِيٌّ في مَوَدَّتِهِ غَنِيٌّ … تَقُولُ إِذَا رَأَيْتَ هُوَ النَّبِيْلُ

جَوَادٌ والمروءَة مِن جَوَادٍ … أَبَرُّ وَفِعْلُها الفِعْلُ الجَمِيلُ

لَهُ رَأْيٌ فَتِيٌّ من فُؤَادٍ … ورأْيٌ مِنْ بصيرَتِه جَلِيلُ

إذا مَا رُمْتَ في أَمْرٍ رِجالاً … ظَنَنْتُ وَقلْتَ ذا الرَّجُلُ الأَصِيلُ

فَتُبْ لله في عَزْمٍ وَصِدْقٍ … فَذاكَ كَمَا عَلِمْتَ هُوَ السَّبِيلُ

وَمِثْلُكَ لا يبِيْتُ عَلَى ضَلاَلٍ … وَمِثْلُكَ لَيْس يُعْوِزُهُ الدَّلِيلُ

وَنُورُ الحَقِّ حَوْلَكَ حَيْثُ تَمْضِي … وَقَلْبُكَ لَيْسَ يُعْجِزُهُ الوُصُولُ

وَفي جنبَيْكَ آيَاتٌ فَأَبْصِرْ … وَإِلاَّ غَرَّكَ الأَمَلُ الطَّوِيلُ

وَمَا تُجْدِيْكَ في غَدِكَ الأَمَاني … وَلا مَا قِيْلَ فِيكَ وَمَا تَقُولُ

ولا صَفْوُ الودَادِ غَداً بِمُنجٍ … وَلاَ أَهْلٌ تُجِيْرُ وَلاَ خَلِيلُ

وَلاَ مَا كُنْتَ تَزْعُم مِن خِلالٍ … وَلاَ مَا زَانَه قَالٌ وَقِيْلُ

خِلالُكَ كُلُّها ليسَتْ بِشَيءٍ … إذا انْقَطعَتْ عَنِ التَقْوَى الأُصولُ

فَكَيْفَ تتِيهُ عَنْ حَقٍّ وتَمْضِي … إلى شرٍّ يُغَرُّ بِهِ الجَهُولُ

وَبَيْنَ يَدَيْكَ قُرآنٌ وَنورٌ … وبَيْنَ يَدَيْك مَا قَالَ الرَّسُولُ

---

(1) بعثتها إلى أحد الأقرباء أُذكِّره بجمال الإسلام وحلاوة الإيمان، وهو على خلق ووفاء، وضرورة الالتزام بكل قواعد الإيمان والإسلام لا بجزء منها.

وَفيكَ بِفِطْرَةِ الإِنْسَانِ خَيْرٌ خُلِقْتُ عَلَيْهُ ذاك هُوَ الدَّلِيل
فَتُبْ لله! أَوْفِ العَهْد حقًّا فَعَهْدُ الله ليس لَهُ بَدِيلُ

* * *

٢٥/٥/١٤٠٦هـ
٤ /٢/١٩٨٦م

إلى شباب النادي الفيصلي بحرمة(1)

يَاشَبابَ الحِمَى! عَزائِمُ أمْجَا ... دٍ وآمَالُ أُمَّةٍ وَبِلادِ

يا شَباباً تَواثَبُوا لِمَعَالٍ ... ورجالاً تَزاحَمُوا لِجِهَادِ

أنْتُمُ ثَرْوَةُ البِلادِ وكَنْزٌ ... أنْتُمُ زَهْوُ عِدَّةٍ وعَتَادِ

جَعَلَ اللهُ في وُجُوهِكُمُ البِشْـ ... ـرَ وفِي كَفِّكُمْ عَطَاءَ الغَوادِي

«فَيْصَلِيٌّ» يَصُونُ حُرمةَ دارٍ ... ويَرُدُّ الأَذى وكَيْدَ الأعَادي

يا شَباباً رَواؤُهُ الشَّرَفُ الحُرُّ ... وَتَقْوَى طَوِيَّةٍ وفُؤادِ

عَبَقٌ مِنْ شَبَابِهِ وأَرِيجٌ ... مِنْ فِعَالٍ وَنَفْحَةٌ مِنْ نَادِ

فَاحْفَظُوا عَهْدَكُمْ مَعَ اللهِ بالغَيْـ ... ـبِ وَفِي صَادِقٍ مِنَ الإشْهَادِ

واغرسُوا للهُدَى غِراسَ تُقاةٍ ... واجْعَلُوا رِيَّهَا صَفَاءَ وِدَادِ

وانْهَضُوا للعُلَا فَدَرْبُ المَعَالي ... سَبَقٌ مِنْ فَوارِسٍ وَجِيادِ

يَتَلَالا مِنَ النِّصَالِ بَرِيقٌ ... وتَمُوجُ الأَمجَادُ بالأمْجَادِ

فانْثُري (حَرْمَةُ) البَشَائِرَ! نَادِي الـ ... ـفَيْصَلِيّ رَوْضَةٌ ونَفْحُ نِجَادِ

تَجْتَلي (حَرْمَةُ) الشَّبَابَ بِنَادِيـ ... ـهَا وَتَجْلُو مِنْ جَوْهَرٍ وقَّادِ

* * *

٢٣/٧/١٤٠٧هـ

٢٣/٣/١٩٨٧م

---

(١) كلمة وجهتها للمشاركة في مجلة النادي الفيصلي. وقد نشرتها المجلة في عددها الثالث ـ شوال ١٤٠٧هـ ـ آيار ١٩٨٧م.

كنا في الهند ـ لكهنؤ. وقمنا بزيارة تاج محل في مدينة أجرا. وعلى طريق العودة والطريق طويل دارت مداعبات وطلب أحدهم أن أهجوهم، فاعتذرت لأني تركت الهجاء وأمثاله. ولما أَلَحّوا قلتُ مداعباً:

جزى الرحمن إخواني

جــزى الرحمـٰن إخْـوانـــي	جــزاء المـنعـــم الحـانـــي
هُــمُ الأصحابُ فـي سَـفَـرٍ	لـخـيـــرٍ مُـقْـبـــلٍ دانِ
وهُــمْ مـن طـيـبـهـــم أَرَجٌ	وَهُــمْ أزهـــارُ بـسـتـــانِ
وهُــمْ أَصْحـــابُ مُـعْـتــركٍ	علـــى الـدُّنيـــا وميـــدانِ
إذا صَـدَقـــوا مع الرَّحْـمٰـ	ـــن فـي بــذلٍ وإحســـانِ

* * *

فهـــذي عُصْبَـــةٌ هَبَّـــتْ	إلـــى أَدَبٍ وَتِبْـيَـــانِ
وعُـرْوتُـهـــا مِــنَ الإسْـــلا	م تَـرْفَــعُ صَــرْحَ بُنيـــانِ
وتُـوثِـــقُ مِـن عُـــرَى أَدَبٍ	وتَـرْعَـــى حَــقَّ فَـنّـــانِ
وتجمــع شَمْــلَ مَنْ بَعُـــدت	بهــم سَـاحَـــاتُ بُـلْــــدان
عَلـى عِلـــم ومَـكْـرُمَـــةٍ	ومـن سَـعْـــيٍ وإتـقـــانِ
إذا صَدَقـــوا مَــعَ الـرَّحْمـٰ	ـــن فـي بَـــذلٍ وإحْســـانِ

* * *

يَقـولُ أخـي ألا اهْجُوهـم مُـدَاعَبَـةً لإخْـوانِ
فـلا قلمـي يُطاوِعُنـي ولاَ شِعْـري بِبُهْتـانِ
ولـو أنّـي أردْتُ هِجـا فَـلَسْـتُ بعاجِـزٍ وانِ
إذا لـم يَصْدُقـوا الرَّحْمَـ ـن في بَـذلٍ وإحْسانِ
أُشُكُّهُـمْ بَسَفُّـودٍ مُحمّـىً فَـوق نيـرانِ
أُقَلِّبُهُـمْ عَلَـى جَمْـرٍ وأشْويهـم بأفـرانِ
ولَسْـتُ بِتَـارِكٍ أحَـداً لِيُفْلِـتَ مِـنْ أذىً آنِ
فَأَسْلُقُهُـمْ إذا مـا جـا زَ سَلْقُ المهتَرِي الفاني

* * *

دَعَـوْتُ الله يَغفِـرُ لـي ويَـرْفَـعَ كُـلَّ أحزَانـي
ويَسْتُـرَ عيبَنَـا سِتْـراً ويَطْـوِي كُـلَّ أشْجَانـي

* * *

جَـزى الرّحمـنُ إخْوانـي بِعفْـوٍ واسِـعٍ حـانِ
إذا صَدَقـوا مَـعَ الرَّحمـ ـن في بَـذْلٍ وإحْسـانِ

١٤٠٦/٤/٢٣هـ

٤ /١/١٩٨٦م

ثمّ جاء أحدهم يقول لي إن منهم من قال ما معناه:

أرىٰ سَفّـودَ صاحبنـا كَنَكّـاشَـاتِ أَسْنـانِ

فقلت:

يَقـولُ مخاطِبـي مَهْـلاً ألا اهـجُ الصاحِـبَ الثانـي

أَلــم تَسْمَـــعْ بمـا قـد قـــا ... لَ عَــن سَـــفّـودِ عدنـــانِ

فَـقُـلْـــتُ لـــه رُوَيْـــدَك إِ ... نّ ذلــك لَيْــسَ مِـن شانـــي

فسَـــفُّودي هُـــو السَّـــفـو ... دُ، عَزْمــي عـــزْم طعّـــانِ

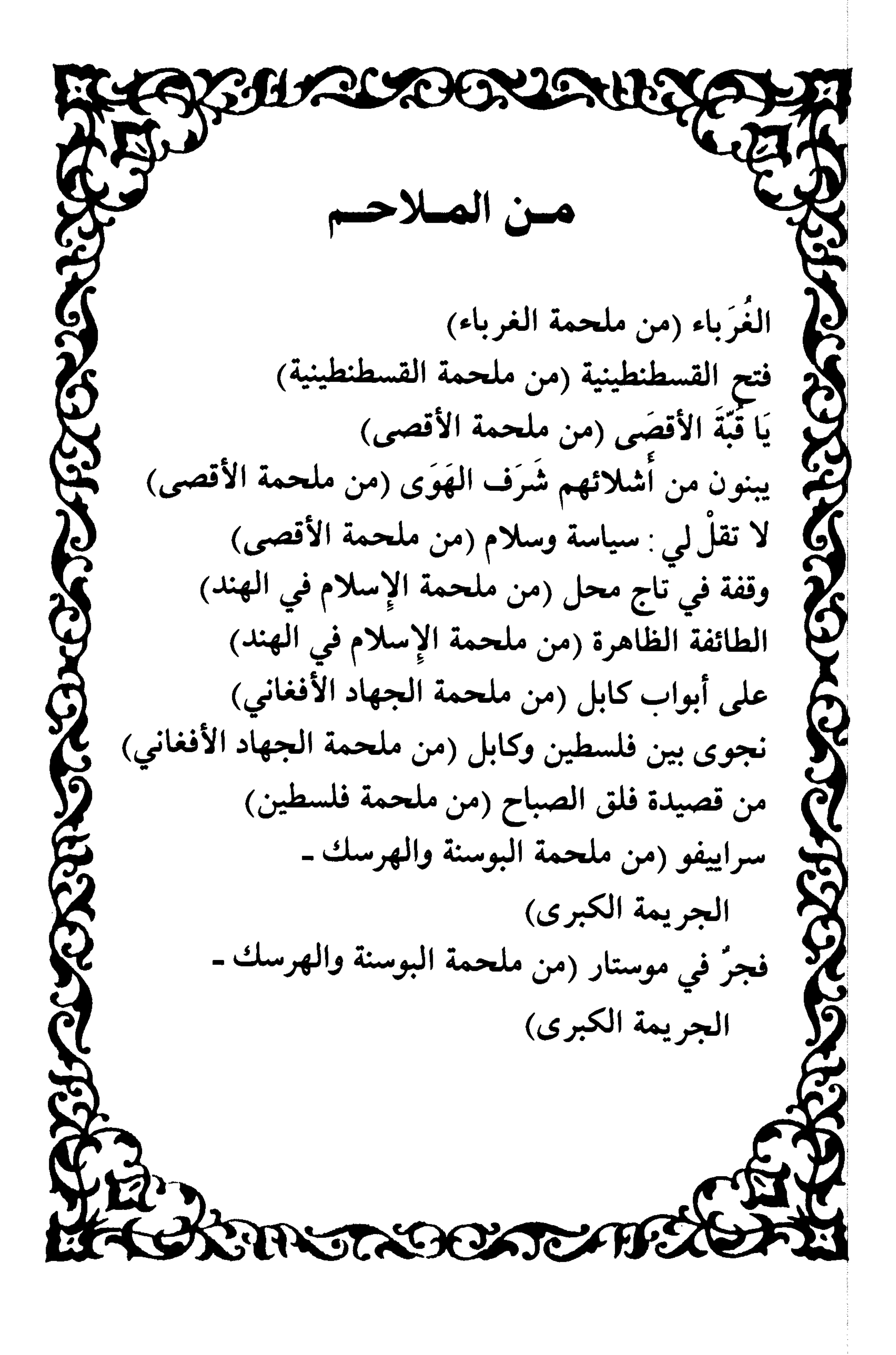
ومـا ذنبـــي إذا مـا مـــا ... تَ إحســـاسٌ بإنســـانِ

فمَهْمَــا كُنْــتَ تَـطْـعَـنُــه ... بـأَرْمـــاحٍ ومُـــرّانِ

ومَهْمَــا كُنْــتَ تَسْلَخُــه ... بكرْبـــجٍ وقُضْبَـــانِ

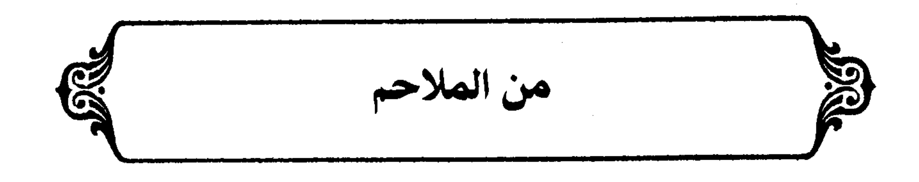
فليــس بِمَيّــتٍ حِـــسٌّ ... ولا بالــمُـهـتَـرِي الـفـانـي

* * *



مـن المـلاحـم

الغُرَباء (من ملحمة الغرباء)
فتح القسطنطينية (من ملحمة القسطنطينية)
يَا قُبّةَ الأقصَى (من ملحمة الأقصى)
يبنون من أشلائهم شَرَفَ الهَوَى (من ملحمة الأقصى)
لا تقلْ لي: سياسة وسلام (من ملحمة الأقصى)
وقفة في تاج محل (من ملحمة الإسلام في الهند)
الطائفة الظاهرة (من ملحمة الإسلام في الهند)
على أبواب كابل (من ملحمة الجهاد الأفغاني)
نجوى بين فلسطين وكابل (من ملحمة الجهاد الأفغاني)
من قصيدة فلق الصباح (من ملحمة فلسطين)
سراييفو (من ملحمة البوسنة والهرسك ـ
الجريمة الكبرى)
فجرٌ في موستار (من ملحمة البوسنة والهرسك ـ
الجريمة الكبرى)



من الملاحم

ربّما كان قراء الملاحم الشعرية قليلين، مع أنني جعلت معظم الملاحم يتألف من قسمين: قسم نثريّ لمن لا يهوى قراءة الشعر، وقسم شعري لمن يهوى الشعر. فهنالك في الملحمة قضية يجبُ نقلها إلى القاريء الكريم، لتسهم الملحمة في معركة الأمة المسلمة، وفي بناء الأمة المسلمة الواحدة، وجمع شتاتها.

لذلك، رأيت أن أختار من كل ملحمة قطعة شعرية أضمها لهذا الديوان للتعريف بقضايا الملاحم من ناحية وأهميتها، ولتيسير العودة إلى الملحمة الأصلية لمن يرغب ذلك.

ولقد أشرتُ إلى رأيي في الصورة التي يجب أن تكون عليها الملحمة الإسلامية في مقدمة ملحمة البوسنة والهرسك وفي غيرها وفي كتابي الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته.

الغربـاء
(من ملحمة الغرباء)

أنى تلَفَّتُّ أَصبَحْتُ الغَريبَ عَلَى ... أَهْلي وصَحْبي وَمَنْ أَفديهُمُ بدَمِي

يَكادُ يُقْعِدُني مُرُّ الهَوانِ بنَا ... وَيَدْفَعُ العَزْمَ في بَيْدائِهَا شَمَمِي

مَا كُنْتُ أَطْلُبُ وَصْلاً لا أُبَدِّلُهُ ... إلاّ عُرَى الدّين حَبْلاً غَيْرَ مُنْفَصِمِ

وَلاَ رَجَوْتُ وِداداً في مُرُوءَتِهِ ... إلَّا المَودَّةَ في القُرْبَى وَفي رَحِمِ

مَنْ كَانَ يَطْلُبُ أَنْسَاباً دفعْتُ لَهُمْ ... أزكَى وأطيبَ مَا يُرْجَى مِنَ اللُّحَمِ

مُضَمَّخاً بدَمٍ . . ! طِيباً عَلَى عَبَقٍ! ... زَهْواً عَلَى شَرَفٍ . . ! مَجْداً عَلَى هِمَمِ!

تَراهُ يَضْرِبُ في التاريخ أَفْرُعَهُ ... عِزًّا وَيَمْضِي مَعَ الأيَّامِ في كَرمِ

وَشيجَةُ الحَقِّ والإيمَانِ وارِفَةٌ ... بِظِلِّهَا وَنَدِيٍّ وَافِرِ النِّعَمِ

* * *

لَيسَ الغَرِيبُ فَتىً أَلقَتْهُ صُحْبَتُهُ ... وَلاَ الَّذي قَطَعَتْهُ الأرْضُ عَنْ رَحِمِ

ولا الذي غادَرَ الأَوْطَانَ مُرْتحِلاً ... وَملءُ جَنْبَيهِ عَزْمٌ غَيْرُ مُنْهَزِمِ

سيؤْنس الدَرْب ذكْرُ الله يدْفعني ... إذا أشاح بنو عمّي بِوجْهِهِمِ

يُبلّل الجَوْف إنْ شدَّ الهَجيرُ بنا ... ويمْلأُ النَّفْسَ مِنْ أمْنٍ ومَنْ عصَمِ

طوبَى لكلِّ غريبٍ صابرٍ شرفاً ... مُسْتَمْسِكٍ بالهُـدى بالله مُعْتَصِمِ

* * *

أنا الغريْبُ إذا فارقْتُ حانيةً ... من الكتابِ وآياتٍ منَ الحِكَمِ

وسُنّةً مِنْ رَسُول الله مُشرِقةً ... وَصحْبَةً منْ صفي العَهْدِ والذِّمَمِ

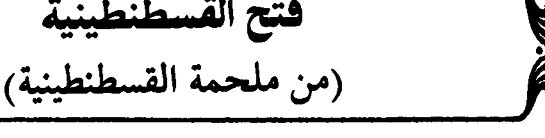
أنا الغريبُ إذا جاوَزْتُ مُعْتَقَدِي وَرُحْتُ أضْرِبُ في وَهْمٍ وَفي رُجُمِ
أنا الغَريبُ إذا اسْتَسْلَمْتُ عَبْدَ هَوى وَعَرْبَدَتْ شَهَوَاتُ العُمْرِ مِلءَ دَمِي
وَغُرْبَةُ النَّفْسِ تُشْقِي كُلَّمَا نَزَعتْ نَفْسٌ إلى صَنَمٍ يَهْوي إلى صَنَمِ
وَقَسْوَةُ الذُّلّ أنْ يَرْقَى الشِّعَارُ عَلَى زَخَارِفٍ كَذَبَتْ في السَّاحِ والأكَمِ

* * *

سَيَجْمَعُ الغُرَباءَ السَّاحُ في لَهَبٍ وتَهْتَدِي فِطْنَةُ الألْبَابِ بالحِكَمِ
وَعِزَّةُ النَهْجِ في أفْياءِ موْهَبةٍ مِنَ التّقى وَجَلالِ الموكِبِ العَمَمِ
سَنَدْفَعُ الخطْوَ فَوقَ الدّرْبِ وَقْد لظىً ولفْحَةَ الشَوْق إعْصَارَ الفَتى القَرِمِ
عَلى مَحَاجِرِنا أطْيافُ ملْحمةٍ وَبينَ أكْبادِنا أشواقُ كُلِ كَمِي
وَمِنْ سَوَاعِدِنا هَدَّارَةٌ عَصفَتْ هُوْجُ الأعاصير جَازَتْ ظُلْمةَ التُّخَمِ
وَفي مباسِمِنا إشْرَاقَةٌ طَلَعَتْ تُعِيدُ مِنْ عَبْقَرِيٍّ اللحْنِ والنَّغَمِ
الله أكبَرُ. . ! دَارُ الخُلْدِ فَامْضِ لَهَا مَعَ المَيَامِينِ مِنْ غُرٍّ وِمِنْ بُهَمِ

* * *

٢٣/١١/١٤٠٥هـ
٨ /٨/ ١٩٨٥م



فتح القسطنطينية
(من ملحمة القسطنطينية)

قال رسول الله ﷺ: «لتُفتحنَّ القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»

(أخرجه البخاري في تاريخه الكبير والحاكم في المستدرك[(1)])

هـٰذِي الدِّيَارُ «بَني عُثْمانَ» كَمْ رَفَعَتْ ... لله مِنْ رَايَةٍ خَفَّاقَةِ العَذَبِ

وكَمْ تُرَىٰ دَفَعَتْ لله مِنْ عُصَبٍ ... تَمْضِي عَلَىٰ سَاحِهَا مَوْصُولَةَ العُصَبِ

هُنَا السَّلَاطِينُ كَانَتْ في مَجَالِسِهَا ... نُوراً مِنَ الحَقِّ أَوْ بَرْقَاً مِنَ القُضُبِ

هُنَا الوُفُودُ التي جَاءَتْ مُسَلِّمَةً ... فَأَسْلَمَتْ أَوْ تَلَقَّتْ عِزَّةَ الأَدَبِ

أَحْلَىٰ الأَمَانِي لَدَيْهَا أَنْ تَرَىٰ رَجُلاً ... شَقَّ المَيَادِينَ شَقَّ الفَارِسِ الضَّرِبِ

وَجَمَّعَ النَّصْرَ مِنْ وَادٍ وَمِنْ جَبَلٍ ... وَمِنْ بِحَارٍ وَمِنْ نَهْرٍ وَمِنْ شُعَبِ

حَتَّىٰ أَتَى لِمَضِيْقٍ غَيْرِ مُنْفَرِجٍ ... وَزَحْمَةٍ مِنْ عَظِيمِ الهَمِّ وَالنَّصَبِ

ضَاقَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَى مِنْ جَحَافِلِهِ ... جَحَافِلاً، وَرَمَى بِالنَّارِ، بِالشُّهُبِ

حَتَّى إِذَا اسْتَغْلَقَ اللَّيْلُ البَهِيمُ وَمَا ... رَأَى بِهِ فُرْجَةً تُنْجِيْهِ مِنْ كُرَبِ

تَدَفَّقَ النُّورُ شَلَّالاً يُضِيءُ لَهُ ... بُشْرَىَ مِنَ اللهِ لَمْ تَكْذِبْ وَلَمْ تَرِبِ

لَتُفْتَحَنَّ بِلَادُ الرُّومِ فَاتِحُهَا ... نِعْمَ الأَمِيرُ وَنِعْمَ الجَيْشُ فَاقْتَرِبِ

بُشْرَىٰ الرَّسُولِ أَضَاءَتْ كُلَّ نَاحِيَةٍ ... وَأَشْعَلَتْ هِمَّةً مِنْ فِتْيَةٍ نُجُبِ

وَفَتَّحَتْ سُبُلاً لَانَتْ مَسَالِكُهَا ... لِصَابِرٍ في سَبِيلِ اللهِ مُحْتَسِبِ

وَأَحْكَمَ الأَمْرَ فَانْسَابَتْ بَوَارِجُهُ ... مَا بَيْنَ مُخْتَبِيءٍ مِنْهَا وَمُنْسَرِبِ

---

(1) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد (ج: ٢٤) (ص: ٥٩).

حَتَّى أَحَاطَ بِهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وأَحكَمَ الطَّوْقَ مِنْ بَابٍ وَمِنْ سَرَبِ
فَرُجَّتِ الأَرْضُ مِنْ زَحْفٍ تَمُوجُ بِهِ دُنْيَا البُطُولاَتِ إِعْصَاراً بِكُلِّ أَبِي
كأنَّما الأَرْضُ شُقَّتْ عَنْهُمُ فَعلَوْا أَكْتَافَهَا وَرَمَوْهَا رَمْيَةَ العَجَبِ
وَأَشْرَقَ الفَجْرُ والدُّنْيَا تُطِلُّ عَلَىٰ بُشْرَىٰ وَآيَةِ نَصْرٍ أَوْ حَدِيثِ نَبِي
بُشْرَىٰ مَعَ الدَّهْرِ آيَاتٌ مُبيِّنَةٌ وَلَهْفَةُ الشَّوْقِ مِنْ جُنْدٍ وَمِنْ عُصَبِ
جَالُوا بِهَا فَكَأَنَّ النُّورَ يَغْمُرُهَا يَرْوِي ويَغْسِلُ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ شُعَبِ
وَأَطْلَقُوا دَعْوَةً لله صَادِقَةً تُزِيحُ مِنْ ظُلُماتِ الجَهْلِ والحُجُبِ
كَأَنَّما فَتَّحُوا غُلْفَ القُلُوبِ بِهَا فَتْحاً مِنَ اللهِ لاَ فَتْحاً مِنَ القُضُبِ
قُسْطَنْطِنيَّةُ هَذَا النُّورُ فانْتَفِضِي وَكَبِّرِي وَاسْجُدِي للهِ واقْتَرِبِي
وَهَلِّلِي يَا رُبَىٰ اسْتَنْبُول وَائْتَلِقِي وَزَيِّنِي الدَّارَ مِنْ حِلْيٍ وَمِنْ قُشُبِ
وَرَفْرِفِي بالهُدَىٰ مِنْ كُلِّ رَابِيَةٍ مَآذِناً خَشَعَتْ بالآيِ وَالرَّهَبِ
لَوْلاَ فُتُوحُ رَسُولِ اللهِ قُلْتُ هُنَا فَتْحُ الفُتُوحِ وَهَـٰذِي زَهْوَةُ الغَلَبِ
تَسَابَقَ الخُلَفَاءُ المُسْلِمُونَ لَهَا عَلَى الزَّمَانِ سِبَاقَ الصَّادِقِ الأَرِبِ
فَلَمْ يَنَلْهَا سِوَىٰ هـٰذَا الفَتَى قَدَراً للهِ يُمضِيهِ فِي تُرْكٍ وَفِي عَرَبِ
مُحَمَّدٌ فَاتِحُ الدُّنْيَا وَمَا طَمِعَتْ نَفْسٌ لَهُ بِرَخِيصِ الفَتْحِ والسَّلَبِ
يَمْضِي إِلى اللهِ والفِرْدَوْسُ غَايَتُهُ ولَهْفَةُ الشَّوْقِ تُنْجِيهِ مِنَ الرِّيَبِ
كَأَنَّ وَثْبَتَهُ للهِ دَفْقُ هُدَىٰ يُفَجِّرُ النُورَ فِي وَادٍ وَفِي هِضَبِ
كَأَنَّما أَنْبَتَتْ أَسْيَافُهُ وَرَوَتْ وَرْداً وَعَضَّتْ عَلَىٰ الأَشْوَاكِ وَالغَرَبِ
وَصَارَتِ الأَرْضُ رَوْضاً، مِنْ أَزَاهِرِهِ طَلاَئِعُ الحَقِّ مِنْ صِيدٍ وَمِنْ نُجُبِ
فَتْحٌ مِنَ اللهِ مَا أَحْلاَهُ مِنْ أَمَلٍ بَلَغْتَهُ وكَرِيمِ السَّعْيِ والطَّلَبِ

* * *

١٤/١٠/١٤٠٦هـ

٢٢/٦ /١٩٨٦م

لا تقل لي: سياسة وسلام
(من ملحمة الأقصى)

لَا تَقُــلْ لي : سِيَاسَةٌ وَسَــلامُ ... ودِمَائـي تَمُــوجُ فِيهـا النُّجـودُ
وبَقايـا الأَشْلاءِ تَصْـرَخُ أَيْن الــ ... ـحَقُّ؟! أَيْنَ الوَفاءُ؟! أين العُهُودُ
والأَعَاصِيرُ تِلْـكَ تَقْتَلِعُ الخَيْــ ... ـمَةَ تَــذْرُو أَطْفَالَهـا وتُبيــدُ
وَالصَّبايـا! وأَدْمُعٌ! ويَتَامَــى ... وثَكَالــى وطِفْلُهَــا المــوْؤْدُ
والدِّمَاءُ التي صَبَبْنَا! وَمَا جَفَّــ ... ـتْ دِمَاءٌ ولا انْطـوَى تَشْــرِيـدُ
لمْ تَــزَلْ أَنَّةُ اللُّجُـوء تُــدَوِّي ... وَخِيـامُ اللُّجُــوء حُمْـرٌ وسُــودُ
ورَضِيعٌ يَكـادُ يُنْطِقُــهُ الهَــوْ ... لُ! يُنادِي: أَينَ الكميُّ النَّجيـدُ
انْهضي أُمَّتي! أَفيقي! على الدَّرْ ... بِ دَواهٍ يَشِيبُ مِنْها الـوَليــدُ

* * *

لا تَقُـلْ لي سِيَاسَــةٌ وسَــلامٌ ... فَحَدِيثُ السَّـلام شَـيءٌ بَعيــدُ
سَلْ «أَمرْكا» عَنِ السَّلَام «بفيتنا ... مَ» وَسَلْ رُوْسِيَا وسَلْ مَنْ تُريـدُ
وَسَلِ النّاسَ! مَنْ أَرادَ سـلاماً ... قَبْلَ أَن يَفرضَ السَّلامَ الحَديدُ؟!
هَلْ أَرادَ الرّوسُ السَّلامَ بأَفْغَــا ... نَ وَهَـلْ يَبْتَّغي السَّلَامَ اليَهودُ؟!
كُلُّهمُ يَنْظـرُون للأُفُــق الــوا ... سِـعِ ! أَطماعُهُـمْ هُناكَ تَزيـدُ
حَسِبُونا مِثْلَ النِّعَــاج فَقَالـــوا ... اذْبَحُوهُـمْ حَتّى يجفَّ الوريـدُ
يَفْرِضُ السِّلْمَ صَاحِبُ الحقِّ بالسَّيْــ ... ـفِ وَيَمْضي بِـهُ الأَبيُّ الشَّديدُ

* * *

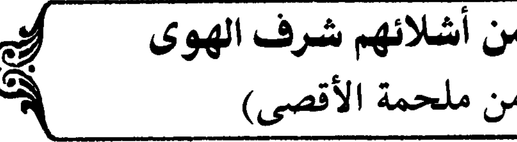
لا تَقُـل لي مَرَاحِــلٌ وَدَهَــاءٌ كُلَّ يوم ٍ تضِيقُ حَوْلي الحُـدودُ
كُـلَّ بضـع ٍ منَ السِّنين تَرَانــا ألفَ مِيل ٍ إلى الــوَرَاء نَعُــودُ
وَعَـدُوِّي أَرَاهُ يـقفِــزُ وثْبــاً لمزيــدٍ ومَا كَفــاهُ المـزيــدُ
لا تَقُـلْ لي : رَأْيٌ وخُطَّةُ نَهْـج ذاكَ نَهْجٌ تضِيـعُ فِيه الجُهــودُ
كُلَّ يوم ٍ نَرْمي ونُعْلي شِعــاراً وعَـدُوِّي لَهُ شِعــارٌ وَحِيــدُ
وَلَدينَـا مِـنَ العَواطِـف نــارٌ أَكَلَتْنــا ومِنْ هَوَانــا وَقُــودُ
وخُطانـا عَلى الطَّريقِ شَتَـاتٌ كَلُّ حِـزْبٍ بما لَدَيـهِ سَعيــدُ

* * *

يا قبة الأقصى
(من ملحمة الأقصى)

يَا قُبَّةَ الأَقْصى طَلَعْتِ على المَدَى — أُفْقـاً يُظَلِّـلُ لَهْفَتِـي وأُوَارِي
فَملأْتِ آفَاقَ الحَيـاةِ بَـلاَلَـةً — عِنْدَ الهَجِير وعندَ كُلِّ عِصَـارِ
يَا سـاحَةَ الأَقْصَـى ويا لجَلالِـهِ — سُـدَّتْ إليكَ مَسَالِـكٌ وبَـرَارِي
أأمُـرُّ في سَاحَاتِـهِ وأَشَـمُّ مِنْ — عَبَـقِ الجِنَـانِ بهِ ومِنْ أَزْهَـارِ
أَصْغِي إلى الزَّيتونِ بَيْنَ ظِلالِـهِ — قَصَصُ الجُدودِ ونَسْمَةُ الأَخْبَارِ
وعلى أَريـجِ البُرْتُقـالِ نَـدَاوةً — نَشَرَتْ هوَى الآصَالِ والأَسْحَارِ
وشَذاً مِنَ الليمُونِ بَيْنَ أَريجِـهِ — دَفْـقُ المَلاحِمِ أَو دَوِيُّ نِفَـارِ
المسجِـدُ الأَقْصى! فَيَا لِحَنِينِهِ — وأَنِينِـهِ وَجِراحِـهِ وَإِسَـارِ

* * *



ينون من أشلائهم شرف الهوى
(من ملحمة الأقصى)

وَرَجَعْتُ أَدْراجي وخَلْفِي صَيْحَةٌ
تَدْعُو وتُنْذِرُ كُلَّ مَنْ في الـدَّارِ

أَمْضِـي ويَتْبَعُني الصَّدى وكأَنَّـهُ
شـقَّ الزَّمـانَ وعَادَ في آثَـاري

مِنْ كُلِّ رابيَـةٍ نِـداءُ عَقيـدَةٍ
وطُيـوفُ أَجْـدَادٍ تقُولُ: حَـذَارِ

إِيَّـاكَ مِنْ شَـرَكٍ يُمَـدُّ وفِتْنَـةٍ
تُلقَـى وحَبْـلِ مَكَائِـدٍ ودَمَـارِ

إِيَّـاكَ مِنْ وحْـلٍ تَغُـوصُ بهِ فَلا
تَنْجُـو ومِنْ جُحْـرٍ ومِـنْ أَوكَارِ

المُجْرِمُونَ عِصَابَـةٌ! يَا ويْلَهُمْ!
هَلَكُـوا على طَمَعٍ لهُمْ وسُـعَارِ

وَثَبُوا وبيْنَ ضُلُوعِهم جَشَعُ الهَوَى
وعَلَى أَكُفِّهِمُ جُنونُ شِفَارِ

تَرَكُوا ضَحِيَّتَهُمْ ولسْتَ تَرَى سِوى
مِزَقٍ تَنَاثَرُ في نُيُوبِ ضَـوَارِي

يَتَنَازَعُـونَ هَواءَهـا وفَضَاءَهَـا
ورُبُوعَهَـا ومَنَابِـتَ الأَشْـجَارِ

والنَّاسُ قُطْعَانٌ تُسَـاقُ لِمَهْمَـهٍ
دامٍ وتُنْحَـرُ في يَـدَيْ جَـزَّارِ

دُوَلٌ عَمَـالِقَةُ الفَسَـادِ فَسِلْمُهُمْ
مكـرٌ وحَرْبُهُـمُ جُنُـونُ دَمَـارِ

مَا كَانَ يَسْتَجْدي الأَبيُّ حُقُوقَـهُ
مِنْهُـمْ ولا يَرْضَـى هَوَانَ «قَرَارِ»

«حقُّ المصيرِ» إِذَا عَزَمْتَ فَخُضْ لَهُ
بَحْـرَ الدِّمَاءِ تَفُزْ بعقْبَى الـدَّارِ

واجْعَلْ لِدَرْبك خُطَّةً تَجلو بهَـا
عَزْمـاً ومَعْلَـمَ وثْبَـةٍ ومَنَـارِ

وادْفَعْ إِلى المَيْدَانِ زَحْفَ كَتَائِبٍ
رُصَّتْ على عهْدٍ وصِدْقِ ذِمَـارِ

يَمْضُونَ للأَقْصَى نُفُوساً أَرْخَصَتْ
مُهَجـاً وصَبَّـتْ مِنْ دَمٍ فَـوَّارِ

يَبْنُونَ مِنْ أَشلائِهِمْ شَرَفَ الهَوَى ومِنَ الجَمَاجِمِ عِزَّةَ الأَسْـوَارِ
لله كُـلُّ قَذِيفَـةٍ شَـقّ الهُـدَى آفـاقَهَـا قَـدراً مِنَ الأَقْـدَارِ
تَهْوِي كَمَا يَهْوِي القَضَاءُ إِذَا أَتى بمَعَاقِـلِ الفُجَّـارِ والكُفَّـارِ
فَتُطَـلُّ مِنْ سَاحِ الجِهَـادِ بَشائِرٌ طَلَعَـتْ طَلُوعَ الكوكَبِ الزَّهَّارِ

* * *

٦/ ٥ /١٤١٠هـ

٤/١٢/١٩٨٩م

وقفة في تاج محل
(من ملحمة الإسلام في الهند)

رَجِّع قَصيدَكَ في الزَّمَان وغَرِّدِ ... واعْبقْ بطيبكَ في الحَياةِ وَجَدِّدِ
مَا أنْتَ إلاَّ سَيِّدٌ مِنْ أُمَّةٍ ... طَلَعَتْ عَلَى الدُّنْيا بأَعْظَمِ سَيِّد[1]
حَمَلَتْ رَسَالَتَها إلى الدُّنيا هُدىً ... لِتصُدَّ كُلَّ مُكَابِرٍ مُتَمَرِّدِ
وَمَضَتْ مَعَ التَّاريخ تَرْفَعُ بالهُدَى ... مَجْداً وبالإِيمانِ أَشْرَفَ مَحْتِدِ
هي أُمَّةُ الإِسْلَام! تَنشُرُ نُورَه ... وتَدُقُّ أَبْوابَ الجِنَانِ وتَفْتَدي
أَ«جِهَانُ»! هَذَا الصَّرْحِ كيفَ بَنَيْتَهُ ... غَرَّتْكَ مِنْ دُنْياكَ زَهْوَةُ سُؤدُدِ
فَلأيِّ مَجْدٍ يَا «جِهَانُ» رَفَعْتَهُ ... ولأَيِّ معنىً في الحَياة ومَقْصِدِ
عِشْرونَ عَاماً أو تَزيدُ صَبَبْتَها ... في سَاحِه مَالاً وأَنَّةَ مُجْهَدِ[2]
دُنْيا تَمُرُّ كَأَنَّها الظِّلُّ الذي ... يُطوَى عَلى عَجَلٍ، وتُفْقَدُ من يَدِ
أَمَّا «الجِنَانُ» فَإِنَّها الحقُّ الذي ... يُوفِي بِكُلِّ مُطيَّبٍ ومُخَلَّدِ[3]

* * *

(١) ما أنت إلا سيد: هو شاه جَهان أحد ملوك دولة المغول المسلمة، وهو الذي أمر ببناء «تاج محلّ»، ليضمَّ قبرين: قبراً لزوجته التي توفّيت وكان يهيم بها حبّاً، وقبراً له. وكانت أجرا عاصمة ملكه واسم زوجته «ممتاز». راجع المقدمة النثرية: وقفة في تاج محل. بأعظم سيّد: هو محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

(٢) استغرق البناء كله (٢٢) عاماً وعمل فيه عشرون ألف شخص.

(٣) «الجنان» الدار الآخرة.

أصِفُ الجَمالَ وَلَسْتُ أنْكرُ حَقَّه — وكَأنَّــه قبسٌ ووَمضَــةُ فرْقَــدِ
يَا «تاجُ» مِنْ أيِّ الجِنَانِ حَملْتَهـا — هذي الغِـراسَ وأيُّ ريٍّ مُرفِــدِ
يَا «تاجُ» مِنْ أيِّ المعَادِنِ صُغْتَها — هذي الجَوَاهِرَ لُؤلُؤاً في عَسْجَدِ[1]
لمَّا رَآكَ الحُسْنُ قَالَ هُنَـا خُلِقْـ — ـتُ وَهذه صُوَري وهذا مَوْلِدِي
مَا كُنْتُ قَبْلَ اليوم إلاَّ شُعْلَةَ المُشْـ — ـتَاقِ أوْ أَمَلَ الهَوَى المتَجدِّد[2]
وأظلُّ بَعْــدَ اليوم لحْناً شَيِّقــاً — بفَـم الزَّمَانِ وذِكرَيـات للغَـدِ
أمَّا هُنَا فأنَا الذي أُجْلَـى علَـى — سَاحَاتِه زَهْوَ الجَمالِ المفــرَدِ

* * *

يَالَلجدَار! يَكَادُ يَـرْوِي قِصَّــةً — ويُعِيدُ في أسْماعِنا خَفْقَ اليَدِ[3]
نَظَمَتْ يَـدُ النَّحَّـاتِ فيـه آيــةً — مَـا بَيْنَ يَاقُــوتٍ وبَيْنَ زُمُـــرُّدِ
وتَكادُ تَلْمحُ فِيهِ أطْيَافَ الهَـوى — أَشْـوَاقَ سَـيِّدةٍ ودَمْعَـةَ سَيِّد[4]
يَمْضي الزَّمَانُ يُعِيـدُ في دَقَّاتِـهِ — أَصْـدَاءَ أَضـلاَعٍ وَخَفْقَـةَ أكْبُدِ
وَزَخَارِفٍ مَاجَـتْ كَأنَّ زهُورَهـا — نَفَحَتْ عَلَيْكَ شذاً وروعَةَ مَشْهَدِ
وكأنَّمـا الألـوان بَيْنَ وُرُودِهـــا — أَطْيـافُ رَفْرَفَـةٍ وهَمْسَةُ خُــرَّدِ

(١) على جدران المبنى وجدران القبرين رسمت أشكال زهور من قطع صغيرة من الحجار الكريمة الملونة.
(٢) أي لم يكن أحد يحلم أو يتمنى حبّاً أعظم، ولا شوقاً لشيء في الدنيا أعظم من هذا التقدير للحب.
(٣) لقد رَسَم «النحّاتُ» على جدران القبرين وبعض الجُدران الأخرى أشكالاً من الزهور الجميلة بألوان زاهية جميلة من قطع صغيرة من الأحجار الكريمة المختلفة، كما صنع زخارف مختلفة، كلها بيده، يُركبها من هذه الحجارة، مستخدماً أدواته. الخفق: ضرب الشيء بالدرّة أو الأداة.
(٤) أشواق سيدة: شَوق «ممتاز» لزوجها وحبها له وهو غائب عنها في غزواته.
دمعة سيد: دمعة شاه جَهان على زوجته ممتاز التي ماتت في غيابه وهي تضع مولودهما الرابع عشر.

وكأنَّها دُنْيَا تَمُوجُ بِهَا الصَّـدى   آيـاتُ تَارِيـخٍ مَضَى ومُجَـدَّدِ

* * *

«أَجْرَا»! وفي جَنبيكِ خَفْقَةُ عَاشِقٍ   ثَـاوٍ وخفقـةُ عاشِـقٍ مُتمـرِّد[1]

أَصْغي! كأنَّ علَى رُبَاكِ خُطا الصِّبَا   ورفيفَ أَجْنِحةِ الهَوَى المتوَقِّد

وكأنَّ زَقْزَقَـةَ الطُّيـورِ بدَوْحِهَـا   نَغَمٌ أَعَادَ رُؤى الشَّبَابِ الأغْيَدِ[2]

قَبْرَانِ قَدْ جمَعَا الهَـوَى في آيَـةٍ   للذَّاكِـرين وعِبْـرَةٍ للمُهْتَـدي

أَغفَتْ هُنا «مُمْتَازُ»! يامَثْوى نأى   رَجِّع صَدى وأعِدْ بَيَانَك واشْهَدِ

وَ«جِهَانُ» في غَزَواتِه يَطوي المُنَى   ما بين خَفْقَـةِ أَضلُـعٍ ومُهَنَّـدِ[3]

غابا! فَأينَ الشّوقُ؟! أيْنَ نَدَاوَةٌ   رفَّتْ عَلَيْه؟! وأَيْنَ صَفْو الموردِ؟!

طُوِيَتْ صَحَائِفُ وانْقضَتْ في قِصَّةٍ   سَلَفَتْ على قَدَرٍ لَهَا مُتَرَصِّـد

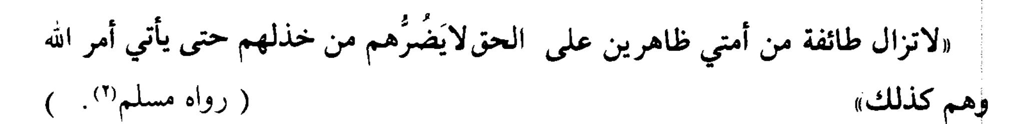
* * *

---

(١) «أجرا» عاصمة ملك شاه جهان، وفيها تاج محل. عاشق ثاوٍ: ممتاز التي توفيت. عاشق متمرِّد: شاه جَهَان الذي كان في الحرب.

(٢) الأغْيَد: الناعم.

(٣) إشارة إلى الحب (خفقة أضلع)، وإلى الحرب (خفق مهنّد).



الطائفة الظاهرة[1]

«لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايَضُرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» (رواه مسلم[2].)

(من ملحمة الإسلام في الهند)

المُجْرِمُون اسْتَكْبَروا في الأَرْض مَنْ ... سَيَرُدُّ كَيْدَ المُجْرِمينَ الجُحَّدِ

فِئَةٌ مُعَطَّرَةُ الجهَادِ غَنِيَّةٌ ... لله تَنْهَجُ بالسَّبيل الأَقْصَدِ

لله ظاهِرَةٌ تُقابِلُ مَنْ طَغَى ... في الأَرْض أو تُعْلِي لِواءَ مُحَمَّدِ

مِنْ كُلِّ أَرْوعَ في الجَهَادِ مُجَرَّبٍ ... مَاضٍ وكُلِّ مُصَدِّقٍ مُتَجَرِّدِ

أَغْنَى الحَيَاةَ بصدْقِه وَوَلاَئِهِ ... لله، لم يُشْرِكْ ولَمْ يَتَرَدَّدِ

مَنَحَ الحَيَاةَ جَمَالها بوفائِه ... ورَوَى المرابعَ بالدَّمِ المتَوَقِّدِ

وَمَضَى لإحْدَى الحُسْنَيَيْن يَشُدُّه ... شَوْقٌ إلى أوفى النَّعِيم وأَخْلدِ

* * *

أُلمجْرِمُونَ اسْتَكْبَروا في الأرض مَنْ ... سَيَرُدُّ مكرَ المُجرم المُتَرَصِّدِ

سَتَرُدُّه فئةٌ وَفَاءُ رِجَالِهَا ... بِرٌّ وإحْسَانٌ وخفقُ مُهَنَّدِ

---

(١) هذه أبيات من ملحمة الإسلام في الهند تصف الطائفة الظاهرة. كما وردت في حديث رسول الله ﷺ.

(٢) صحيح مسلم. كتاب (٣٣). باب (٥٣). (١٩٢٠).

فِئَةٌ تُقِيمُ عَلَى الزَّمَانِ مَنَائِراً ... مِنْ هَدْيِهَا ومَلَاحِماً مِنْ أَرْنُدِ
وتُعِيدُ للإِنْسَانِ عِزَّتَهُ التي ... دِيسَتْ وتُوقظُ شَوْقَه مِنْ مَرْقَدِ
وتُحَطّمُ الأَغْلالَ عَنْهُ فَكَمْ مضَى الإِ ... نْسَانُ بَيْنَ مُضَلَّلٍ ومُصَفَّدِ
وَتَمدُّ للمُسْتَضْعَفِينَ يَدَ الهُدَى ... مَدَداً ونَجْدَةَ صَادِقٍ مُتَوجِّدِ
فِئَةٌ كأنَّ المِسْكَ مِنْ أَنْفاسِهَا ... مَلأَ الزَّمَانَ وَعَطَّرَ الأُفقَ النَّدِي
تمضي فَيَهْتَزُّ الرَّبِيعُ بها إذا ... طَلَعتْ ويغني كُلُّ وادٍ أَجْرَدِ

* * *

على أبواب كابول
(من ملحمة الجهاد الأفغاني)

أأسكُبُ الشَّوقَ مِنْ جَفْنٍ ومِنْ كَبِدِ ... ومِنْ رُؤىً وَصَلَتْ عَهْداً مضى بِغَدِ
الذِّكْرياتُ على أطْلالِها نَهَضَتْ ... تُعانِقُ المجدَ شَوْقَ الأُمِّ للوَلَدِ
هُنَا الليالي التي فَارَقْتُها زَمَناً ... عَادَتْ تُحدِّثُ عنْ أهلي وعَنْ بَلَدِي
«كابُولُ» داري وإنْ شَطَّ المَزارُ فما ... يُقَرِّبُ الدَّارَ إلا لَهْفَةُ الكَبِدِ
فَحيثُما كانَ ذِكْرُ الله عُدْتُ إلى ... حَبْلٍ من الله مَوْصولٍ ومُنْعَقِدِ
أنا انتسابي إلى الإسلام: كُلّ هَوىً ... ماضٍ ويبقى هوى ديني ومُعْتَقَدي

* * *

لله دَرُّك يا «كابولُ» أيُّ شَذاً ... أَحْلَى مِنَ الدَّم دفَّاقاً مِنَ الوُرُدِ[1]
أزْكى من الوَرْدِ فوَّاحاً بروضته ... أغْنَى مِن النَّبْعِ فوَّاراً على جَدَدِ[2]
رَحيقُهُ: في سبيل الله نَفْحَتُه ... نَصْرُ على عِزَّةٍ قَعْسَاءَ لم تَحِدِ[3]
كأَنَّه عَبَقٌ والسَّاحُ تَنْشُرُهُ ... مِلءَ الزَّمانِ على الآفاق، في النُّجُدِ
لله تَسكُبُه الأَبْطالُ صاعِدَةً ... على مَدَارِجها آفَاقَ مُجْتَهِدِ
إلى الجِنَان! إلى الفردَوس وثُبَتُها ... تَدُقُّ أبوابها دقَّا بكلّ يَدِ
للنَّاس إن أظْلَمُوا نُورٌ به وإذا ... مَالُوا فمنْهُ جَلاءُ الحقِّ والسَّدَدِ

---

(١) الوُرُد: جمع الوريد.
(٢) جَدَدَ: الأرض الغليظة المستوية.
(٣) قعساء: الثابت من العز.

كمْ آيةٍ عَرَضَــت مِنْ طيبَها عَبَقــاً ... عَلـى عُلاً زَاهِـر في أُفْقِهَـا الغَـــرِدِ
فَقِفْ هُنَا أَيُّها الإِنْسـان في رَهَـبٍ ... واخْشَعْ إلى الله في سَاحَاتِهَا وَعُـدِ

* * *

جَـلاَلُ نَصْــــرِكَ آيـاتٌ مبيِّنَــــةٌ ... للمُؤْمنين وغَيْـظُ الحَاقِدِ النَّكِـدِ
عَشْـرٌ مَضَتْ! والدَّمُ القَاني يُفَجِّـرهُ ... مِن الوَريـدِ وفَاءُ العَهْـدِ والعُـــدَدِ
لَقَدْ تَجَـاوزْتِ شَـكْوانَا وواقِعَنَــا ... وقُمْتِ مِنْ غَفْوَةٍ رَكْضاً إلى كَبَـدِ[1]
إلى المَيادينِ يُجْلَى في مَلاحِمِهـــا ... حـقٌّ ويُحْسَمُ مِنْ أَمْـرٍ ومن عُقَـدِ
هُناكَ بيْنَ اللّظى صُغْتِ السِّياسَةَ لا ... بيْنَ الأَرائِــكِ والأَطْباقِ والحَفَدِ[2]
هُنَاكَ صُغْتِ على المَيْدَان فَلسَفَــةً ... تَقُـولُ إن شِئـتَ نَصْراً قُمْ لهُ وجُـدِ
وعُـذْ بربِّــكَ لا تُشْــرِكْ به أحـــداً ... ومَنْ يَعُـذْ بِسوى الرَّحمَٰنِ لم يَسُدِ

* * *

(١) كَبَد: مشقة.

(٢) الحَفَد: الأعوان والخَدَم.

(١)

نَجْـوَى
بين كـابـل وفلسطـين



(من ملحمة الجهاد الأفغاني)

«كابُولُ»! لي مَنْزِلٌ كانَتْ ملاعِبُه ... مَغْنَى الصِّبَا ورَفيفَ الطَّائِرِ الغَرِدِ
هُنَاكَ بَيْنَ ظِلاَلِ البُرْتُقالِ سَرَى ... نَفْحُ العُصُورِ غَنِيَّ الجُودِ والمَدَدِ
هَلِ البَسَاتِينُ ما زَالَتْ تَلُمُّ بهَا ... أَحْلَى الثِّمارِ وأَحْلى العِطْرِ والشَّهَدِ
هَلِ العَصَافيرُ مِنْ أَعْشَاشِها خَرَجَتْ ... مَعَ البُكُورِ وهَلْ زَهْرُ الرِّياضِ نَدي
هَلِ المُروجُ، هَلِ الأَنْسَامُ هل زَهرٌ ... يَموجُ بَيْنَ غَنيّ الحلْيِ والبُرُدِ
كَأَنَّ وَشْوشَةَ الزَّيتُون أُغْنِيَةٌ ... تَقُولُ هذي مَيادِينُ الرَّدَى فردِ
وقالَ لي زَهرُ اللّيمون: مَهْلَكَ لَنْ ... أَجُودَ بالعِطْرِ! قَدْ أَمْسَكْتُ جُودَ يدي
خَبَّأْتُ كُلَّ عُطوري في مَجامرها ... نَدِيَّةً لِشَهِيدَ الحقِّ والسَّدَدِ
يُعيدُ لي مُهْجَةً كَمْ كُنْتُ أَرْقُبُها ... نقيَّةً صَدَقَتْ للوَاحِدِ الأَحَدِ
يُطَهِّرُ الأَرْضَ مِنْ رِجْسٍ أَلَمَّ بهَا ... ومِنْ فَواجِرِ آفاقٍ ومِنْ شُرُدِ
ويَسْكُبُ العِطْرَ من أَوْداجِه عَبَقاً ... دماً تَفجَّرَ مِنْ قَلْبٍ وَمِنْ كَبِدِ
يَرْوي جُذُوراً مِنَ التَّاريخِ ضَارِبَةً ... في الأَرْضِ أَوْ أَغْصُناً رَفْرافَةَ المَلَدِ[1]
أَزْكَى مِنَ العِطْرِ مَا جَادَ الفُؤادُ بِه ... نَفْحاً يَظَلُّ غَناءَ الأَعْصُرِ الجُدُدِ
هذي فِلَسْطِين جَنَّاتٌ مُفَتَّحَةٌ ... ورَبْوَةٌ مِنْ مَعينِ الماءِ والبَرَدِ
تَظَلُّ مَلْحَمَةُ الإيمانِ دَائِرَةً ... فِيهَا وَدَفْقُ دِمَاءِ المؤمنينَ نَدي

---

(١) النَّفَد: الانتهاء والفناء.

(٢)

غضـبة الـزيـتون
وعتاب النسيم

وَقَالَ لي شَجَرُ الزَّيْتُونِ: ويْحَكَ سَلْ ... كُلَّ الرَّوابي ومَا قَدْ طَالَ مِنْ أَمَدِ

إني لَغَرْسَةُ إِسْلَامٍ وَلي نَسَبٌ ... في الدِّين فَاقْرأهُ في آيٍ ومُعْتَقَد

وقَالَ لي كُلُّ مَا في الدَّارِ مِنْ شَجَرٍ ... وكُلُّ مَا غَارَ أَوْ مَا اشْتَدَّ مِن صُعُدِ

مَنْ ذا يُمَزِّقُني؟! مَنْ ذا يُقَطِّعُني ... مَنْ ذا يَبيعُ غِراسَ العِزِّ والرَّأدِ

أأفْصِلُ القُدْسَ عَنْ عَكَّا وشاطِئها ... وغَزَّةً ورُبَى نَابُلْسَ عَنْ صَفَدِ

الأَرْضُ أَرْضِيَ، أَرْضُ المسلمين فَمَنْ ... تُراهُ وُكِّلَ في بَيْعٍ وفي سَنَدِ

مَنْ ذا يُقِيمُ دُويْلاتٍ مُمَزَّقَةً ... كَأَنَّهَا رُقَعٌ في ثَوْبِ مُنْجَرِد

أَوْ أَنَّهَا سُبَّةٌ في الدَّهْرِ عالِقَةٌ ... لا تَنْمَحي! وعَذَابُ الله شَرُّ غَدِ

وَنَسْمَةٌ حُلْوَةٌ مَرَّتْ تَقُولُ لَنا ... ومِلْؤُها عَبَقُ السَّاحاتِ والنُّجُدِ

نَهْجَانِ لا يَجمَعُ الرَّحمـٰن بَيْنَهُمَا ... نَهْجُ الضَّلَالِ ونَهْجُ الحقِّ والرَّشَدِ

لا يجمَعُ الله نَهْجَ المؤمِنينَ عَلى ... نَهْجِ الفَسَادِ ولا دَرْبًـا عَلى فَنَدِ

لَيْسَ النَّوافِرُ أَبْنائي وإِنْ وُلِدُوا ... هُنَا، ولَيْسَ عَدُوُّ الله مِنْ وَلَدي

بَرِئْتُ لله مِنْ صَفٍّ يُوَحِّدُهُ ... ذُلُّ التُّراب وشَكْلُ اللَّحْم والجَسَدِ

وَعُذْتُ بالله حَتَّى قُلْتُ مِن كَمَدٍ ... يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَمْ أُنْجَبْ ولَمْ أَلِدِ

المؤمِنُونَ هُمُ الأَنْسَابُ صَادِقَةً ... والله دونَ جميعِ الخَلْقِ مُعْتَمَدِي

* * *

(٣)



طفـل من فلسـطين

رَأَيْتُ طِفْلاً عَلَى سَاحَاتِها كُسِرَتْ ... يَدَاهُ والسَّاقُ عَنْ كَيْدٍ وعَنْ عَمَدِ
وبَيْنَ جَفْنَيْهِ شَيءٌ لَسْتُ أَعْرِفُهُ ... كَأَنَّهُ الدَّمْع بَيْنَ المَاءِ والجَمَدِ
فَقَال إِنِّي حَبَسْتُ الدَّمْعَ يَمْنَعُهُ ... مِنِّي الإِبَاءُ وَصِدْقُ العَزْمِ والجَلَدِ
ولاَ يَرانِي عَدُوِّي! إنْ تَكُنْ كُسِرَتْ ... يَدَايَ فالعَزْمُ لَمْ يُكْسَرْ ولم يَكِدِ
لكن يَكادُ يُذيبُ الدَّمْعَ يَدْفَعُهُ ... على خُدُودِيَ هَجْرُ الأَهْلِ ، ضِيقُ يَدِي
أَنَا انْتِسابِي لِدَارِ المُسْلمينَ فَهَلْ ... أَظَلُّ في عَالَمٍ ناءٍ ومُنْفَرِدِ
كُلُّ يُصَفِّقُ لي! والنَّارُ تأْكُلُني ... والنَّاسُ في شُغُلٍ عَنِّي وفي زُهُدِ
أَيْنَ الملايينَ مِنْ أَهْلي ومِن رَحِمي ... أَينَ المَدَافِعُ في زَحْفٍ وفي حَشَدِ
أَظَلُّ أَحْمِلُ أَحْجَارِي وأَقْذِفُهَا ... إلى مَتَى؟! وعَدُوِّي كامِلُ العُدَدِ
ولَمْ أَجِدْ مَدْفَعاً في السَّاحِ يَحْملني ... ولا الرَّصَاصةَ! إلاَّ في حَشَا كَبِدي
صُبُّوا جُمُوعَكُمْ في سَاحِهَا فَهُنَا ... خَصْمٌ تَطَلَّعَ للآفَاقِ والصُّعُدِ
إِذَا رَكَنْتُمْ أَتَى مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ... يَسْطُو وَيُفْسِدُ في رِزْقٍ وفي وَلَدِ
ويُفْسِدُ النَّاسَ عَنْ دِينٍ وعَنْ خُلُقٍ ... وتِلْكَ حَالِقَةُ الآفَاتِ والعُقَدِ
سَأَجْعَلُ الحَجَرَ المَوَّارَ قُنْبُلَةً ... وأُلْهِبُ الأَرْضَ مِنَ نَارٍ ومِنْ وَقَدِ
وأَمْلأُ الأُفْقَ هَدَّاراً بِقاذِفَةٍ ... مِنَ الصَّواريخِ أُلْقِيهَا على لُدَدِ
سَيَنْثَنِي الطِّفْل عِمْلاقاً بِسَاحَتِها ... يَدُكُّ مِنْ قُلَلِ الكُفَّارِ أو عُمُدِ
ويَنْثَنِي حَجَرُ الأَطْفَالِ عَاصِفَةً ... تجْتَاحُ مِنْ قَلْعَةٍ فِيهِمْ ومِنْ سُدَدِ
حَتَّى يَقُولَ بَنُو الدُّنْيا وقد ذُهِلُوا ... هُنَا إِذَنْ أُمَّةُ الإِسْلامِ لم تَبِدِ

عَادَتْ لِيَسْعَدَ في أَفْيائِهَا أُمَمٌ   ويَنْعَمَ الخَلْقُ في أَمْنٍ وفي رَغَدِ
نَمْضِي لِنَحْمِلَ للدُّنيا رِسَالَتنا   ونَدْعوَ النَّاسَ للإِيْمانِ والرَّشَدِ
وَنَدْعوَ النَّاسَ أَلَّا يُشرِكُوا أَبَداً   وَلا يُنَافِقَ إِنْسَانٌ إِلى أَحَدِ

* * *

٨ /٨/١٤٠٩هـ
١٥/٣/١٩٨٩م



فلق الصباح

(من ملحمة فلسطين)

رَجِّعْ دويَّكَ في البِطَاحِ ودَمْدِمِ … وانهضْ لمَلْحَمةِ الجهَادِ وأقْدِمِ

رَجِّعْ نداءَكَ في الوهَادِ وفي الذُّرَى … وبكُلِّ منْعَطفٍ يحنُّ إلى كمِي

واطْرُقْ بصَيْحَتِكَ الفضَاءَ فهَا هُنَا … خَنَقُوا النّداءَ وأطْبَقُوا فوقَ الفمِ

وَارْفَعْ نداءَكَ في السَّمَاءِ يُطِفْ على … أفْلاكِهَا حُرًّا وَبيْنَ الأنْجُمِ

مَنْ ذا يُجيبُكَ والدُّنا قَدْ سَكَّرَتْ … أسْمَاعَهَا والدَّارُ قبضةُ مُجْرِمٍ؟!

فَارْفَعْهُ للرَّحمـٰـن خفْقَةَ مُوقِنٍ … بالله لا غِـرٍّ ولا مُتَوَهِّـمِ

والْجَأْ إلَيْهِ فَلَمْ تزَلْ أبْوابُهُ … مفْتُوحَةً للسَّائِلِ المُتوسِّمِ

المُشْرَعَاتُ عَلَى الرُّبَى ما بالُها … طُويَتْ وَمَا بالُ الفَتَى لمْ يحْزمِ

مَا بالُهُمْ وَقَفُوا وأضْحى زحْفُهُمْ … كالبَرْقِ مِنْ أُفقٍ شحيحٍ مُظْلِمِ

هَلاَّ نشَرْتَ الفَجْر في جَنباتِهِ … ونشرت من برق العزائم والدمِ

فانهض! فهاتيك الربى قد فوِّحتْ … بالعِطْرِ مِنْ عَبق الجهادِ المُلْهِمِ

أمجادُ تاريخ ووحْـي نُبُوَّة … وجَلالُ إسْـرَاءٍ وعِزَّةُ مُسْلِمِ

وَرَفيفُ آياتٍ تمُوجُ بسَاحِهَا … نُوراً فَيَغْمُرُ مِنْ رُبىً أو مَعلَمِ

قُدْسِيَّةُ الأنْوار يَخْشَعُ عِنْدَهَا … قَلْبِي ويطْهرُ مِنْ هَوىً أو مأثَمِ

* * *

يَا رَبْوَةَ الأقْصَى حَنِينُكِ أدْمُعٌ … وأنينُ صَدْرِكِ مِنْ جوىً لَمْ يُكْتَمِ

تَتلَفَّتين! وَأيْنَ إعْصَارُ الفتى … يُنْجيكِ مِنْ رَهَقِ الإسَارِ المُحكمِ

تَتَلَفَّتِينَ! وكُلُّ يومٍ ثوْرَةٌ … عَصفَتْ! وقَيْدُكِ في الوغَى لَمْ يُحْطَمِ

أيْنَ الفَتَى لله يَدْفَعُ خَطْوَهُ وثْباً كَبارِقٍ صَارِمٍ أو لَهْذَمِ ؟!
وَيَدُقُّ أبْواب الجِنَانِ عَلَى دَمٍ حُرٍّ وَعهْدٍ في الوَغَى لم يُثْلَمِ

* * *

فانْهَضْ إذا أوْفَيْتَ خُطَةَ مُؤمِنٍ وصَدَقْتَ نَهْجَ الفَارِسِ المُتَرَسِّمِ [1]
وَتحفَّزَتْ كُلُّ الرُّبى! يَا حُسْنَها والغارُ فَوقَ جَبِينِهَا والمِعْصَمِ [2]
وازْيَّنَتْ بالزّاحِفين كأنَّهُمْ فَلَقُ الصَّبَاحِ جَلا عَبيرَ العَنْدَمِ
كُلُّ المَيَادِيْنِ التي هَيَّجْتَها هَبَّاتُ خَطَّارٍ ولَهْفَةُ مُعْلَمِ
أمَلٌ عَلى أجْفَانِنَا وكُبُودِنا وَعَلى مُحيَّانا وَفَوقَ المبْسَمِ
أمَلٌ كأنَّ الفَجْرَ في بَسَمَاتِهِ وَرَفيفُهُ بَيْنَ الطُّيوفِ الحوَّمِ
ونَضُمُّ في أحْنائِنا شَرَفَ الهَوَى والشَّوْقُ بَيْنَ مُجَنَّحٍ ومُكَتَّمِ
لله ما تَهْفُو القُلُوبُ إلى غَدٍ زاهٍ على مرِّ الزَّمَانِ مُوسَّمِ
ومَواكِبِ الإيمانِ تَجْلو نصْرها لتُعيدَ لألأةَ الفُتُوحِ اليُتَّمِ
وَمَجَامِع الدُّنيا تُرَدِّدُ حَوْلها الله أكْبَرُ أقْبلي وتَقَدَّمي
لا تَنْثَني إلَّا وفَتْحٌ مُشْرِقٌ وكَريمُ عِرْضِكِ في الوَغى لَمْ يُكْلَمِ
دارٌ مُبَارَكَةٌ وسَاحُ رِبَاطِهَا بَابُ الجنَانِ وآيَةُ الشَّوقِ الظَّمِي

* * *

(١) إشارة إلى ضرورة وجود خطة واضحة ونهج واع مدروس، وأهداف محدَّدة تحقّق كلها الغاية المرجوة وتوصل إلى الأمل الكبير حتى لا يتحوّل الجهد إلى شعارات أو إلى مسيرة بعيدة عن الأهداف.

(٢) إشارة إلى أنها قضية الأمة المسلمة كلها، لا قضية شعب واحد.

سرايفو [1]
(من ملحمة البوسنة والهرسك، الجريمة الكبرى)

أطِلّي «سَرَايِيفو» عَلَيْنَا بِدَفْقَةٍ ... مِنَ النُّور أو دَفْقٍ مِنَ العِطْرِ والدَّمِ
أطِلّي «سرايِيفو» عَلَينا بِصَيْحَةٍ ... تُدَوِّي وهُزِّي مِن غُفَاةٍ ونُوَّمِ
أطِلّي عَلى الدُّنيا سَنَا الفجْرِ دُونَهُ ... دَيَاجِيرُ مَاجَتْ فَوقَ سَاحٍ ومَعْلَمِ
طَلَعْتِ على الدُّنيا ووَجْهُكِ مُشْرِقٌ ... وعَهْدُكِ مِيثَاقُ الكَمِيِّ المُصَمِّمِ
فَتُنْمِي غِراسَ الحَقِّ بَيْنَ مَجَازِرٍ ... وتُحْيِي مِنَ الأَعْرَاسِ فِي كُلِّ مأْتَمِ
وتُعطِي إلى الإنْسَانِ جَوْهَرَ عِزِّهِ ... إبَاءً وإيمَاناً وجَوْلَةَ مُسْلِمِ

* * *

رَمَاكِ عَدُوُّ اللهِ فَانْتَفَضَتْ له ... عَزَائِمُ خَطَّارٍ وَوَثْبَةُ ضَيْغَمِ
أرادُوكِ للموتِ الذَّليلِ فَلَمْ يَهُنْ ... إبَاؤُكِ! وَاهتَزَّتْ رُبَاكِ فَأَقْدِمِي
فَأَرْضُكِ مِيلادُ الحَيَاة تَفَتَّحَتْ ... وُرُوداً تُرَوَّى مِنْ كُبُودٍ وعَنْدَمِ
يَصُبُّ بِهَا التَّارِيخُ حُرَّ دِمَائِهِ ... وفَاءً لِدِينٍ صَادِق العَهْدِ مُلْزِمِ
فَتَعْبَقُ أَزْمَانٌ بِطِيبِ أَرِيجِهَا ... وتَعبَقُ سَاحَاتٌ بِجَولَةِ مُعْلَمِ
تُعِيدُ عَلَى السَّاحَاتِ زَهْوَ جِهَادِهِ ... وتَرْوِي مَعَ الأَيَّامِ قِصَّةَ مُجْرِمِ

* * *

---

(١) أُلقيت في الندوة الشعرية في القاهرة، الندوة التي عُقدت بمناسبة مؤتمر الأدب الإسلامي الذي دعت إليه جامعة عين شمس واتحاد الجامعات الإسلامية ورابطة الأدب الإسلامي وذلك بين (٢٣ ـ ٢٥) ربيع الثاني ١٤١٣هـ (٢٠ ـ ٢٢) تشرين الأول ـ أكتوبر ١٩٩٢م. وهي جزء من «ملحمة البوسنة والهرسك ـ الجريمة الكبرى».

أغـارَتْ وُحُـوشُ الأَرْضِ ! يالِزحُوفها ... ويَـالِـهـلاكٍ بَيْـنَ ذِئـبٍ وأَرْقَـمِ
تَدَافَـعُ أَرتـالُ الـجَحيمِ تَدُكُّهـا ... جُنُـونَ لهيـبٍ قاصِـفٍ ومُـدَمْـدِمِ
تَزَاحَـمُ في عَرْضِ السّمـاءِ قذائِفٌ ... مِنَ المـوتِ تَهْـوي بالفَنـاء المُحتَّمِ
كَأَنَّ فضـاءَ الله يَهْـوي عَلى الثَّـرى ... ويُـطْبـق، ياوَيحي، على كُلِّ مَعْلَمِ
تَطَايَـرُ أَشـلاءٌ وتُـلقَـى جَمَـاجِـمٌ ... وتُـطلَقُ أَنْـهَـارٌ تَدَفّـقُ بالـدَّمِ
فَكَـمْ مِنْ صِبيٍّ في نَضَـارَةِ عُمْـره ... تَمـزَّقَ! لم يأثَـمْ ولـمْ يَتَـنَـعَّـمِ
وكم من عَجـوزٍ لم تَرُعْـه هُمُومُهُ ... فَرَاعَـتْـهُ أَهـوالُ الـعَـدوِّ الـمُلطِّمِ
وكم كاعِب ردَّتْ عَلَى الطهْر خِدرَها ... تُنـاشُ بوَحْشٍ مُجْـرِم الـطبع مُرْغِمِ
تَلَفَّـت لِلآفَـاقِ عَلَّ حُمَـاتَـهـا ... يُطِلُّونَ مِنْ أُفْـقٍ هُنَـالِـك مُظْلِمِ
تَلَفَّـتَ! أَيْـنَ الـمُسْلِمـونَ وَأَيْنَ ما ... دَعَـوا مِنْ شِعـارات الـوَفَـاءِ المُرَجَّمِ
فَرَدَّتْ على الـذُلِّ المـروِّع طرْفَهـا ... وطَـوَّتْ عَلَى الأَحْنـاءِ غُصَّـةَ أَيِّمِ
وأَهْـوَتْ عَلَى وَحْلٍ ! وأَطبق فوْقَها ... ذِئـابٌ! ودارَتْ قِصَّـةٌ لمْ تُتَـمَّـمِ

* * *

وطِفْـلٍ يَكَـادُ الهَـوْلُ يُطْلِقُ صَوْتَـه ... أَغِيثُـوا بَني الإِسْـلام عِرْضي ومحْرَمي
تَلَفَّـت كَيْ يَلقَـى أَبَـاه مُضَـرَّجـاً ... تَهَاوَى على سَيْلِ الرّصاص المُدَمْدِمِ
تَدَفَّـقَ مِسْـكٌ مِنْ عُروقٍ وأَضْـلُعٍ ... وظَـلَّ حَنَـانٍ من عُيـونٍ ومِـنْ فَمِ
وَأُمّـاً يَداهَـا مُدَّتـا كَيْ تَضُـمّـه ... فَعَـاجَلَهـا قَصْفُ اللّهيب المُضَـرَّمِ
قَضَـتْ ويَـدَاهـا لم تزالا كَأَنَّـهـا ... دُعَـاءٌ إِلـى مَولـىً أَبَـرَّ وَأَرْحَـمِ
عَلَى شَفَـتَيْهـا تمتَـمـاتٌ كَأَنَّمَـا ... طَواهـا الـردى عنـا فلم تتـكـلَّمِ
ولـكـن تَلقَّـتْهـا الـقُلُوبُ وأَطْلَقَتْ ... صَدَاهـا عَلَى الآفـاق غَضْبَةُ مُسْلِمِ
وَفَـاضَتْ عَلَى عَيْنَيْـهِ حُرْقَـةُ أَدْمُعٍ ... وَمَـاجَتْ عَلى خَدَّيْـهِ أَشجـانُ يُتَّمِ

وأطْـلَقَ عَيْـنَيـهِ تَدُورُ مَعَ الـمَـدَى ... عَلَى فَزَعٍ أو حَيْـرَةٍ أو تَوَهُّـمِ

* * *

تَلفَّـتَ والآفَـاقُ جُنَّـتْ وفُـتِّـحَـتْ ... عَلَى لَهَـبٍ مِنْ وَقْـدِهَـا المُتَضَـرِّمِ

فَمـا رَاعَـه إلَّا طَلائِـعُ عُصْـبـةٍ ... ووَثْبَـةُ وَحْشٍ هائج الطَّبْعِ أيْهَمِ [1]

فَصَـعَّـدَ فِيـهِ ناظِـرَيْـه : فَكَفُّـهُ ... بَرِيـقُ شِفَـارٍ لَمْ تَجـفَّ مِن الـدَّمِ

وفـي وَجْـهـهِ شيءٌ كَأنَّ سَوادَهُ ... بَراكِينُ حِقْـدٍ فَجَّـرتْ قَلْبَ غَيْهَمِ [2]

تَلاَقَتْ إذنْ عَيْـنَـاهُمـا : عِزُّ مُسْلِمٍ ... صَبيٍّ وذلُّ الفـاجـرِ الـمُتَجَـهِّمِ

تُنَـادَتْـهُ عَيْنـاه! فَيَـا لِنِـدَائِـه ... بَراءَةُ طِفْـلٍ تَسْتَغـيـثُ وتَحْـتَمي

ويـالِـنَـداءٍ لَوْ أصَـابَ حِجـارَةً ... لَلانَـتْ لَه من صِدْقِـهِ والتَّـوَسُّمِ

ونـادَى نداءَ الـمستغِيثِ! فَحـزَّهُ ... وألْقـاهُ أشْـلاءَ الإبـاءِ المحـطَّمِ

وغـابَ نِداءُ الـطِّفـلِ بين زَمـازِمٍ ... تُدَوِّي ومَـوْجٍ زَاحِـفٍ مُتَـقَـدِّمِ

وَدُكَّـتْ بُيُـوتُ اللهِ! يَاويـلَ كافِـرٍ ... إذا ماتَـولَّاهُ سَواءُ جَهَـنَّـمِ

وَيَـا وَيـلَ من يَلْهُـو ويَـتـرُكُ أمَّـةً ... تُبَـادُ ويَـغْـفُـو في هواهُ ويَـرْتَـمي

ستَـمـضِـي عَلَيـهـم سُنَّـةُ اللهِ آيَـةً ... فَتُـلقِيـهِ في لَيـلٍ من الشَّـرِّ أشْـأمِ

وتَـفْـضَـحُ مِن غَدْرٍ طَواه مُنَـافِـقٌ ... شَقـيٌّ ومَـن كَيْـدٍ أشَـدَّ مُكَـتَّـمِ

* * *

هُنـا يُسحَقُ الإنسانُ! تَهـوِي شَوامِخٌ ... مِنَ الخيـرِ أطْـلالَ البنـاءِ المُهَـدَّمِ

هُنـا يُهـزَمُ الـمُسْتَكبِـرون بظُلمِهم ... وَلَـو فَتَحـوا دَارًا وَفَـازُوا بِمَـغـنَمِ

تُمَـحَّصُ في هذا البَـلاءِ حَضَـارَةٌ ... لِيُكشَفَ زَيفٌ مِن شِعَـارٍ ومَـزعَمِ

وتُشـرِقُ في قَلبِ الـدَّيـاجِيـرِ عُصْبَةٌ ... بِكُـلِّ تَقِيٍّ مُقبِـلٍ غَيـرِ مُحجِمِ

---

(١) أيْهَم : من لا عقل له ولا فهم.

(٢) الغيهم : الظُلْمَة.

يَدُقُّون أبوابَ الجِنَانِ تَزَاحَموا عَلَيها وشَوقٌ قَد ألحَّ بهم ظمي
أُولئك يَبْنُون الحَضَارة والنُّهى ويُعْلُون مِن مَجدٍ عَلَى الدَّهرِ مُلْهِمِ

* * *

ومُستَكبِرٍ في الأرض جُنَّ جُنونُهُ وأفرَغ من حِقدٍ كرَيهٍ مُذَمَّمِ
وكَيدِ عِصَاباتٍ تَوارَتْ وراءَهُ تَمُدُّ يَدًا تُغْنيه إنْ ضاقَ أو رُمي
وقالوا «نِظَامٌ عالميٌّ» يَصُونُها وَقَدْ كذَبُوا واللهِ! يا هَولَ مَأْثَمِ!
لقد كَان بالأمس القَريب مُدَوِّيًا عَنيدًا بمكرٍ ظاهر الكَيْدِ مُحكَمِ
فما بالُه أَضْحَى هُنَا أَبْكمًا وَعَنْ جرائِمِ أهل «الصِّرب» لاهٍ بهَا عَمِ
وسَكّرت الدُّنيا العُيُونَ فَلَم تَعُد تَرَى غيرَ أَعمى أو أَصَمَّ وأَبْكَمِ
عِصَاباتُ إجْرامٍ تَدُورُ بمكرها مَعَ اللَّيلِ أَشتاتَ الهوى المُتَوَهَّمِ
يَظُنُّون أنَّ الليل بَاقٍ ومَا دَرَوْا بأَنَّ على الآفاقِ إشراقَ مُسْلِمِ
يَشُقُّ الدُّجى نورًا ويَطْرَحُ ظُلمةً عنِ النّاسِ في فجْرٍ أطلَّ مُوسَّمِ

* * *

٢٥/ ٤/ ١٤١٣هـ
٢٢/ ١٠/ ١٩٩٢م

فجر
في موستار[1]

(من ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى)

مَضَتْ هَزَعَاتُ اللَّيلِ والفجرُ مُقْبِلٌ ... ولمْ تُقْطَعِ الجولاتُ فِيهِ وتُحْسَمِ
كَأَنَّ النَّدَى يافَجْرُ دَمْعٌ تَصُبُّهُ ... ثكالى عَلَى أَطْلالِ بيتٍ مُهَدَّمِ
كَأَنَّ الشَّذَى أَعْفَى على الوَرْدِ وانْطَوَى ... وخَلَّفَ من عِطْرِ الدِّمَاءِ لَدَيْهِمِ
تَسَلَّلَ نُورُ الفَجْرِ في رَعَشَاتِهِ ... تَسَلُّلَ مَذْعورِ الفؤادِ مُلَثَّمِ
يُرَوِّعُه كَيْدٌ يُدَارُ وفِتْنَةٌ ... تُثَارُ بلَيْلٍ واسِعِ الشَّرِّ مُظْلِمِ
يُسَابِقُ أَهْوالَ الرَّدى وزُحُوفَها ... لِيُوقِظَ من طِفْلٍ وشَيْخٍ وأَيِّمِ
ومن أُسْرَةٍ لمَّ السُّبَاتُ جُفونَهَا ... بُعَيْدَ شَتَاتٍ في الميادينِ مُقْحَمِ
وقَدْ غابَ عَنْهُمْ والِدٌ لمْ تَزَلْ لهُ ... هُنَالِكَ في المَيْدَانِ جَوْلاتُ مُلْحِمِ
تَمُوجُ المَنَايَا حولَهُمْ ومَكَائِدٌ ... وتَبْتَلِعُ الأَمْواجُ وثْبَةَ ضَيْثَمِ[2]

* * *

وأَقْبَلَ صِربيٌّ لئيمٌ كَأَنَّهُ ... تَدَفُّقُ أَرْجَاسٍ ووحْلٍ ومَأْثَمِ
ومِنْ حَولِهِ، لو كُنْتَ تَشْهَدُ، عُصْبَةٌ ... تُجَمِّعُ مِن بَاغٍ طَغَى ومُزَنَّمِ[3]

---

(١) «موستار» عاصمة الهرسك. وهذه القصيدة جزء من كتاب «ملحمة البوسنة والهرسك ـ الجريمة الكبرى».

(٢) ضَيثَم: الشديد.

(٣) مُزَنَّم: دعيّ، لئيم، ملحق بقومه.

كَأَنَّــكَ لو أَبْـصَــرْتَ هَوْنَ غُرورِهِمْ ... تَرَى قَزَمًــا في ثَوبِ أَيْـهَمَ أَجْسَمِ [1]

فَفُــزِّعَ مَنْ في البَـيْـتِ مِنْ هول حِقْـدِه ... وهَبُّــوا وقَــدْ أَفْضَى الجَبَــانُ إِلَيْهِمِ

تَرى طِفْـلَةً لَمْ تَبْـلُغِ السَّبْــعَ رُوِّعَتْ ... تَمُــرُّ بِعَــيْـنَــيْـهَــا تَدُورُ عَلَيْـهِـمِ

عَلَيْــهَــا رِداءٌ أَحْــمَــرٌ لَمْ يَزَلْ لَهُ ... بَقَــايَــا حَدِيثٍ للطفــولَــةِ مُنْـعَـمِ

وأَصْــداءُ أَشْــوَاقِ الـطُّفُـولَـةِ لم تزلْ ... تَمُــوجُ عَلَيْــهِ في رجَــا وتَــوسُّــمِ

ومِـنْ خَلْفِـهَــا أُمٌّ حَنَـتْ لِتَـضُـمَّـهَــا ... وشَـيْــخٌ تَشَـكَّى بِالضَّعْفِي ومَهْــرمي

وطِفْـلٍ رضِـيـعٍ كَادَ يَزْحَفُ نَحْـوَهُمْ ... ويَـصْــرَخُ يَادُنْيَــا اشْهَــدِي وتَكَلَّمي

ولمــا رَأَتْ ذاتُ الــرِّداء رَجَــاءَهَــا ... وأَشْــواقَـهَــا لم تُوقِظِ الخَيْــرَ فِيهِمِ

تَرَاجَـعَـتِ الآمَــالُ وارتَــدَّ خَطْوُهَــا ... تَشَـبَّـثُ بالأُمِّ الـحَـنــونِ وتَـحْـتَـمي

فَصَــوَّبَت الــدُّنْيـا الـرَّصَـاصَ إِلَيْهِمِ ... تَدَفَّـقَ في رأسٍ وصَــدْرٍ ومِـعْـصَمِ

وأَبـلىٰ الـنِّـظَامُ الـعــالميُّ بِخنجَــرٍ ... لَيَــطْعَنَ في ظَهْــرٍ وجيــدٍ وأَعــظُمِ

يَدُورُ عدوُّ الله بالــنَّــارِ بَيْــنَــهُــمْ ... لِيُـفْــرِغَ من حِقــدٍ شَدِيــدٍ عَلَيْهِـمِ

تســاقَــطَتِ الأُمُّ الـحَـنــونُ وأَفْلَتَتْ ... يَدَاهَــا وأَهْـوَتْ فِي بِحَــارٍ مِن الــدَّمِ

وطِـفْلَتُهَــا أَهْــوتْ تَصُبُّ دمَــاءَهَــا ... عَلَيْـهَــا، وطِفْــلٌ قد تَنــاثَــرَ فِيهِمِ

وشَــيْــخٍ تَهَــاوَى! يالأَشَــلاءِ أُمَّــةٍ ... تَهَــاوَتْ ومجــدٍ في حُطامٍ مُكَــوَّمِ

* * *

ولَــم يَبْــقَ إلا قِطْعَــةٌ مِنْ رِدَائِــهَــا ... عَلَيهَــا بَقَــايَــا من حَدِيثٍ ومِن دَمِ

كَأَنَّــكَ لو أَصْغَيْتَ تَسْمَــعُ صَيْحَــةً ... تَضِيْــعُ بِدُنيــا مُجْـرِمِيـنَ ونُــوَّمِ

---

(١) أَيْهَمَ: من لا عقل له ولا فهم.

وسَالَتْ دِمَاءُ! فالتقى النُّورُ عِنْدَهَا ... وعِطرٌ وأنداءٌ وطلعةُ مُسْلِمِ

ليبْزُغَ مِنْها الفَجْرُ يَنْشُر من هُدىً ... ويجْلُوَ مَيْدانَ الشَّبابِ المعَلَّمِ

وَدَوَّى مَعَ الفَجْرِ الأذانُ وأَوَّبَتْ ... هِضَابٌ وعادَتْ بالدُّعَا والتَرَحُّمِ

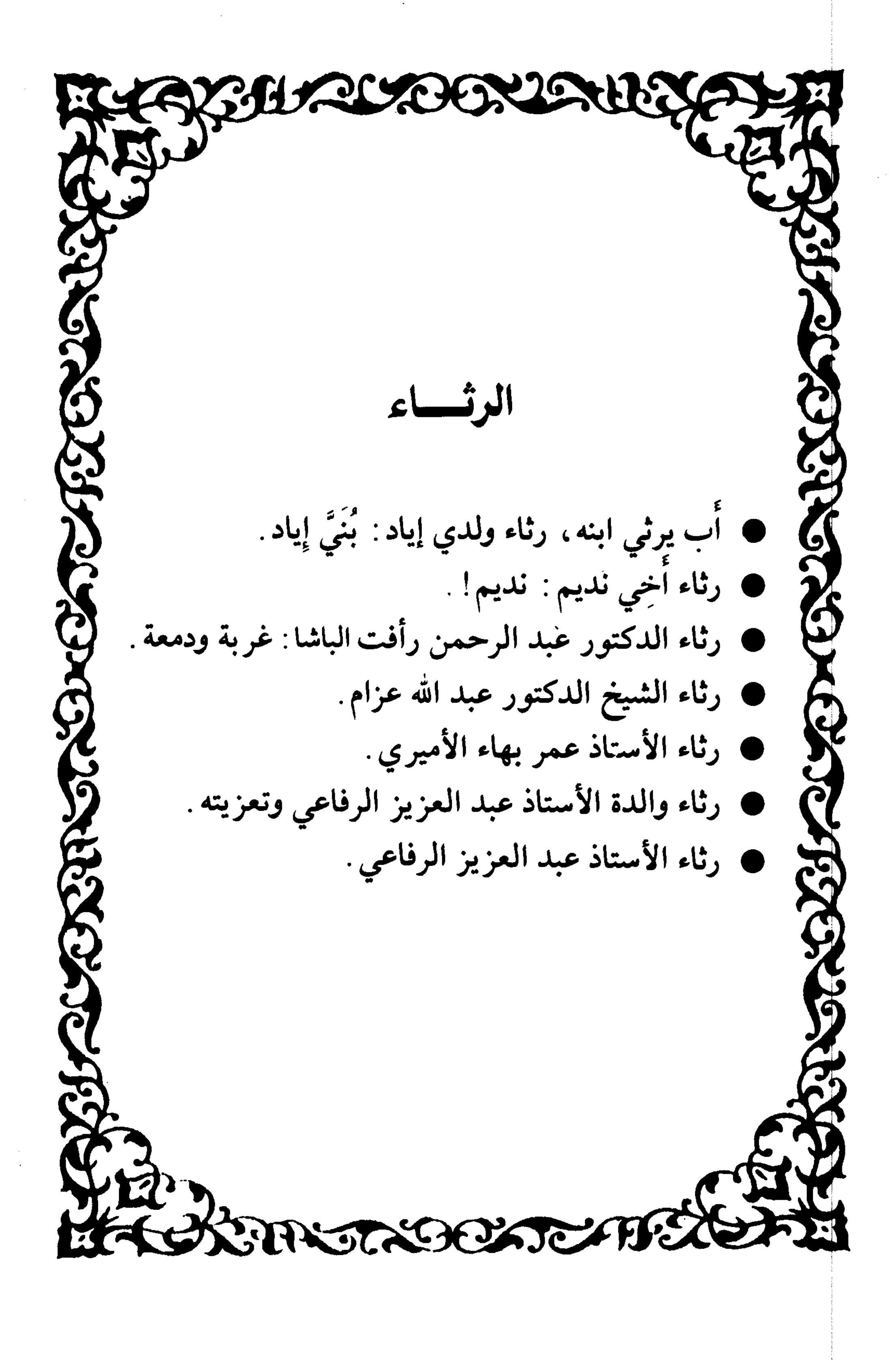
كَأَنَّهُمُ أَهْوَوْا إلى الله سُجَّدا ... يُجيبُونَ أشْوَاقَ النِّدَاءِ المُحوِّمِ

وَقَدْ خَشَعَتْ كُلُّ البِطاحِ ورجَّعَتْ ... صَدَاهُ الرُّبى! يَا للنِّداءِ المعظَّمِ

ودَوَّتْ به: الله أكبَرُ! رَدِّدِي ... إذنْ يَارَوابي مِنْ هُداهُ وَعَلِّمي

* * *





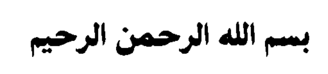
الرثـــاء

- أَب يرثي ابنه، رثاء ولدي إياد: بُنَيَّ إِياد.
- رثاء أَخِي نديم: نديم!.
- رثاء الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا: غربة ودمعة.
- رثاء الشيخ الدكتور عبد الله عزام.
- رثاء الأستاذ عمر بهاء الأميري.
- رثاء والدة الأستاذ عبد العزيز الرفاعي وتعزيته.
- رثاء الأستاذ عبد العزيز الرفاعي.



قصيـــدة
أب يرثـــي ابْنَـهُ





بُنَـي إيَـاد
يرحمك الله

إن الحمد لله نستغفره ونتوب إليه. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صلِّ على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

في يوم الأربعاء الثامن والعشرين من جمادى الأولى عام ألف وأربعمائة واثني عشر الموافق الرابع من كانون الأول «ديسمبر» عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين توفي ابني إياد رحمه الله رحمة واسعة وأدخله جنته. كانت الوفاة كما يبدو بعد الظهر، قبيل صلاة العصر.

في ذلك اليوم عاد إياد رحمه الله من جامعة الملك سعود، من كلية الهندسة قسم الكهرباء بحدود الساعة الواحدة بعد الظهر، حين كنت جالسًا مع بعض الأقرباء. لم يدخل ليسلِّم علينا، على غير عادته، وإنما دخل وجلس مع والدته وتناول طعام الغداء، وتوجه إلى غرفته ليستريح وينتظر موعد صلاة العصر.

كنت رأيته صباحًا قبل توجهه إلى الجامعة، حين دخل عليَّ وعندي ضيف فسلَّم علينا وذكرني الضيف بعد ذلك أنني عانقته بلهفة وحنان وشوق ودعوت له.

غادر الأقـرباء بحدود الساعة الثانية إلا ربعًا. فذهبت أسأل عنه، فعلمت أنه في غرفته فتوجهت إلى غرفتي أستريح وأنتظر موعد صلاة العصر. وبعد قليل جاءت والدته، ووجهها خائف حزين، تقول حاولت إيقاظ إياد لصلاة العصر ولكنه لا يستيقظ، توجهت مسرعًا إلى غرفته، فوجدته مستلقيًا وشفتاه مزرقتان، وجسمه بارد. اضطربت، ناديته وناديته. . . ! اتصلت بالهاتف ببعض الأصدقاء، ثم نزلت أطرق أبواب بعض الجيران،

فاستجابوا سريعًا، فكلهم كانوا يستعدون لصلاة العصر. جزاهم الله عني خير الجزاء وضاعف لهم الأجر والثواب. وكان من الجيران: عبد الله محمد المدلج، وعبد الرحمن صالح العبيدان، وصالح صالح باحشوان، وكذلك السائق البنغلاديشي الذي يعمل عندنا: عبد الحميد محمد إسماعيل.

حملوه إلى سيارة جارنا الأخ صالح باحشوان فتوجهت معه إلى مستشفى «الشميسي» وانطلقت السيارة مع انطلاق أذان العصر: الله أكبر الله أكبر.... ! أسلمت أمري لله ومافارقني الأمل بنجاته إلا حين أبلغني أطباء المستشفى أنه متوفى منذ ساعتين تقريبًا، وأنهم حاولوا تنشيط القلب وإعطاء الأكسجين دون جدوى.

قبلتُه ودعوت له مع الدموع الساخنة والحرقة اللاهبة والحسرة الشديدة. توضأت وصليت العصر، وعدت إليه أُقبله والعين تدمع والقلب يحزن. وبقي معي بعض الأهل والأصدقاء والجيران، منهم الأخوة الشيخ محمد بن سعد الهويمل وعبد الله بن مدلج المدلج وعبد الرحمن صالح العبيدان وحسين أبو عزب وصهري عبد المعطي الجوهري يلازموننا حتى إنهاء المعاملات القانونية في المستشفى وفي دائرة الشرطة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

تم تغسيله في اليوم الثاني الخميس قبل الظهر، بعد استكمال الإجراءات القانونية، غُسِّل في المستشفى نفسه، وقام بالتغسيل جارنا الأخ بدر ناصر الدريهم وساعده جارنا الأخ عبد الله مدلج المدلج وصهري الأخ عبد المعطي الجوهري، وطيّبوه وكفّنوه. وقفت أثناء التغسيل أتأمل وجهه الطيب، أقبله مع الدموع المتدفقة من الرحمة التي أودعها الله في عباده. ثم نُقل إلى المسجد القريب من المستشفى حيث انتظرنا صلاة الظهر فاجتمع عدد كبير من الأهل والأصدقاء وحضر من استطاع منهم من خارج الرياض. وصلينا عليه بعد صلاة الظهر، ثمَّ نُقل إلى مقبرة «العود» في نهاية «البطحاء» حيث تمَّ دفنه.

وأنزله في القبر جارانا السيدان بدر الدريهم وعبد الله المدلج وأهلتُ عليه التراب وبللتُ قبره بالماء وتلقيت التعازي بدمع محبوس ولوعة مكبوتة، ودعاء ملحٍّ إلى الله

العلي القدير.

يرحمك الله يا بُنيَّ إياد! كم كنت بارًا رضيًّا، عاقلاً ذكيًا، صابرًا تقيًا. اللهم إني عنه راضٍ فارضَ عنه ورضه وغسله بالماء والثلج والبرد، ووسع له قبره واجعله روضة من رياض الجنة، واغفر له وارحمه أنت أرحم الراحمين.

أرثيك يا بني الحبيب بهذه الأبيات. ولكنها لا تحمل كل ما أحمله أنا وأمك وإخوتك وإخوانك من حب وتقدير ودعاء. فالحب الذي أحمله لك أكبر من الشعر. يرحمك الله يا إياد ويرحمنا ويرحم عباده المؤمنين.

ولد إياد في مدينة الرياض في ١/١١/١٣٩١هـ الموافق ١٨/١٢/١٩٧١م. وفيها أتمّ دراسته إلى الثانوية. وكان خلال دراسته هذه من الأوائل. نجح في التوجيهية بمعدل ٩٤٪ ودخل كلية الهندسة قسم الكهرباء. وكان في السنة الجامعية الثالثة حين توفي رحمه الله رحمة واسعة.

بُنـي إيَـاد

يرحمك الله

رَحَـلتَ! وَبـي لهـفـةٌ منْ حَنيـنٍ ... وَشَـوقٌ إلـى برّك الـطّيِّـب

وَغـبْـتَ! وذكْـرُكَ عطر الـدّيـار ... وعـطرُ الـمَـرابـع والسَّبْسَـب[1]

وَفَـوحُ الـشَّـبَـاب عَلَى جِدِّهِ ... وفَـوحُ الـطّفُـولَـةِ في الـملْعَب

وحَـيـثُ نَزَلْـتَ غَنِـيَّ الـعَـطَاءِ ... تَقِـيَّ الـمـسَـالِـكِ والـمَـذْهَـب

* * *

رَحَلتَ! ومـازلـتُ أهْـفُـو إلَـيـكَ ... حَنيـنَ الـضُّـلوعِ وشَـوْقَ الأب

وَغـبْـتَ! ومـا زِلْـتُ أرْنُـو إلَـيْـكَ ... وقَـلبـي وَطَـرفـي يلُحَّـانِ بي

رَكَضتَ وَأسـرَعتَ! جُزْتَ المَـدَى ... فَيَـالـوثَـاب الـفَـتَـى الأنْـجَـب

كَأنَّـك تَعْـدُو إلـى جَنَّـةٍ ... يُبَـلِّغُـهَـا اللهُ من يَجْـتَـبـي

كَأنَّـكَ في حَومَـةٍ من سِبَـاقٍ ... فَجَـلَّيْـتَ في السَّبْقِ والمَـطْلَب

* * *

رَحَـلْتَ، بُنَـيَّ، عَلَى حُرْقَـةٍ ... وجَـمْـرٍ هُنَـا في الحَشَـا مُذْهِبي

عَلى مُقْـلَةٍ قَرَّحَـتْـهَـا الـدُمُـوعُ ... تَفَـجَّـرُ من قَلْبِـيَ الـمُـلهَـب

وحَـولِـيَ أُمُّـكَ نَبـعُ الـحَـنَـانِ ... تَصُـبُّ الـدُّمُـوعَ ولـم تَصْـخَـب

تَعَضُّ عَلى شَفَـتَـيـهَـا أسـىً ... لتَـكْـظم من حُزنِـهـا الـمُـنْصِـب

فَدَفْـقُ الـدُّمُـوعِ عَزاءُ الـفُـؤاد ... ألا أطْـلِقِـي الـدَّمْـعَ أو سَرِّبـي[2]

---

(١) السَبْسَب: الفلاة، الأرض البعيدة.

(٢) سَرَّب: أطلق دفعة بعد دفعة.

تَهِــيجُ بإخــوَتِــكَ الــذِّكــرَيَــاتُ ... حَنــيـنًا إلــى الــرَّحِــم الأقْــرَبِ
ودَمــعًا يَفــيضُ عَلَى الــوَجنَتَين ... فَيَــحــبِسُــهُ الـعَـزمُ مِن صُلَّبِ[1]
فَيُخفُــونَ مِن لَوعَــة في الـحَشَــا ... يُواسُــونَ مِن أُمِّــهِــمْ والأبِ
وصَــحــبٍ كَأنَــكَ مِن مُهــجَــةٍ ... نُزعَــت ومِــن أكْــبُــدٍ نُحَّــبِ
فَمَــا جُوا! فَمِــن موكِــبٍ مُقبِــلٍ ... كَرِيــمٍ يُواسِــي إلــى موكِــبِ

* * *

حَنِــيــنُ الأمُــومَــةِ! شَوقُ الأُبُــوَّ ... ةِ! فَيضٌ مِن الـحَــزَنِ الأصْــعَــبِ
يَمُــوجُ عَلَى فِطْرَةٍ أُودِعَــت ... وَنَــبْــعٍ مِنَ الــبِــرِّ لم يَنْــضَــبِ
فَيَــمــتَــدُّ مِن عَالَــمٍ ضَيِّــقٍ ... إلــى عَالَــمِ الــغَــيْــبِ والــغُــيَّبِ
فَمَــنْ يَسَــعُ الــحُــزنَ! هَذا مَدَاهُ ... مَدى عَالَــمٍ وَاسِــعٍ أرحَــبِ
فَمَــا يَسَــعُ الــحُــزنَ إلاَّ يَقِــيــنٌ ... وصِــدقٌ مَعَ اللهِ لَمْ يُكْــذَبِ

* * *

رَحَــلتَ! بُنَــيَّ إيــادًا! وغِــبْــتَ ... عَلَى لَوعَــةٍ وأسَــىً مُصــحِــبِ
إذَا مَا ذَكَــرتُــكَ هَاجَــتْ دُمُــوعِــي ... فأسـكُــبُ مِن وَابِــلٍ صَيِّــبِ
تُنَــازِعُــنِــي الــنَّــفْسُ دَمْــعٌ يفِــيضُ ... عَلَيــكَ وصَــبــرٌ جَمِــيلٌ أبِــي
أعــودُ إلــى ذِكْــرِ رَبِّــي فَأخــشَــ ... ــعُ لِلذِّكْــرِ والأمَــلِ الأرحَــبِ

* * *

رَحَــلْتَ! بُنَــيَّ إيــادًا! وغِــبــتَ ... وبِــي مِنْ جَوىً هائِــجٍ مُنْــصِــبِ
فأنَّــي التَفتُّ أرَى طَيــفَــك الحُلــ ... ــو حَولِــي يُخَــاطِــبُــنِــي يَا أبِــي
وطَــلــعَــةُ وَجــهِــكَ إشْــرَاقَــةٌ ... وإقْــبَــال طَيــفِــكَ لَم يَغْــرُبِ
ويَــســمَــةُ وجــهِــكَ نُورٌ يَفِــيضُ ... عَلَيَّ يَشُــقُّ دُجَــى الــغَــيــهَــبِ

---

(١) صُلب: الشديد، القوي.

وَلَهفَةُ صَوْتِكَ! كم قد حَنوتَ   عَلَى قَلبي الخَافِق المُتعَب[1]

فَيَجلُو حَديثُك صَفوَ النَباهَـ   ـةِ بالأَدب المُرْهَف الأعْذَب

تَضُمُّ جَنَاحَيْك حولي ببرٍّ   نَديِّ الشَمَائِلَ والمَوْهِب

* * *

إيادُ! وكُنْتَ تُجيبُ النِّدَاءَ   وتُسرِعُ ركضًا إلى مَطلَبي

فَمَا بَالُكَ اليَوْمَ لا تَستَجيبُ   وَعَهدي ببِرِّك لَم يَكذِب

وكُنتَ تُجيبُ نِداء الصَلاة   فَهَذا النِّدَاءُ! فَقُمْ وارغَب[2]

صَدَقْتَ! أَجَبْتَ نِدَاءً أَجَلَّ   وَقُمْتَ إلى مَنزلٍ أطيَب

إلى رَحمَة الله! عُقبَى التَّقِيِّ   إذا جَدَّ في السَّعيِ والمَذْهَب

إلى الله! إنا له راجعون   فَمَا مِن مُجيرٍ ولا مُعْقِب

إذَا حُمَّ فِينَا قَضَاءُ الإله   فَمَا مِن سَبيلٍ إلى مَهرَب

فَسبحَانَ مَن قَهرَ الخَلقَ فِي   قَضاءٍ وسُبحَانَ مَن يَجتَبي

* * *

إيادُ! حَنَانَيكَ! كَيفَ السُّلوُّ   وطَيفُكَ حَولِيَ لَم يُحْجَب

فَهذَا كَتَابُكَ! يا وَيحَ نَفسي   كَأَنَّكَ مَازِلْتَ فِي المَكْتَب

وهَذا قَميصُكَ حُلْوُ الشَّذَى   وهَذا الرِداءُ على المشجَب

وهَذا السَرِيرُ! كَأَنِّي أرَاكَ   فأُقْبِلُ والشوقُ قد هَاجَ بي

أعُودُ وبِي حُرقَةٌ مِن حَنينٍ   إلَيكَ، إلى وَجهِكَ الطَّيِّب

* * *

---

(١) إشارة إلى العمليتين الجراحيتين اللتين أجريتا لي في القلب.

(٢) إشارة إلى أن حادث الوفاة كان قُبيل أذان العصر، وقد تحركت السيارة بنا يقودها جارنا الأخ صالح باحشوان إلى مستشفى الشميسي مع انطلاق أذان العصر من يوم الأربعاء ١٤١٢/٥/٢٨هـ (١٩٩١/١٢/٤م).

ومَكتَبَةٌ نَسَّقَتها يَدَاكَ   عَلَى فِطنَة المَاهِر المُعجِبِ
أطُوفُ بِهَا ورُؤَى الذكريات   تَطُوفُ كَأَنَك لَم تَذهَبِ
يُذَكِّرُني كُلُّ رُكنٍ بهَا   حَنَانَ الفتَى الطَّيِّب الأَحْدَبِ

* * *

وأقْرأُ شَعري ونَثري فَتُصغِي   إلَيّ! فيَا للفتَى الأنْجَبِ
ويَا لبَيَانِ الفُؤَادِ الذَّكِي   ويَا لحَصَافَةِ مُستَوعِبِ
فأُصْغِي إلى نَفَحَاتٍ غَوَالي   كواكِبَ من حُسْنِها ثُقَّبِ

* * *

بُنَيَّ غَذَوتُكَ صَفْوَ اللِّبَان   وَعُلْتُكَ بالمَنْهَجِ الأصْوَبِ
كِتَابٌ من الله يُتلى ونُورُ   مِنَ الحَقِّ يُجلى وهَدْيُ النَّبي
تُعَلُّ وتَنْهَلُ منْ فَيْضِه   غَنيَّ السقَايَةِ والمَشْرَبِ
فَأَقبِلْ عَلَى الله! هذا هو الزَّا   دُ بالصِدقِ والعَمَلِ الطَيِّبِ

* * *

إيادُ! حَنَانَيك! وَاللّيلُ سَاجٍ   عَلَى مَهجَعٍ بالهُدَى مُرغِبِ
فَكَم كَانَ جَنبُكَ يَجفُو المَضَاجـ   ـع مِنْ رَهَبٍ بالتُقَى تَحْتَبي
فَتُحيي مِنَ اللّيلِ أجزاءَه   فرَغتَ إلى الله قُمْ فانصَبِ
أمُرُّ فأُصغِي! وأنْدَاءُ صَوتِـ   ـك تَنسَابُ بالعَبَقِ الأطيَبِ
إذَا مَا سَمعتَ النداءَ أجَبتَ   وَقُمتَ إلى مَنْهَلٍ أعذَبِ
نداءَ البُكور، نَدَاءَ الغَدَاة   نداءَ العَشِيَّةِ والمَغْرِبِ
خُطَاكَ تُذَكِّرُني لَهفَةً   إلى مَسجِدٍ حولَنَا أرحَبِ

* * *

بُنَيَّ! سَنَذكُرُ فِيكَ الشَبَابَ — نَديًّا عَلى غُصُنٍ مُرْطِبِ[1]

ونَورًا تَفَتَّحَ عِندَ الصَبَاحِ — وأَغفَى عَلى العِطرِ فِي المَغْرِبِ

سَنَذكُرُ طَلعَةَ وَجهٍ صَبُوحٍ — وإطْلالَةً مِن فَتىً أهيَبِ

فَنَسكُبُ فَوقَكَ عطرَ الورُودِ — مُنَدّى عَلَى الجَدَثِ الطَيبِ

مِنَ المُزنِ أو مِن حَنينِ الضُّلوعِ — فَيَا مُزنُ صُبِّي هُنَا واسكُبي

ويا قَلبُ فَاسكُب نَديَّ العُطورِ — حَنِينَ الأمُومَةِ شَوقَ الأب

وَنَدعُو لَكَ الله! يَارَبِّ فامنَحْ — بجُودكَ فَضلاً لَهُ أو هَب

وَوَسِّع لَهُ قَبرهُ رَوضَةً — ونَوِّره! نَضِّرْهُ أو ثَوِّب

وغَسِّلْهُ بالمَاءِ والثَلجِ يا ر — بِّ ! أيُّ عبادك لم يُذنِب

وبَدِّلهُ أهلاً ودَاراً أعَزَّ — عَلَى سَعَةِ الدَّارِ والمَرحَب

وَهَبهُ بِرِضوانِك المُرتجَى — نَعِيمًا على المَورد الأعذَب

يُزَفُّ إلَى الحُور فِي جَنَّةٍ — تَرِفُّ عَلَيهِ وفِي مَوكِب

* * *

أودَّعتَ أمس الفَتي «باسمًا» — رَفيقَكَ فِي الجِدِّ والمَلعَب[2]

حَنَنْتَ إلَيهِ! فَيَا لَلوَفَاءِ — وَحَنَّ إلَيكَ فَلاتَعْجَب

فَيَا «بَاسِمُ» انهَضْ لِحَقّ الوَفَاء — وَحَقِّ الإخاء! فَقُمْ رَحِّب

وودَّعْتَ أَمس «الربيع» النَّدِيَّ — فَتَى مَرَّ كَالطَيفِ لَم يَنْصَب[3]

نُعَزِّي بِهِ أهلَنا والصِّحَابَ — وما نَعْلَمُ القَدَرَ المُخْتَبِي[4]

---

(١) المُرْطِب: من أرْطَبَ النَّخْلُ إذا حان أوان رطُبه. إشارة إلى شبابه.

(٢) باسم محمود عثمان: صديقه الذي توفي قبله بأشهرٍ قليلة بحادث سيارة. رحمهما الله رحمة واسعة.

(٣) ربيع فتحي: توفي كذلك قبله بأشهر قليلة حين داهمته سيارة قرب منزله رحمهم الله جميعاً.

(٤) أهلنا: فأهله بمنزلة الأهل لنا.

كَأَنَّكُمُ ضِقْتُمُ مِن غُرورِ الحَـ ... ـياةِ ومن ضِيقِهَا المُجْدِبِ
فَآثَرتُمُ سَعَةً مِن جِنَانٍ ... ومِن رَيِّهَا الدَّافِقِ المُخصبِ
كَأَنَّ يَدَ الله تَخْتَارُ غَرْسَ الجِـ ... ـنَانِ وروُدَاً ونُورَ الرُبي
ألا لَكُمُ الله نَدْعو ولِلمُؤ ... مِنينَ عَلى أمَلٍ مُوعِبِ(1)

* * *

بُنَيَّ! يُخَفِّفُ مِن لَوعَتِي ... حُنُوُّ المُعَزِّي حُنُوَّ الأبِ
يَقُولُ المُعَزُّونَ نِعْمَ الفَتى ... تَقِيُّ السَجِيةِ والمَنْقَبِ
فَيَجزيهُمُ الله خَيرَ الجَزاءِ ... بِأَجْرٍ غَنِيَّ الرِّضَا مُعقِبِ

* * *

ولكن عَجِبتُ! وأينَ المُعزُّو ... ن بالوَطَنِ الضَّائعِ المُسلَبِ(2)
بُنَيَّ! مُصَابِيَ فَجعٌ بفَقد ... كَ مِن حَزَنٍ بالحَشَا مُنْشِبِ
ولكنَّ فتنَةَ قَومِي امتدادُ ... بَلاءٍ على القَلْبِ مستَصعَبِ
فأينَ المُعَزُّونَ بالأمّةِ اليوْ ... مَ ؟ أيْنَ المَدَامِعِ لَم تُسكَبِ؟!
فَأُمَّتُنَا مَزَّقَتْهَا الرِّيَاحُ ... وعَصفُ الأعَاصِيرِ بالمَركَبِ
رَمَتهَا فَتاهَتْ عَلى مَهمَهٍ ... وغَابَت عَلى فرقٍ شُذَّبِ(3)
فَتُلقَى بِسُوقِ النِّخَاسَةِ ما بَيْـ ... ـنَ ذِئبٍ تَواثَبَ أو ثَعْلَبِ
تَدُورُ! يُقَلِّبُهَا المُجرِمُونَ ... بِنَابٍ يُقَطِّعُ أو مِخْلَبِ
هُنَالِكَ أمَّتُنَا كَالعَبِيدِ ... تُبَاعُ وكَالرجِلِ الأعْضَبِ(4)

---

(1) مُوعِب: من أوْعَبَ أي جمعَ.
(2) أسْلَبَ الشجر: ذهب حملها وسقط ورقها.
(3) شُذَّب: جمع شاذب: المنتحي عن وطنه الميئوس من صلاحه.
(4) الأعْضَب: الذي لا ناصر له.

فَتُزجَى إلى كُلِّ مُسترخِصٍ لئيمٍ يَمُرُّ ولَم يَرْغَب
فَتُسحَقُ بينَ النِّعَال وتُرمىَ لَقىً هَمَلَ الشَرق والمَغرب[1]
تُودِّعُ بالأفقِ أَحْلامَها تغيبُ عَلى بَرقِهِ الخُلَّب
كَأَنَّكِ يَا أُمَّتي مُتِّ مِن هَوَانٍ ومِن كَمَدٍ مُعطِب
كَأَنَّكِ لَم يَبْقَ مِنْكِ سوى رُفَاتِ شَريد مَضَى، مُغربِ[2]
يَحارُونَ أينَ تُوارَى الرُّفاتُ «بِمَدريدَ» أمْ «باللِّوَى الأقْرَب»؟![3]
تُرَى ! أم «بواشِنْطُنٍ» أمْ «بمُوسْكُو» تُوارَى الرُفَاتُ؟! ألا فَانْحَب!
يُسَمُّونَ ذَلِكَ «حَفلَ السَّلام» و«مُؤتَمَرَ الزَمَنِ القُلَّب»
فَأَينَ المُعَزَّونَ بالأمَةِ اليَو مَ، بَالدَّار، بَالسَاحِ، بَالمَلْعَب
وبالقُدْس، بِالمَسْجِد النَّازفِ الدَّ مِ، بالدَّفْقَ مِنْ جُرْحِهِ المُثْعَب[4]
بأَرضٍ مُبَارَكَةٍ ضَيَّعَتْهَا حُشُودُ المُرائينَ والهُيَّب[5]
نَسُوهَا فَهَانُوا ولَم يَذكُرُوا سَخَاءَ المَرَابِع فَيضَ الرُّبي
ولا ذَكَرُوا زَهوَ تاريخِهِم ودِينَنَا هُوَ الحَقُّ لَم يُغلَب
ولا لَهْفَةً مِن هَوى مَكَّةٍ ولا دَمعَةً مِن هَوى يَثْرب
فَهَبُّوا لمُؤتَمَرٍ يَائِسٍ بكُلِ ذَليلِ المُنَى مُصْحِب[6]
يَظُنُونَ أُمَّتَهُمْ أفْلَسَتْ ومَاتَتْ عَلى هَمِّهَا المُنْصِب

---

(١) لَقَى: ما طرح. هَمَل: المتروك ليلاً ونهاراً.

(٢) مُغرب: الذي ذهب بعيداً في الأرض.

(٣) اللِّوى: ما التوى من الرمل، إشارة إلى منطقة الشرق الأوسط كما يسمونها.

(٤) ثَعَبَ: الجرح سال دماً، والمَثعب: الحوض أو المسيل. والمُثعَب من أثعَبَ أي جَعَله يسيل.

(٥) الهُيَّب: الجبناء الخائفون.

(٦) مصْحِب: ذليل منقاد، مصاحب، وهنا بمعنى الذليل المنقاد.

أَلا خَسئـوا! لَـم تَزَلْ عَزمـةُ ... مِنَ الـديـن تُجـلَى ولـم تُحـجَـب
ومـا زَالَ فيـنَـا الـكَـمـيُّ الأبـرُّ ... وعــزْمُ الـفَـتـى الـمُـؤمِـن الـمُنْجب
سَتـنـهَض أمَّـتُـنـا نَهـضَـةً ... تَحُطُّ الـجَـبـانَ وتُـعـلِي الأبـي
نُوَدِّعُ بالـشَـوقِ أفـلاذَنـا ... بِمـوتٍ عَلىَ الـسَّـاحِ مستَعْـذَبِ

* * *

بُنَـيَّ! قَضَـيـتَ وأنـتَ الأبـيُّ ... تُجَـاهِـدُ فِي الله لم تَرهَـب
حَمَـلتَ الـرِسَـالَـةَ وَضَّـاءةً ... غَنِـيَّ الـعَـزيـمـةِ والـمَـوهِـب
سَيـرْحَـمُـكَ الله! فالله أرْحــ ... ـمُ بالـعَـبْـدِ مِنْ أُمِّهِ والأبِ

* * *

الإثنيـــن

الثاني من رجب سنة ١٤١٢هـ

السادس من كانون الثاني «يناير» ١٩٩٢م

غربـة ودمعـة [1]

رثاء الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

كان الأستاذ الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ رحمه الله ـ فيضًا من العزيمة والعطاء رغم مكابدته المرض، أثناء مؤتمر الندوة العالمية للأدب الإسلامي المنعقد في لكهنو ـ الهند سنة ١٤٠١هـ الموافقة ١٩٨٠م.

وكان رحمه الله من أوائل الدعاة إلى إحياء الروح الإسلامية في الأدب، وإلى إنشاء رابطة للأدباء المسلمين ليقَدِّموا النظرة الإسلامية في الأدب والنقد، وفي الإنتاج والعطاء والنصّ، واصطُلِحَ على ذلك بـ «الأدب الإسلامي» وبرابطة الأدب الإسلامي.

وقد بذل ـ رحمه الله ـ جهودًا كبيرة أثناء عمله في جامعة الإمام محمد بن سعود، حتى تكونت دراسات في هذا الباب وخصصت مادة له تولَّى تدريسها.

لقد كان آخر لقاء لنا معه في استانبول، حيث كان ينعقد مجلس أمناء الرابطة

---

(١) لقد نشرت صحيفة الجزيرة هذه القصيدة كاملة بصورة كريمة في عددها رقم (٥١٠٣) وتاريخ ١٤/١/١٤٠٧هـ (١٨/٩/١٩٨٦م) السنة (٢٣). ثمّ فوجئت بعد أيام بأن الصحيفة خصصت صفحتين لمهاجمة القصيدة وصاحبها بصورة عنيفة، وذلك في عددها (٥١١٤) الصادر في ٢٥/١/١٤٠٧هـ (٢٩/٩/١٩٨٦م) في مقال لكاتب وضع اسمه المستعار «ابن جِني». وقد ردَّ على هذا المقال عدد من الأساتذة الأدباء بعثوا إلي بصورة من ردودهم. إلا أن الردود لم تُنشَر. وقد نشر الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة ردَّه القيّم في كتاب صدر له مؤخراً: «دراسات في النقد الأدبي ـ بين النظرية والتطبيق» (ص: ٢٨١ ـ ٢٩٦). نشر الدار الأندلسية للأوفست سنة ١٩٨٩م. وكان من بين من بَعثُوا بردودهم التي لم تُنشَرْ كذلك الأستاذ محمد حسن بريغش، والدكتور عبد الباسط بدر.

وحيث عقدت بعض المؤتمرات الأدبية خلال صيف ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م). وقد وصل استانبول بعد انتهاء الأنشطة الأدبية بسبب مرضه الذي اشتد عليه. ولقد جمعتنا لقاءات تحت ظلال شجر التوت، وعلى ضفاف البوسفور، وبين آثار استانبول الإسلامية.

هنـاك في استانبول، بعد أن غادرتُها، وافته المنية يوم الجمعة ١١ ذي القعدة ١٤٠٦هـ (١٨ تموز - يوليو - ١٩٨٦م).

وحين بلغني خبر وفاته سكبتُ عليه هذه الدمعة وفاء لصحبة وعهد، رحمه الله رحمة واسعة وأدخله جنته.

غـربة ودمعـة

أَيْنَ الهَـزَارُ وأينَ اللحنُ وَالـوَتَـرُ ... أَينَ الشَّذَا والنَّدَىٰ . . ! والأيكُ والشَجَرُ

كَانَت تَمـوجُ فَطوَّاهَـا الرَّدَىٰ فَنأتْ ... وَعَـادَ مِنهـا لنَـا الأصدَاءُ والصُّـوَرُ

أَبَـا يَمَـانِ . . . ! وكَم خَلَّفتَ رَابيَةً ... تَلفَّتَ الشَّـوقُ فِيهَا والهَوَىٰ خَضِـرُ

هُنَـا الـرِّيَـاضُ التي سَامَرتَهَا زَمَنًا ... حَنَّ النَّـدِيُّ بهَـا والشَـدوُ والسَّمَـرُ

وكَـم رَحَـلْتَ إلَـىٰ أَفْيَـاءِ حَانِيَـةٍ ... زَكَـا الجهَـادُ بهَـا والصَّبـرُ والـذِّكَـرُ

وكَمْ رَحلْتَ عَلَى شَوكٍ تُكَـابِـدُه ... فَرَقَّ مِنـكَ عَلَىٰ أشـوَاكِـهِ الـسَّفَـرُ

عَزمٌ عَلَى مَرَضٍ ، صَبرٌ عَلى مِحَنٍ ... بَلوَىٰ عَلَىٰ وَطَنٍ، يَمضِي بكَ القَـدَرُ

تَكَـادُ تَقتحِمُ الأحـدَاثَ في لُجَجٍ ... مَاصَـدَّهُ حَـذَرٌ أو رَاعَـهُ خَطَرُ

حَتَّـى بَلَغْـتَ مِنَ الأيَّـامِ غَايَتَهَـا ... كَمَـا تَبـلَّغَ مِن أيَّـامِـهِ الـحَـذِرُ

غَرَسْـتَ في كُلِّ نَادٍ غَرسَـةً نَبَتَتْ ... طيبًا فَفـوَّحَ مِنهـا العُـودُ والـزَّهَـرُ

سَكبتَ مِن عُودِكَ الفَـوَّاحِ دَفْقَ هَوَىً ... فَطابَ مِنـهْ ومِن طِيبِ الهَـوَىٰ العُمُرُ

وَقُمتَ تَجْمَعُ مِن رَوضِ الهُدَى أَدَبًا ... يُفـتِّـحُ الـوَردَ أو تَزهُـو بِهِ الغُـرَرُ

وإنَّ أَطـيَـبَ مَا يَلقَـاهُ مُرْتَـحِـلٌ ... أَهْـلٌ إذَا غَابَ عَن مَيـدَانِهِم ذَكَـرُوا

* * *

يَا يَوْمَ «لكْنُو» عَلىٰ سَاحَاتِهِ ائتَلَقتْ ... دُنْيَـا وَمَـاجَتْ عَلَىٰ مَيـدَانِهَـا البَشَرُ[1]

أَنْـوارُ فِتيَـانِهَـا نُورُ الشُّيـوخِ بِهِم ... وَبَينَ سَاحَـاتِهَـا الأزمَـانُ تُختَصَـرُ

---

(١) إشارة إلى لقاءاتنا في الندوة العالمية للأدب الإسلامي في لكهنو سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

عَلَى رِعَـايتِهِم يُجلىٰ البَيَـانُ هُدى ... ونَفْـحَــةً من يقِـيـنِ الـحَـقِّ تَنتَشِــرُ
تَأَلَّقَ الـحَـشْــدُ حَتَّى كُنت بَينَهُمُ ... صَفْــوَ الــوِدَادِ أخًـا مَا مَسَّــهُ كَدَرُ
جَاد البَيَانُ عَلَىٰ مَا صُغتَ مِن دُرَرٍ ... وَمِنْ سَجَــايَــاكَ شَعَّتْ بَيْنَهَـا الـدُّرَرُ

* * *

عَلَى ضِفَـافِـكَ يَا «بُسفُـورُ» رَابِيَـةٌ ... حَنَّت وأوفَت وأَوفَىٰ عِنْـدَهَـا القَـدَرُ[1]
كَمْ مَجلِسٍ ضَمَّنَا مِن قَبلِ فُرقَتِنَا ... دَنَــا علَيـنَــا لِيَـهْـنَــا بَينَنَــا القَمَــرُ
هُنَـاكَ بَينَ ظِلَالِ التُّـوتِ رفْـرَفَـةٌ ... مِنَ البَيَــانِ زَكَـا مِن طِيبِهَــا الثَّمَــرُ
رَفَّ الهُـدَىٰ وَجَـرَتْ آيَـاتُـهُ وَدَنَت ... أَطيَــافُــهُ وحَلَتْ في ذِكْــرِهِ السِّيَــرُ
نُطِلُّ مِنهَــا عَلَىٰ البُسفُـورِ نَنفَحُـهُ ... شَوقًـا فَيـنـفحنَــا مِن شَوْقِــهِ النَّهَــرُ
حَتَّى مَضَيتَ وَخَلَّفتَ الـدِّيَـارَ بِهَـا ... حَيـرىٰ مِنَ الـوَجْـدِ يَطوِيهَـا وَيَعتَصِرُ
هَلَّا رَجَعتَ لَهَـا؟ أم هَل دَعَاكَ هَوىً ... أَعْـلَـىٰ وَلَجَّتْ بِكَ الأَشْــوَاقُ وَالعِبَــرُ
أَبَا يَمَانٍ . . . ! كَأَنَّ الدَّارَ مَا بَرِحَتْ ... هُنَــاكَ مِنْ وَلَــهٍ تَهْــفُــو وَتَــنـتَــظِرُ
هَلَّا تَلَفَّـتَّ لِلشَّـهْـبَـاءِ تُودِعُـهَـا ... لَمْحًـا مِنَ الشَّـوقِ أم لَم يُمهِلِ القَدَرُ؟
أَمْ أَنْتَ كَفْكَفْتَ مِن عَينيكَ أَدمُعَهَا ... تَســتَــودِعُ اللهَ مَالَــمْ يَبـلُغِ الـنَّـظَرُ
خَلَّفْتَ في الشَّامِ أَهْلًا أَمْ تُرىَ أَمَلًا ... وَدَمْـعَــةً لَمْ تَزَلْ تَهـمِـي وَتَـسْـتَـعِــرُ
يَا رَبـوَةَ الشَّـامِ أَيْنَ الـوَرْدُ نَقـطُفُهُ ... أَمْ جَفَّ عِنْــدَكِ مِنْـهُ العُـودُ والـزَّهَـرُ

* * *

مَضَيْتَ في الدَّرْبِ! كَمْ ضَاقَتْ بِهِ سُبُلٌ ... فَوَسَّــعَ المَــوْتُ مَا قَدْ ضَيَّقَ البَشَــرُ
تَلْقَىٰ هُنَــاكَ مِنَ الــرَّحْمٰنِ جَنَّتَــهُ ... وتَلْتَقِي عِنْــدَهَــا الأَجْيَــالُ وَالعُصُـرُ

---

(١) إشارة إلى لقاءاتنا في استانبول سنة ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) حيث ضمتنا ظلال شجر التوت، وزقزقة الطيور، وعطر الزهور، والندى، والشجر الملتفّ هنا وهناك . . . !

تَمْتَـدُّ حَتَّى كَأَنَّ الكَوْنَ سَاحَتُهَا ... فَلَا تَضِيقُ عَلَى سُكَّانِهَا الحُجَرُ
مِنْ كُلِّ يَاقُوتَةٍ تَزْهُو بِسَاكِنِهَا ... وَكُلِّ حَانِيَةٍ يَزْهُو بِهَا البَصَرُ

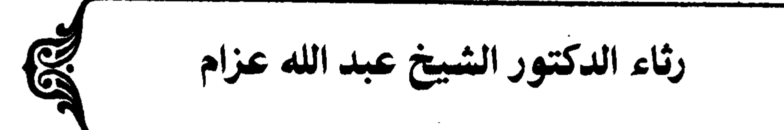
* * *

هِيَ الحَيَاةُ مَمَرٌّ لا انكِفَاءَ لَهُ ... وَرَحْمَةٌ مَاجَ فِيهَا الشَّوْقُ وَالضَّجَرُ
وَشَهْوَةٌ طَحَنَتْ أَنْيَابُهَا جُثَثًا ... أَوْ مَلْجَأٌ رَقَّ فِيهِ الآيُ وَالسُّوَرُ
كُلُّ ابنِ آدَمَ مَشْغُولٌ بِشَهْوَتِهِ ... فَمِنْ صَرِيعِ هَوًى أَوْ فِتْيَةٍ ظَفِرُوا
لَا يَطْمَئِنُّ بِهَا إِلَّا فَتًى صَدَقَتْ ... للهِ هِمَّتُهُ وَالسَّعْيُ وَالأَثَرُ
فَكَمْ سُؤَالٍ عَلَى الجَفْنَيْنِ مُخْتَبِئٍ ... وَكَمْ مِنَ الظَّنِّ يُطْوَى ثُمَّ يُبْتَدَرُ
يُفَتِّحُ المَوْتُ مِنْهَا كُلَّ مُنْغَلِقٍ ... نُوراً تَدَفَّقَ يُجْلِي عِنْدَهُ الخَبَرُ
زَخَارِفُ العُمْرِ أَشْبَاحٌ، إِذَا نَشِبَتْ ... مَنِيَّةٌ وَلَّتِ الأَشْبَاحُ وَالصُّوَرُ
هِيَ الحَيَاةُ ابتِلَاءٌ لَا نُجَاوِزُهُ ... حَتَّى تُمَحِّصَنَا الأَيَّامُ وَالغِيَرُ
وَتَخْلُصَ النَّفْسُ فِي مِيزَانِ بَارِئِهَا ... لِكُلِّ مَا كَانَتِ الأَعْمَالُ تُدَّخَرُ

* * *

١٦/١٢/١٤٠٦هـ

٢١/٨/ ١٩٨٦م



رثاء الدكتور الشيخ عبد الله عزام

الدكتور الشيخ عبد الله عزّام، رحمه الله رحمة واسعة، قضى وهو في ذروة جهاده وقطوف النصر دانية والآمال واسعة. قضى وهو ماض لأداء صلاة الجمعة فانفجرت على الدرب ألغام وضعها المجرمون، ففجّرت السيارةَ ومن فيها فقضى هو وولداه في جريمة بشعة مدبرة.

كان ذلك يوم الجمعة ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ الموافق ٢٤ تشرين الثاني، نوفمبر ١٩٨٩م.

سيرته أغنى من كلمات أو صفحات، وجهاده أوسع من أبيات من الشعر، ولكنها كلمات وفاء وذكرى.

رحمك الله يا أخي عبد الله رحمة واسعة

وأدخلك جنتـــه

رثـــاء

الشيخ الدكتور عبد الله عزام وولديه

جلال موتِـك أم صدق الجِهَـادِ أرَى — ودفقَـةُ الـدَّم أم عِطر الـورُود جرى

نورٌ على عَبَـقٍ، هَدْيٌ على خُلُقٍ — عَزْمٌ على سَبَـقٍ أوفـى ومـا خفَـرا

رَيـحَـانَـتـان عَلَى جنبيْـك أقبَلتَـا — فخُض إذَن بهمـا الأهـوالَ والخَـطرا

* * *

مِيلُوا إلـى الـدّار! أنبَـاءُ مُرَوِّعَـةٌ — وغَضبَـةٌ أطلقَتْ مِن وقْـدِهـا الشـرَرا

أطُوفُ في السَّاحِ لا ألقَى سِوى رجُلٍ — مُزمـجـرٍ وفَتَى ألـوى ومـا انتـظرا

ونِسـوةٍ والـدمـوعُ الغـالِيـاتُ بهـا — صَبَبْنَهَـا غُصَصًا تَروي لنـا الخَبـرَا

ودَفْقَـةٍ من كُبُـودِ النَّـاسِ جاريـةٍ — حَرَّى فتُـطلِق مِن أنَّاتِهَـا النُـذُرا

كَـأن كُـلَّ فُؤادٍ مِـنْ تَلوُّعِـهِ — هَوى إلى السَّاحِ بالأحـزْانِ فانفَـطرا

* * *

سَألتُ مِن حَولِي الفِتيَـانَ، قُلتُ لَهُم — أينَ الكميُّ؟! فَقَـالُـوا: عَزَّ وانتصـرَا

ونَــالَ مِن رَبـهِ الحُسنَى فَفَـازَ بهَـا — عَيشَـاً أغـرَّ وعُمـْـراً نَضَّـرَ العُمُـرا

وَعَــادَ قَاتِـلُهُ مِن هَولِ مَا صَنَـعَـتْ — يَداه مَيْـتًا ومِــمـا كَادَ أو مَكــرا

تَفَـجَّـر الـحِـقـدُ لا مِن قَلبِ قُنبُلَةٍ — مِنَ الحَـديـدِ ولكن قَلبُـهُ انفجَـرا

كَأنَّـمـا غَلَتِ الأحـقـادُ واشـتـعَلت — مَعَ الـهَـوىَ حُـمَـمًا ألقَتْ بِهِ سَقَـرا

يَمُـوتُ كُلُّ شَقِـيٍّ في مَكـائِـده — أمَّـا التَّقـيُّ فَيلقَـى كُلَّ مَا ادخَـرا

* * *

وَقَال كُلُّ فَتىً: وَاهًا لِنَازِلَةٍ ... حَلَّتْ، ويا لِعَدُوٍّ بالأذَى جَهَرا

فَرُبَّ فَاجِعَةٍ مِن مُجرمٍ وقَعَتْ ... وطَعنَةٍ مِن جَبَانٍ دُونَنَا غَدَرَا

لله نَرجِعُ أَوَّابِينَ إِنْ نَزَلَتْ ... بنَا النَوازلُ عَزمًا صَحَّ واعتَبَرا

قَدْ كان مدرسَةً يُلقِي بِسَاحَتِهَا ... أَغْنَى الدُّرُوس ويُلقِي عِندَهَا العِبَرا

أبٌ يُعَلِّمُنَا التوحِيدَ في لَهَبٍ ... مِنَ الملاحِم نَتلُو عِندَها السُّورَا

أخٌ لنا وأبٌ! يا طِيبَ مرحَمَةٍ ... مِنْهُ تُفَوِّحُ في مَيدانِنَا زَهَرا

وقَالَ كُلُّ كَميٍّ: إِنَّهُ رجُلُ ... ظَلَّت رُؤاهُ تُنَقِّي القَلبَ والفِطَرا

أخٌ يُجَمِّعُنا فِي كُلِّ مُعتَرَكٍ ... ويَبسُطُ الأرضَ مَيْدانًا لِمَن صَبَرا

مَع الأئِمَةِ أشيَاخ الجهَادِ هُنَا ... بَنَوا شَوامِخَ أو صَاغُوا لَنَا الدُرَرَا

كأنَّمَا طَلَعُوا مِن قَلب دَاجِيَةٍ ... مِثْلَ البُدور فَسَالَ النُورُ وانتَشَرَا

فِي أرضِ أفَغْانَ آيَاتٌ مبَيِّنَةٌ ... ومَلحَمَاتٌ تُعيدُ المَجدَ والأثرا

عَهدٌ مَعَ الله، عَبدَ الله! قُمتَ لَهُ ... عَزْمًا تَشُقُّ عَليهِ دَربَك الوَعِرا

تَركْتَ خَلْفَكَ أشتاتًا يُمَزِّقُهَا ... طُولُ الهَوَانِ ويَرمِيهَا الهَوى زُمَرَا

مَازَالَ يَطْحَنُهُمْ حُبُّ الحَيَاةِ عَلَى ... ذُلٍّ ويَطويهُمُ في جَوفِها خبَرَا

وجئتَ تَطْلُبُ أشواقَ الجهَادِ هُنَا ... دَمًا تَفجَّرَ في سَاحَاتِهَا فَجَرَى

أتيتَهَا ولَنَا في أرضِهَا نَسَبٌ ... مِنَ التُّقى وحِبَالٌ بينَنَا وعُرَا

وثَّقْتَ في لَهَب المَيدانِ آصِرَةً ... ولُحمَةً تجْمَعُ التَّاريخَ والعُصُرَا

وفِي رُبَاهَا لَنَا ذِكرَى مُعَطرَةٌ ... وأمَّةٌ دَفَعَتْ أفْلاذَهَا الغُرَرَا

صَحَابَةٌ لرسُولِ الله يَحْمِلُهُمْ ... شَوْقُ الجِهَادِ ودِينٌ علَّمَ البَشَرا

طُيُوفُهُم لَم تَزَلْ في كُلِ نَاحِيةٍ ... ذِكْرَى لِتَبْعَثَ في أجْيَالِهَا الظَّفَرا

* * *

أفي «قــطاع جِنِيــنٍ» ربْــوَة طَلَعَتْ تُخْفِي الحَنينَ وَتَطوي السُّهْدَ والسَّهَرا

تَلفَّتَتْ وإِبَـاءُ العُـزْم يُمْسِكُهـا عَن البُكَـاءِ ودَفْقُ الشَّـوقِ مَا صَبَـرا

مَعَ الشُّــرُوقِ لَهَــا مِمَّـا تُكَـابِــدُه ذِكْـرَى تُرَجِّعُ في سَاحَـاتِهـا الصُّورَا

كَأنَّــهــا الــيَــومَ مَا زالَــتْ تُوَدِّعُــهُ تقُـولُ: عُدْ فَغَـدًا تَلْقَى هُنا الـوَطَـرا

كَأنَّــهُ قَالَ: هَلْ أبْــقَــى عَلَى دَعَــةٍ حتَّى يُفيقَ الــذي أغْفَى وَمَــا شَعَــرا

لي رايَــةٌ من كِتَــابِ الله أرْفَــعُــهَــا إلى الجِهَــادِ وعَــزْمٌ يَصْدُق الخَبَـرا

لا أستَــظِلُّ بِرَايَــاتٍ وقَــد جَمَـعَتْ فَتــىً يُدَاهِــنُ دُنْيــا أو فَتىً كَفَــرا

وَلا أُسَــاوِمُ في حَقٍّ رَواهُ لَنَــا دَمُ الــجُــدودِ وَدِيـنٌ عَطَّرَ الــسِّيَـرَا

هُنــاكَ مَيــدَانُــنَــا مَوجُ الــدِّمَــاءِ بِه يَدعــو لَهُ صُدُقَـًا لله أو صُبُــرا

يَا ربْــوَةً لم تَزَل تحنــو فَيَــدفَعُهــا طولُ الحَنينِ فتشكُــو الهَمَّ والكَــدَرا

تقُــولُ كلَّ مَسَــاءٍ وَهــي صابِــرَةٌ ألَـمْ يَحِنْ أوبُ مَن أوفَى ومَن بَكَــرَا

تُطالِــعُ الأفقَ! تَهْــوَى طِيبَ عَودَتِــه وتَســأَلُ النَـاسَ مَنْ وَلَّى وَمَن حَضَـرا

وَتَســأَلُ الليـل: كم قَدْ كُنْتَ تَحمِلُهُ عَلى الــدُّروبِ يَجُـوزُ الكَيدَ والحُفَرَا

كم كَان يُضْنِيــهِ طولُ اللَيْـلِ يَقْطعُـه مَعَ الــقِيــامِ ويَتْـلو الآيَ والسُّــورَا

وَتَســأَلُ الفَجْـرَ: كم قَدْ كُنْتَ تَحْمِلُهُ إلى المَسَاجِد يَجْلُو عِنْدَهَـا الــذِّكَـرَا

كَمْ كُنْتَ تَحْمِــلُ مِنْ أشْــواقِـهِ أمَــلاً إلى الجِهَــاد غنيَّ الشَّــوقِ مُستَعِــرَا

حَتَّى القُبُــورُ التي في سَاحِهـا سَألَتْ أينَ الفَتَى؟ غَاب عَن سَاحَاتِهَا وسَرَى

وكُــلُّ ظِلٍّ مِنَ الــزَّيتُــونِ يَعْــرِفُــهُ لمَّـا نأى مَال يَطْوي الشَّـوقَ وانْحَسَرا

كَأنَّــمَــا لَهْــفَــةُ الأقْـصَـى لِطَلعَـتِــه دوَّت تُرَجِّــعُ مِنْهَــا الشَّوْقَ والنُّــذُرا

كُلٌّ يَقُـولُ: أيَطوي العُمرَ مُغتَـرِبًـا مُهَــاجِــرًا في سَبِيــلَ الله مُصــطَبِـرا

فَعَــادَ مِنْ قِمَمِ الأفْغَـانِ رجْـعُ صَدىً يُوحي ويَنْشُــرُ مِن أصْــدائِــهِ عِبَــرَا

هذي الــمَيــادين دارُ المؤمنين فَمَــا تَرَى غَرِيبًـا بِهَــا أو جَاحِــدًا أشِــرَا

هُنَا لَنَا وَطَنٌ حَنَّتْ لَهُ أَبَدًا أَكْبَادُنَا وجِهَادٌ لم يَزَلْ خَضِرا

مَا كَانَ فِينَا غَرِيبًا في الدِّيَار أبُو مُحَمَّدٍ وهَوانا جَلَّ وازدَهَرَا

لَنَا بِحِكْمَتِهِ جَمْعُ القُلوب إذا ذَرَّ الخِلافُ بقَرْنٍ بيننا وجَرَى

قَدْ كَانَ عَنْ خُلُقٍ يَطْوي نَوازِعَنا وَعَنْ هُدىً يَنْشُرُ الخَيْرَ الذي ظَهَرَا

نَطْوي على شَرَفِ الذِّكْرَى مَحاجِرَنَا عِزًّا ونَحْفَظُ في أكْبادِنا الذِّكَرَا

* * *

لله درّكَ، عَبدَ الله! من رَجُلٍ ضَرْبٍ مَضَى ألجَمَ الأهوَاءَ فانْتَصَرا

شمَّرْتَ عَنْ عَزْمَةٍ لله صَادِقَةٍ وخُضْتَ لُجَّةَ من لَمْ يَعرف الحَذَرَا

عَلَى ذُرا «هِندكوش» لَهفَةٌ خَفَقَتْ وفي السُّفُوح هوىً مازالَ مُنتَظِرا

تَطَلَّعَتْ كَي تَرَى الأبطالَ صَاعِدةً إلى ذُراهَا وتَلْقى شَوقَهَا النَّضِرَا

لكنَّهَا ذُهِلَت مَشدُوهَةً ورأَتْ وثبًا يُسَابِقُ مِنها الأنجُمَ الزُّهُرَا

وثبًا يَدُقُّ بكفّيه الجنَان هَوَى يُلِحُّ أو يَطْرُقُ الأحدَاثَ والغِيَرا

مَن ذاكَ قالَت؟ فَرَدَّتْ كُلُّ ناحيَةٍ هذا الذي صَدَقَ الرَّحْمَنَ مَا نَذَرا

مَضَى لِيَلْحَقَ إخْوانًا له سَبَقُوا طُوبَى لمن لحِقَ الأبرَارَ والأثَرا

* * *

تألَّقي يَا جِنَانَ الخُلْدِ كَمْ بَطَلٍ إليك في زَهْوَةِ الأشوَاقِ قَدْ نَفَرا

مُضَمَّخًا بزكيِّ الطِّيب يَنْشُرُهُ مُجَلَّلا بُهُدَى الإحسَان مؤتَزِرا

يَحُفُّهُ في جَلالٍ مِن شَهَادَتِه نُورٌ ويُلقِي عَليه سُنْدُسًا خَضِرا

خَفَّتْ إليه طُيوفٌ مِن مَنائِرها عِيْنٌ كَواعِبُ تَجلُو الحُسنَ والحَورَا

كَم كانَ قَبْلُ عَلَى الدُّنيا يجُولُ بها مُجَاهِدًا في سبيل الله مُنتَصِرا

مَا كَانَ يَخْطُو خُطًا إلَّا يَهُزُّ بهَا دارًا من الظّلم أو يَرْمِي بهَا جُدُرا

وَمَا خطا للهُدَى إلا أنَارَ به دربًا وشقَّ سَبيلًا أو جَلا ظَفَرا

كُلُّ الـرَّيَـاحين مِن أنْفَـاسه عَبقَتْ وكُـل مِسْـكٍ عَلَى جولاتـه انْتَشَرَا

يَكَـادُ يَسْكُبُ في كُلِّ الـدُّروب دَمًا يَروي به الأرضَ أو يَروي به العُصُرا

إنَّ الـشَّهيـدَ حَيَـاةُ النَـاس كُلِّهمُ فِيـه وكُـلُّ رواءِ الأرض مِنهُ جَرَى

يُعَلِّمُ النّـاس قَولَ الحقِّ أينَ مَضَـوا وَيَـجْتَلي في مَيـادين التُّقَى الخَبَـرا

لَولاه لم يَبْـقَ للإحـسَـان مَنـزلـةٌ في النّـاس أو صَادقٌ يقفُـو له أثَـرا

هِيَ الـشَّهـادَةُ أعـراسٌ يُزَفُّ لَهَـا رجَـالُهـا ومَعَـالي المجـدِ حيثُ تَرَى

تَزاحَمُـوا في دُرُوبِ الحقِّ واستَبَقُـوا إلـى مَنَـاهِلِهـا الأحْـدَاثَ والغِيَـرَا

تَنَـافَسُـوا في مَيادين الهُـدَى شَرَفًا وأقْـبَـلُوا وَثَـبَـاتٍ بَيـنَـهـا زُمَـرا

وَآيَـةُ الله فِيـهـم أنَّـهُـم سَبَـقُـوا راضين، كُلٌّ عَلى إحسـانِـه ظَفـرا

وخَلَّفُوا في وحُول الأرضِ مَن عَلِقَتْ قُلوبُـهـم بهَـوىً مِنْـهَـا ومَنْ قَصَـرا

تَنَـافَسُـوا شَهْـوَةَ الـدُّنْيَـا فَما رَبحـوا إلا الهَـلاكَ ولم يَلْقَـوا بهَـا وَطَـرا

لمـا انْتَهى أجَـلٌ قَالُـوا: إذنْ خَسِرَتْ تجَـارَةٌ، وَيْـلَهُـمْ، يَاذُلّ مَنْ خَسِـرا

* * *

لله دَرُّك عَبـد الله! جئـتَ علي: عزيـمـةٍ لسـبـاق جدَّ واستـعـرا

وَجِئْتَ في عَجَـلٍ بَينَ الـزِّحَـام إلى شَهَـادةِ الحَقِّ، هَاجَ الشَوْقُ وانفجَرا

أتَـيْـتَ والـدَّمُ دَفَّـاقٌ بلَهْـفَـتِـهِ إلـى الـسِّبَـاقِ فَطُوبى للَّذي صبَـرًا

عَلَى مُحَـيَّـاك مِنـهُ نُورُ مَلحَـمَـةٍ ومِـن عُروقِـك جُرْحٌ لم يَزَلْ غَبـرًا

كَأنَّ دَربَـكَ لم تَتْـرُك به أثَـراً إلَّا وأورقَ غَرْسًا فيـه أو ثَمَـرا

وأورقَ الـصَّخْـرُ مِنْ شَوْقٍ ألَـحَّ به ومِنْ دَمٍ سَال في أعْـرَاقِـهِ وجَـرَى

وأزْهَـرَ الأفْـقُ رَيْـحَـانًا يَطوفُ به ويَـمْـلأ الـكَـوْنَ فَوّاحًا بِهِ عَطرا

كَأنَّـمَـا وصَـلَ الـدُّنـيَـا بآخِـرَة وعَـادَ يَنْشُـر عَنْهَـا الآيَ والعِبَـرا

عَجِبْتُ مِنْ عَبَقٍ جَازَ المـدَى ومَضَى وعَـادَ أغْـنَـى إذا مَا هَبَّ وابْتَـدَرا

* * *

رَيْحَانَتَانِ عَلى جنْبَيْه أَقْبلَتَا ... وضَمَّتَاه! فَصَبُّوا الشَّوْقَ والعِبَرا[1]

حَنَّا إليهِ فَحَنَّا للأُبوَّة! كَمْ ... هَاجَ الحَنانُ لَهُ الأَكْبادَ والبَصَرا

مَا كَادَ يَلقَاهُمَا حتّى مَضَى بِهِمَا ... رَكْضًا إلى الله يَلْقَونَ الذي قَدَرا

بُشْرَى مِن الله! عُقْبَى المؤمنين رضًا ... ورحْمَةُ الله تُوْفي كُلَّ مَن صَبَرا

وفَوَّحَ الدَّمُ مِسْكًا لَيْسَ يَعْدِلُهُ ... مِسْكٌ ولا نَشَرَ المِسْكُ الذي نَشَرَا

* * *

بالأمس ودَّعْت حبًا كُنْتُما أبدًا ... عَلَى سِبَاقٍ تَحُثَّانِ الخُطَا قَدَرَا

مَضَى «تميمٌ» إلى الرَّحمن مُرْتَحِلاً ... وَزادُهُ مِن جِهَادٍ صَابِرٍ زَهَرا[2]

على الميَادين صَبَّ العَزْمَ مُحْتَسِبًا ... وراغِبًا في نَعِيم الله مُصطَبِرا

تَقْوى تشُقُّ لَهُ دَرْبَ الجِنَانِ وَهَلْ ... أَعَزَّ مِن ذاكَ زادًا للذي نَفَرا

حَثّ الخُطَا عَجِلاً لله يَغْلِبُه ... شَوقٌ لِكُلِّ الذي رجّاهُ وانتَظرا

طَابَ التَنَافُسُ في التَّقْوى فإن سَبَقَتْ ... أشْواقُهُ فَهُمَا عدلانِ مَا صَبَرا

والله يَجزِي جِهَادَ الصَّادِقين على ... مِيزَانِ عَدلٍ ويُوفي كُلَّ مَنْ شَكرا

أبا «أسامَةَ» يَا مَن مَاتَ مُرتَحِلاً ... تَطوي مِنَ الأرض بَحرًا هَاجَ أو نَهرا

وتَجْتَلي في فَضاء الله تقطَعُهُ ... تُغْني الجِهَادَ عَطاءً جَلَّ أو وَفَرا

كَم طُفْتَ تَقْرَعُ بَينَ النَّاس أفئِدةً ... تَبْني وتُوقِظُ مَنْ أغْفَى ومَنْ عَثَرا

حَتَّى عَلَوتَ عَلَى سَاحَ الوَغَى رَجُلاً ... أشَمَّ يَطلبُ عِندَ الله ما بَصرا

---

(١) إشارة إلى ولديه: محمد (٢٠ عاماً) وإبراهيم (١٩ عاما) رحمهما الله، كانا قد حضرا لزيارة والدهما من عمّان يوم الخميس قبل حادث الاغتيال بيوم. وقد وقع الحادث الأليم وهم في طريقهم إلى صلاة الجمعة في بيشاور ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ (٢٤/١١/١٩٨٩م)، حيث فُجّر عن بعد لغم حين مرّوا بسيارتهم بجانبه. رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة وتقبلهم شهداء في جنته.

(٢) الأستاذ تميم العدناني رحمه الله رحمة واسعة.

هِيَ الـجِـنَــانُ يَرَاهــا مؤمِنٌ ويَــرَى سَبِيـلَهــا ثمَّ يَمْـضـي يطلبُ الأثــرا

* * *

أرثـي إذَنْ بِهِـمــا أبْـطَالَ مَلْحَـمــةٍ جُلَّى قَضَـوا ودَمًا في سَاحِهـا انفجرا

مِنْ كُلِّ شَهْـمٍ عَظيـمٍ بَاتَ مُشْتَهِـرًا وكُــلُّ شَهْـمٍ عَظِيـمٍ ظَلَّ مُستَـتِــرَا

كَمْ مُؤمِـنٍ جَالَ في سَاحَــاتِهــا بَطلاً قضَـى هُنــالِـك لا نَروي لَهُ خَبَــرَا

أغْـنَــاهُــمُ الله عَنْ نثـرٍ وَقَــافِـيَــةٍ طُوبَـى لِمَنْ فَازَ بالحُسْنَى ومَنْ ظَفَــرا

* * *

أفْغَـانُ! لا زِلْتِ في الـظُّلمـاءِ زاهِـرةً بَدْرًا أطَــلَّ وكـفّــاً يَمْسَــحُ الكَــدَرَا

واهـًا لذِلَّــتِـنـــا والــغَــافِـلُون عَلَى هُوْنٍ يَظُنُّــون أنَّ الـفَجْــرَ مَا ظَهَــرَا

الـغَــافِـلُونَ عَلَى طيـبٍ وفـي فُرُشٍ الشــاربــون عَلَى أهــوائِهم سَكَــرا

الــغَــارِقُــونَ بِلَهْــوٍ جُنَّ مِنْ عَبَــثَ يَصُــبُّ مِلءَ عُرُوقٍ مِنْــهُــمُ خَدَرَا

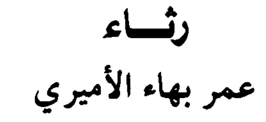
دَنــا العَــدُوُّ وأضْحَى في منـازِلِهِمْ، ومَـا صَحَـوا، وعلى أعـرْاضِهِمْ قَهَـرا

مَنْ لَمْ يُفِقْ وَلَهِيبُ الحَـرْبِ مُسْتَعِـرٌ تَوَلَّـتِ النَّــارُ مِنْــهُ الــذُّلَّ والخــوَرَا

* * *

الأربعاء ١ / ٥ / ١٤١٠هـ

٢٩/ ١١/ ١٩٨٩م



رثـــاء
عمر بهاء الأميري

لا أستطيع أن أوفي أخي حقّ أخي «شاعر الإنسانية المؤمنة» كما كان يحبّ أن يُدعَى، فحقّهُ كبير. ولكنها كلمات موجزة عن سيرته الغنية العطرة، بقدر ما يناسب هذا الديوان. رحمه الله رحمة واسعة وأدخله جنته.

توفي الأستاذ الأديب الشاعر عمر بهاء الأميري رحمه الله يوم السبت الموافق ٢٥/٤/١٩٩٢م عن عمر يناهز السابعة والسبعين، قضى عمره في جهاد الكلمة والبيان والعطاء الغنيِّ. وهو من عائلة كريمة معروفة في مدينة حلب في سوريا. درس في حلب حيث أتم الدراسة الثانوية، ودرس في جامعة السوربون في باريس الأدب وفقه اللغة، ودرس الحقوق في جامعة دمشق.

تولى مناصب دبلوماسية متعددة بمرتبة سفير ثم بمرتبة وزير. كما دعي للمغرب للتدريس فتولى تدريس مادة الإسلام والتيارات المعاصرة في دار الحديث الحسنية بالرباط، ودرّس الحضارة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة محمد الخامس. ولكن الدعوة الإسلامية كانت من أبرز ميادين نشاطه، وقضايا العالم الإسلامي محور فكره ونشاطه وشعره.

كان غنيّ العطاء. نشر أكثر من ثلاثين مؤلفًا في الفكر والشعر. فمن دواوينه «ألوان الطيف»، «مع الله»، «أشواق»، «ملحمة النصر»، «أب»، «أمّي»، «أذان القرآن»، «نجاوى محمدية»، «قلب ورب»، وكثير غير ذلك.

جمعتنا لقاءات في مؤتمرات وندوات، فكان فيها البسمة المشرقة والأخوة الحانية والنغمة الغنية. أرثيه بهذه الأبيات وفاءً لذكراه العطرة.

رحمك الله يا أخي عمر رحمة واسعة وأدخلك جنته.

رثـاء
عُمَر بَهاء الأميري

لَيالٍ نُدَارِيها وَسَعْيٌ ومَطْلَبُ … وعَهْدٌ مَعَ الرَّحمٰن يُوفِيهِ أَنْجَبُ

إذا ما كَفَفْتُ الدَّمْعَ قُلْتُ انْتَهى الأسَى … فَعَادَ مِنَ الأحْزَانِ مَا هُوَ أصْعَبُ

أَحِنُّ وَمَا أَصْفَى الحَنينَ لِصَاحِبٍ … أَبَرَّ مَضَى والعَهْدُ ذِكْرٌ مُطيَّبُ

أَحِنُّ إلى برِّ الرِّجَالِ لأنَّني … أرَى كُلَّ يَوم صَاحِبًا لي يُغَيَّبُ

تَلفَّتُّ للسَّاحَاتِ حَيْرانَ: ثُلَّةٌ … تَوارَتْ وأُخرى لم تَزَلْ تتأَهَّبُ

وشَدُّوا على ظَهْرِ المطَيّ رِحَالَهُمْ … وَمَالُوا إلى زادٍ وهَمّوا لِيَرْكَبوا

وَمَا اخْتَلَفَ الغادُون إلاّ بِزَادِهِمْ … فَبَرٌّ يُنَجَّي أو شَقِيٌّ يُعَذَّبُ

ومَا العُمْرُ إلاّ رحْلَةٌ تَنْتَهي بِهَا … ظُنُونٌ ويُجْلَى كُلُّ ما كان يُحْجَبُ

وَمَا العُمْرِ إلاَّ لمحَةٌ تَنْقَضي بِهَا … أَمَانٍ وأشْواقٌ تَضِجّ وتَصْخَبُ

فَتَهْدَأُ عِنْد المَوْتِ حَتَّى كَأَنَّها … خيَالٌ مَضَى أو لَهْفَةٌ تَتَرَقَّبُ

وما المَوْتُ إلاَّ يَقظَةٌ بَعْدَ غَفْوةٍ … فحقٌّ مُجَلًّى أو غُرُورٌ يكَذَّبُ

* * *

تَهيجُ بِيَ الذِّكْرَى فَيا لَجَلالِها … عِظاتٌ وأَشْوَاقٌ هُناكَ ومأْرَبُ

جَلالُ حَيَاةٍ قد قَضَيتَ حُقُوقَها … جهادًا وأوفَيْتَ الذي كان يُطْلَبُ

وهذا جَلالُ المَوْتِ حولَك آيَةٌ … فَنخْشَعُ للرَّحْمٰن مِنْها ونَرْهَبُ

* * *

أخِي عُمَرًا! يَا ويحَ نفْسي! أَراحِلٌ … وحَشْدُ القوافي مِن حَواليك نُحَّبُ

وَقَدْ كانت الأشعَارُ جَذْلى غَنِيَّةً … بِجُودِكَ والنَّشْرِ الذي هُوَ طيِّبُ

وقـد كنتَ غِنّيْتَ الأمَـاني وزهـوَةً ... مِن الشَّـوقِ والعـزِّ الّـذي نَتَـرقّبُ
وَغَـنْيتَ آمـالَ النّفـوسِ وصُغْتَهـا ... روائِـحَ تُزكـي مِن حَنيـنٍ وتُـلْهِـبُ
وَمَـا زَالـت الآذانُ تُصـغـي وتَـنْتشي ... وَمَـا زالت الأكْبـادُ تَهْفُـو وتَـطلبُ
فمـا بَالهـا التـاعت! فَيـا لِمُصَـابِهـا ... وَقَـدْ غَابَ عن أفقِ البَـلاغَـة كَوكَبُ
كَأَنّ صَدَى «نَجواكَ» في كلِّ مَنْـزِلٍ ... خُشُـوعٌ وفي السّـاحاتِ زَحْفٌ مُدَرَّبُ
رَحَلْتَ وفـي جَنْبَيـك أنّـاتُ أُمّـةٍ ... وفي الصَّـدْرِ صيحـاتٌ تَثُورُ وتَغْضَبُ
رَحَلْتَ وفي كُلّ الميـادِين صَرْخَـةٌ ... تُرَدِّدُ أيـنَ الـفَـارس الـمُـتَـوثّـبُ
أنـامَ بَنو الإسـلام؟! ياوَيْحَهُم! ألَمْ ... يَعُـدْ فيـهـمُ إلا غُفَـاةٌ وغُـيَّـبُ
أخي عُمَـرُ! غَنّيْتَ أمسِ لَنَـا المُنى ... فَمـاذا تُغَنّي اليـوم والهَـوْلُ أقْـربُ
وفـي كُلّ سَاحٍ جَوْلَـةٌ لَمْ يَزَلْ بِهَـا ... دَوِيٌّ عَلَى الآفـاقِ دامٍ مُخَـضَّـبُ
وفـي كُلّ دار حَسْـرَةٌ ومَـجَـازِرٌ ... توالَـتْ وزلـزَالٌ يَمُـورُ ويَـنْـكُـبُ
فهـذا هُوَ الأقـصـى أسِيـرٌ وأهْـلُهُ ... أسَـارَى وآمَـالٌ هُنَـاك تُغَـيَّـبُ
خِداعٌ يُبـادُ النّـاسُ في غمـراتـه ... وتُـطْوَى شِعَـاراتٌ به وتُـقَـلَّبُ
أيُتْـرَكُ أطفـالُ الحِجَـارة وَحْـدَهم ... يُصـفِّـقُ لاهٍ أو يُراوِغُ ثَعْـلَبُ
فَذلِـك أدْنـى أنْ تُدَارَ مَوائِـدُ ... يُفَـاوِضُ فيهـا الشـاةَ نابٌ وَمِخْلَبُ
فَيـركَـعُ مَهْـزومٌ على كُلّ صَفْـقَـةٍ ... تُبَـاعُ بهـا دارٌ وتـطوى وتُـنْـهَـبُ
وهـذي هي «الصّـومـالُ» أشباحُ أمّةٍ ... تَهَـاوتْ على جوعٍ يَعَضُّ ويُـذهِـبُ
وهـذي هي البـوسْنا وهِرْسِكُ مجازرٌ ... تَفَـجَّـرُ أو نارٌ تُجَـنُّ وتَـضْـرِبُ
وهـذي دِيـارُ الشّـام أيْنَ ورُودُهـا؟! ... دِماءٌ! وأين الأهـلُ؟! قيـدوا وغُيِّبـوا
يُبَـادُ بَنُـو الإسـلام في كُلِّ موطِنٍ ... وَيَـلْهـو شَقِـيٌّ عن أسَـاهُـمْ ويَلْعَبُ

* * *

أخِي عُمَـرُ! كَمْ مَنْـزِلٍ فيـه صُحْبَـةٌ ... تَطيـبُ بِهِ الـذِّكْـرى لَنَـا وَتُـحَـبَّـبُ

كَأَنَّ مع الـذِّكْـرَى نَدًى رَقَّ فانْتَشَتْ ... دِيــارٌ وهَـبَّ العِـطْرُ يَزْكُـو ويُعْجِبُ
إذا ما ذكــرنـا في الـرِّيـاضِ مَنَـازِلاً ... تَدَاعَـى عَلَى ذِكْــراك شَرْقٌ ومَغْــرِبُ

* * *

فيَــا يَوْمَ «لِكْنــو» والأزاهِيــرُ فوّحَتْ ... شذىً لمْ يَزَلْ يُغني الـزَّمانَ ويُوهب[1]
يمــوجُ بِهَــا الـخِـلّان حتـى كأنَّهُمْ ... كواكِـبُ في قَلب الـدَّيـاجيـر ثُقَّبُ
أَفَـضْتَ عَليهِمْ مِنْ سَجَـايَــاكَ رِقَّــةً ... ومِنْ شِعْـرِكَ الـدَّفَّـاق تُعْـطى وتُطرِبُ
ومِـن خُلق الإيمــانِ نجــوى غنِيَّــةً ... ومن لهْفَـة الأشـواق تَحنـو وتَحـدُبُ
هُنَــاكَ لنــا ذكــرى! فَيــا لجَـلالِها ... عَلى عَبَــقٍ مِنْـهــا نجــول ونَــدأبُ
حَنينٌ إلى عَهْــد «الجـزائِـر» لم تَزَلْ ... قسنْــطِينَــةٌ فيــه هوىً لا يُكــذَّبُ[2]
أُبــاةٌ نَرَاهُــم أنــزَلــونــا قلوبَــهُــم ... وصِــيــدٌ أشــدّاءٌ وودٌّ مُحَــبَّــبُ
أعــزّاءُ آمــال! فكَـنــتَ لَهُـم أخـًا ... فَنعم الأخُ الـوافي الكـريمُ المهـذَّبُ
نَثَــرْتَ الـقصيــدَ الحُلوَ وَردًا مفتّقـًا ... فَفــوَّح نادٍ مِن قَصيــدِكَ أرْحَــبُ
بَسَــطتَ كَريمَ النُّصْــح دينـًا وعبْـرة ... تُجَـمِّــعُ مِن أهــل الـتُـقَى وتُقَــرِّبُ
وخُـضـتَ أَمَــانـيّ النّفــوس كَأنَّمــا ... عَرَفْتَ الــذي يَهْــوى الأبِيُّ ويَـرْغَبُ

* * *

أخــي عُمَــرًا! هَلاَّ تلفَّــتَّ للرُّبَــا ... ولـلعَبَـق الـفــوّاح يَزكــو ويَعْــذُبُ
فَمـا زال في السّـاحَاتِ أنّاتُ أَضْلعٍ ... ومــا زال دَمْـعٌ في المـرابـع يُسْكَبُ

---

(١) ذكرى الندوة العالمية للأدب الإسلامي في لكهنو ـ الهند ١١ـ١٣/٤/١٤٠١هـ (١٧ ـ ١٩/٤/١٩٨١م). والمؤتمر الأول لرابطة الأدب الإسلامي (٢٥ ـ ٢٧)/٤/١٤٠٦هـ (٧ ـ ٩/١/١٩٨٦م).

(٢) إشارة إلى الملتقى الدولي الأول للفن الإسلامي في جامعة الأمير عبدالقادر في قسنطينة في الجزائر (٢٧ ـ ٣٠)/١١/١٩٩٠م.

ومـــازالت الشَّهْبَـــاءُ تَهْفــو لِشــاعِرٍ   أبــيٍّ ومــا زَالــتْ تحِــنُّ وتَــرْقُــب
تَلَفَّتْ إذنْ قَبْــل الــرَّحيــل مودِّعــا   فللدّار حَقٌّ مِنْ وفــائِـك مُوجِــبُ
وفـيـهــا مِن الأمْجَــادِ تاريــخُ أُمَّــةٍ   ومِنْ عُرْوَةِ الإيمــان عَهْــدٌ ومَـذْهَبُ
وفـيـهــا ريــاضٌ لو عرفْتَ حَنِينَهــا   لضَــاقَ بكَ الصبرُ الـذي هو أرحَبُ
أبى لكَ حَشــدُ المجــرمين لقــاءَهــا   وقــد مَكَــروا مَكــرًا هُنَــاكَ وأوعَبُـوا
وسَــدُّوا دُروبًــا كَمْ أرَدْتَ اقتحـامَهــا   لَقَــد شقَّ واسـتعصى لذلــك مَرْكَبُ
تَلَفَّتْ فَهــاتِيــكَ الأزَاهِيــرُ كُلُّهــا   تُطِلُّ وتُــوفــي مِن وداعٍ وتُــعْــرِبُ
سَلامٌ على دَارٍ عَرَفــتَ وفــاءَهــا   وكَـنتَ لَهَــا نِعمَ الــوَفِيُّ المجــرَّبُ

* * *

رَأَيْتُــكَ في إشْرَاقة الموتِ باسِمًا   وعـيـنــاكَ أسْــرارٌ وثَغـرُكَ يُعــربُ
كأنَّــكَ تَلقَى البُشــرَيَــاتِ بمَـا تَرَى   فَيُــشــرقُ وجْــهُ بالــهَـنَــاءة طَيِّــبُ
مُسَجَّـيً حوالَيْــكَ الأحِبَّــةُ خُشَّــعٌ   كأنَّــكَ تَتْــلو من عظاتٍ وتَـخــطُبُ
دَعَـوتُكَ حتى غابَ صَوتي مِنَ الأسَى   ومَـا عَادَ لي مِنْـكَ الجَـوَابُ المحبَّبُ
شُغِـلْتَ بمِــا يَلقَـى الـتقيُّ إذا قَضَى   وزَادُكَ إيــمـــانٌ وشَــوْقٌ يُقَــرِّبُ

* * *

ألا فانْشُــروا أحْـلى الــوُرُودِ وبَلِّلوا   ثَراهُ بأَنــداءِ الــوَفَــاءِ وطَـيِّــبُــوا
فقد كان يَهْوَى الحسْنَ والورْدَ والشذا   فيــجْــلوه طُهْــرٌ مِن هَواهُ ويـجـلبُ
له نَسَبٌ بالـحُسن والمَجْـدِ: جَدُّه   أمـيــرٌ ولـكــنَّ الــبَــهَــاءَ لَهُ أَبُ
سَلامٌ على بَرٍّ قَضَــى! فارْو قبــره   بعــفــوك ياربّــي وعَــفْــوُك أَقــرَبُ

* * *

٢٠/٢/١٤١٣هـ
١٨/٨/١٩٩٢م

أخي نديم [1]

قَضَيْتَ! ولَمْ أَدْرِ أَنَّى قضَيْتَ — وغِبْتَ! وأَعْلَمُ طُولَ الغِيابْ
قَضَيْتَ هُناكَ! بَعيدَ المزارِ — عَلَى حُرْقَةٍ مِن جَوىً واغترابْ
لقدْ فَرَّقَتْنَا الحُدودُ ولكنْ — وصَلْنَا الحَنِينَ وشَوْقَ الإيابْ
وبَيْني وبَيْنَكَ كَانَ الحَدِيثُ — غَنيَّ الحِوارِ جَميلَ الخِطابْ
وخُضْنَا مَيادِينَ شَتَّى لِنُدْرِ — كَ مَعنَى الحياةِ! وَيَوْمَ الحِسَابْ
لَقَدْ قَطَعَ المَوْتُ فَيضَ الحَديثِ — هُنَاكَ، وحُلْوَ الأمانيْ العِذابْ
وغَابَ عَلَى شَفَتَيَّ الكَلامُ — وكَانَ غَنِيَّ الرُّؤى واللُّبَاب
خَشَعْتُ إلى اللهِ! يَقْضِي بحقٍّ — فَيَا عِزَّ مَنْ تَابَ أو مَنْ أنابْ

* * *

أَتَذْكُرُ مِن صَفَدٍ قَلْعَةً — وكَنْعَانَ والمجتَنَى والهِضَابْ
كَأَنَّ البَساتِينَ ميدانُنَا — نَجُولُ ونَقْطُفُ ما يُسْتَطَابْ
فيَالَيْتَ «عُنَّابَها» راجِعٌ — وَيَالَيْتَ «رُمّانَها» كَانَ آبْ
نَمرُّ فَنُلْقِي عَلَيْها النَّدَى — أَحاديثَنَا والخُطى والوِثابْ
نَمُرُّ فنُلقِي هَوانا وَنَمْضِي — كَأَنَّا نمرُّ مُرورَ السَّحابْ

* * *

(١) أخي نديم علي رضا النحوي توفي في دمشق.

أَتذكُرُ عَكَّا وشُطْآنَها   ولهفَةَ أمواجِهَا والعُبَابْ
إذا مَا وَثبْنَا إليْه أَحَاطَ   بنَا شَوقُهُ والحَنينُ المُذابْ
يَضُمُّ عَلَى صَدْرِه في حَنَانٍ   غُرامَ صِبَانَا وعَزْمَ الشَّبَابْ
فَيَالَيْتَ ذاكَ الحنانَ يَعُودُ   وَتِلْكَ الظّلالَ وتِلْكَ الشّعابْ

* * *

أُخَيَّ نَديم! فَدُنيا الطفولـ   ـة هَلاَّ ذَكَرتَ وحُلْوَ اللِّعَاب
كَأَنَّ طفولَتَنَا جَنَّةٌ   جَنَاهَا الصَّفاء وَحُلْوُ الرِّطَابْ
حَملْنَا مَعَ العُمْر مِنْها الجَني   غنيًّا فَلَذَّ جَنَاهَا وطابْ
وظَلَّتْ لَنَا شِيَمُ المكْرُمَات   غِراسَ الوفَاء وزَهْوَ الطِّلابْ
وكَان لنَا زَادُنا مِنْ يقينٍ   حَديثُ الرَّسولِ وآيُ الكتابْ
نَروحُ ونغْدو إلى مَسْجدٍ   غنيِّ الظلال وعذْبِ الرُّضابْ
غذتْنَا الطفولَةُ من ريِّها   وبَرْدِ الظلالِ وبَرْدِ الشرابْ
فيالَيتَ تلكَ الظلالَ تعودُ   وتلكَ المآذنَ، تلكَ القِبابْ

* * *

ذَهبْتَ إلى القُدْس، يَالَلمُنَى!   لِتُدْرِكَ مَا قد ظنَنّا اللُّبَابْ
هُناكَ «الرَّشِيديَّةُ» المنْتَدَى   تَموجُ بطلاَّبِها والصِّحابْ(١)
وكُنْتُ هُنَاكَ على رَبْوة «المُـ   ـكَبِّر» أَطْلُبُ نَفْحَ المَلاَبْ (٢)
هُنَاكَ إلينا يَصُوغُ العَدُوُّ   إذا شاء شَهْدًا وإن شاء صَابْ

---

(١) الكلية الرشيدية التي كان يدرس فيها وأنهى فيها الدراسة الثانوية «المترك».
(٢) إشارة إلى الكلية العربية بالقدس القائمة على جبل المكبّر حيث كنت أدرس وتمتد الدراسة فيها سنتين بعد الدراسة الثانوية.

ويَمكُرُ مَكرًا على هَوْلِهِ ... يَطيشُ أخُو الحِلْم أو يُسْتَرابْ

وعُدْتَ مِنَ القُدْس في نَشوةٍ ... يَهيجُ بأهْلِك طولُ الغِيابْ

وجئتَ لِعَكّا وقَدْ مَدَّ فيها الـ ... ـعَدوُّ المخالِبَ أوْ مَدَّ نابْ

أحاطَ الفُتُونُ بزَهْو الشَّباب ... وغَرَّ الشَّبابَ هَوىً أو كِذَابْ

ومَدَّ من الشِّركِ ألْوانَه ... صريحَ العِداءِ وقَهْرَ انْتِدابْ

وعُدْتَ تَشُقُّ الدّروبَ ولكنْ ... أحاط بنا المْجرمون الذّئابْ

فَكمْ أوقَعُوا بالشِّراك الضّحايا ... وشَدُّوا الوثَاقَ وذلّتْ رِقابْ

وغَرَّتْ زَخارِفُهُمْ أنْفُسًا ... فَهبَّتْ لِتَلْهَثَ خَلْفَ السَّراب

* * *

فمازلتَ حتى رَحَلْتَ لِمصْرَ ... لِتَنْهَلَ عِلْمًا وتَطرُقَ بابْ

وخُضتَ هُنالِكَ شَتّى الميادِيـ ... ـن بينَ اجْتهادٍ وبَيْنَ صَواب

وذُقْتَ هُنالِك مُرَّ اللّجوء ... يَعضُّ بضِرْسٍ عَلَينْا ونَابْ

وعُدتَ طبيبًا غَنيَّ العَطاءِ ... كَريمَ السَّجَايا نَديَّ الشّبابْ

وعُدتَ تشُقّ الدّروبَ ولكنْ ... أحَاطَ بِكَ المجْرِمُون الذّئابْ

وسَدُّوا المَنَافِذَ حتى طغَى ... سوادُ الليالي ومَدُّوا الحِجَابْ

ولكن مَضَيْتَ فَتُعطِي من القَلْـ ... ـب هذا المريضَ وذاك المُصَابْ

وتُغْني الفَقِيرَ وتؤوي الشّريدَ ... وتُسْعِفُ مَنْ أجْهَدَتْه الصِّعَابْ

وأصبَحَ ذكْرُك فَيضَ المَجالِـ ... ـس عِطرَ النَّوادي وزَهوَ الصّحابْ

فَإنْ كَانَ لله فُزتَ بِبُشْرَى الـ ... ـحياة وَفُزْتَ بِحُسْنِ الثّوابْ

* * *

ألَمَّ بكَ المَرضُ المُسْتَبدُّ ... على كَبِدٍ مُرْهَقٍ أو مُصَابْ

تُصارِعُ! مَهلًا! فأينَ الدَّواءُ ... وأيْنَ الطّبيبُ الذي لا يُراب

وأَيْــنَ زَخــارِفُ هذي الــحَــيَــاةِ وأَيْــنَ الأمــانــي وحُــلْوُ الــرِّغــابْ
هو الله يقــضــي الــقَــضَــاء ويُــمْــضي فَيَــا عِزَّ مَنْ تابَ أو مَنْ أَنــاب
وقُــلْتَ بأَنَّــك تُؤمِــن بالــلـــــ ـــه حَسْبِيْ فذلــك فَصْــلُ الخــطابْ

* * *

٢٦/ ١١/ ١٤١٣هـ

١٧/ ٥/ ١٩٩٣م

إلى أخي الأديب الشاعر الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي.

توفِّيت والدته رحمها الله رحمة واسعة، فبعثت له برسالة تعزية مع هذه الأبيات في رثائها.

وكنت لها الأبر فقرَّ عينا

أخي عَبْدَالعَزيز فَقَدْتَ أُمّاً ... تَحوطُك بالضُّلوع وبالعُيُونِ

غَذَتْكَ مِنَ التُّقى أزْكَى لِبَانٍ ... وعِزَّةَ أُمَّةٍ ورواءَ دِينِ

وقَادَتْ مِنْ خُطَاكَ مَعَ اللَّيالي ... بعزْمٍ صَادِقٍ وهُدًى مُبينِ

فَما أَغْنى الأُمومَةَ في رضَاها ... وفي بَذْلٍ عَلى حَزْمٍ ولِينِ!

هي الأمَلُ المنَوِّر في الدَّيَاجي ... وظلٌّ وارفٌ وندَى حَنينِ

وحُبٌّ يَمْلأُ الدّنيا جمَالاً ... كأَنَّ فؤادَها صَفْوُ المعين

فَتمْسَح مِنْ مدامِعِنَا يَدَاهَا ... وتَطوي بالحَنانِ من الأَنين

كَأنَّ بهَا يَدَ الإحْسَانِ فَيضٌ ... عَلَى الدنيا يَجُودُ بكلِّ حَينِ

ولولا فَقْدُ أَحْمَدَ، لهفَ نَفْسي ... نَبيِّ الحقِّ والهادي الأَمِينِ

لما فَقَد ابنُ آدَمَ مِنْ حَبيب ... أَعزَّ عَليه من أُمٍّ حَنُونِ

وكُنْتَ لَهَا الأَبَرَّ فَقَرَّ عَيناً ... وطِبْ نَفْساً وكُنْ حَسَنَ الظنون

وأَحْسِنْ بالدُّعاء، أَلحَّ فِيهِ ... فَتُمْسِكُ فيه بالحَبْل المتينِ

لَعلَّ الله يُدْخِلُها جِنانا ... وفِرْدَوساً برحْمتِهِ وَدِينِ

إذا حُمَّ القَضَاءُ فلا عَزاءٌ ... أَبَرَّ ولا أَجَلَّ مِنَ اليقينِ

وذكرٍ خاشعٍ لله يَمْضي ... على رَهب التَوَسُّل والحنينِ

* * *

٢٢/ ١٠/ ١٤١٢هـ

٢٥/ ٤/ ١٩٩٢م

رثـــاء
عبد العزيز الرفاعي

ولـد الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في مدينة مكة المكرمة ونشأ فيها وتعلم في مدارسها وحضر دروس بعض علمائها في المسجد الحرام وتخرج من المعهد العلمي السعودي سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤١م.

شغل مناصب عدة: فقد كان مدير الإدارة السياسية بديوان رئاسة مجلس الوزراء، ومستشاراً في الديوان الملكي، وعضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي وعضواً في مجمـع اللغـة العربية في القاهرة، وفي عدد من المجالس والجمعيات الأدبية والخيرية والرسمية، وعضواً في مجلس الشورى.

أنشأ دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع سنة ١٤٠٠هـ، وأصدر من خلالها سلسلة المكتبة الصغيرة وسلاسل أخرى ثقافية وإسلامية.

اشترك في عدد غير قليل من المؤتمرات الفكرية والأدبية محليا وخارجياً، وكان موضع حفاوة النوادي الأدبية، وكان له حضور واسع في الميدان الأدبي والثقافي.

له مؤلفـات عديدة من بينهـا: أعـلام العلماء الأعـلام ببنـاء المسجد الحرام (تحقيق مشترك)، أم عمارة الصحابية الباسلة، الرسول (ﷺ) كأنك تراه، رحلتي مع التأليف.

كان شاعـرًا مجيدًا. وكان له ندوة فكرية أدبية تُعقَد كل يوم خميس. وكان يحضر هذه الندوة إخوانه وأصدقاؤه ونخبة من رجال الأدب والفكر والصحافة والسياسة، وعدد غير قليل من ضيوف المملكة. وامتدت هذه الندوة أكثر من ثلاثين عامـًا، ومازال أحباؤه يحيونها كل يوم خميس توفي رحمه الله يوم الخميس في ١٤١٤/٣/٢٣هـ الموافق ١٩٩٣/٩/٩م.

رثــــاء
عبد العزيز الرفاعي

حَسْبُنـا اليـومَ أن رَأَيْنـا المنَـايا جَامـحـاتٍ يجـزن كل خَيـالِ
يَتَخَـطَّفنَ زَهْـوةَ الشوق، أفـراح قُلُوبٍ، رَوائِـعَ الآمَـالِ
يتـخَـيَّـرْنَ وردَة بَعـدَ أُخـرى لِجِـنـان غَنـيَّـةٍ بالـجَـمَـالِ
لجِنـانِ الـخُلودِ في عَالَمَ الحَـــقِّ، لدارٍ مِنَ الـرِّضـا والجَلالِ
يَا لَعَبْـدِ العَـزيـز أزكى من الـوَرْدِ وأغْـنَـى من جَوهَـر ولآلـي
غِبْتَ عَنّـا! ولم تَزَلْ خفقةُ الشَّـوْقِ إلـى طَلْعَـةِ الـفَـتِيِّ الـغَـالي
كُلُّ قَلْبٍ مازال يَهْـفُـو لِلُقْـيَـا بَسْمةِ الصِّـدْقِ أو كريمِ الخِـلالِ
وعُـيـونُ الأصْحَـاب تَرْنُـو لِلُقْيـاكَ وتَـسْـعَـى «لِـنَـدْوَةٍ» ومِثَـالِ[1]
فُجِـعَـتْ كُلُّهـا بِفَـقْـدَك لمَّـا حَمَـلَ الأُفْـقُ مِنْ نذيـرِ الّـليَـالي

* * *

مَاتَ عَبْـدُ العَـزيـز! وَيْحي! أَحقًّا والـمُنَى لَهْفَـةُ الـرَّجَـا والنَّـوالِ
يا أَبـا عَمّـارٍ تُنَـادِيـكَ آفـاقُ وتَـدعـوكَ خافقـات المَعَـالي
لَهْـفَـةُ السَّـاحِ والجِهَـاد تُنـادِي فارِسَـاً صادِقَ الـعَـزيـمَـة عَالـي
يَنْقضي العُمْـرُ والأَمَـاني كِبارٌ لكـبـار الـنُّـفـوس والآمَـالِ

---

(١) كان رحمه الله يقيم في منزله في حي الروضة في الرياض ندوة جامعة كل يوم خميس. وكانت تضم الندوة نخبة من رجال الأدب والفكر، ورجال الأعمال والسياسة والصحافة والإعلام.

وتـظلُّ الآمَـالُ في النّـاسِ تَحْيـا وتمـوتُ الـرِّجَال بَعْدَ الـرجَالِ
قَدَرٌ غالِـب،، وحِـكْـمَـةُ خَلّا قٍ، وهـذي رؤىً ودُنْـيـا زَوالِ

* * *

غِبْـتَ عنّـا! ولـم تزَلْ نَدْوَة الـعـ ـلْمِ تَمُـدُّ الإِخْـوانَ مِنْ كُلِّ غالِ
«نَـدْوَة» مِنْ رحَـاب جُودِك فَيضٌ من غَنـيِّ الـعـطاءِ والأمْـثَـالِ
وصِحَابٌ توافَدُوا! تسكُبُ الأحـ ـنَـاءُ دفْـقـاً مِنَ الهُـدَى والنَّـالِ
أدَبٌ يَنشُـر الـذكيَّ مِنَ العِـطْـ ـرِ وفِكْـرٌ يَمُـوجُ مَوْجَ الجَمـالِ
هذه «نَـدْوَة الـرِّفـاعِـيّ» جُودي بقَـصـيـدٍ زكَـا ونَـشْـر حالـي
نَدوةٌ تَجْـعَـل الـخـميسَ خميسًا زَاخِـراً بالـفَـوارسِ الأبْـطالِ
وَصَـلَتْ مِسْكَـهَـا الغنيَّ بِمْسـكِ من يَدَيـه لدى وداع الـرِّجَـالِ[1]
ويَـظَلُّ الشـذا نَدِيًّا مَعَ الـدَهْـ ـرِ وذكـرى غَنِـيَّـة بالـظلالِ

* * *

عَالِـمٌ رقَّ في تَوَاضُـعِـه الـخُـلْـ ـوِ، وَفـي صَمْـتِـهِ غَنِـيُّ الـمَقَـالِ
وإبـاءٌ كَأنَّـهُ قِمَّـةٌ تَعْـ ـلو عَلى أجْـبُـلٍ وفَـوقَ قِلالِ
ووقـارٌ كَأنَّـه الـجَـبَـل الـرّا سي، وشَـوْقٌ يَهيـجُ صِدْق الوِصَالِ
يتلقَّـى الأصْـحَـابَ بالأدب الجَـ ـمِّ، بِشَـوقٍ، بِلَهْـفَـةِ الإقْـبَـالِ
خُلُقٌ لم يَزَلْ يَفُـوحُ كَأنَّ الـ ـمِسْـكَ مِنْـهُ، مُضَمَّـخٌ بالغـوالي
شَاعِـرٌ طوَّع الـقَـوافـي فلانَـتْ ثمَّ صَاغَـت رؤاه فَيْضَ الـجَـمَـالِ

* * *

(١) كان من عادته رحمه الله أن يودع إخوانه عند انتهاء الندوة حتى الباب، ثمّ يمسح من قارورة العطر الغني على كفٍّ كل واحد منهم.

يَا لَعَبْـد العَـزِيـز! غِبْتَ فَهَاجَتْ ... ذِكْـرَيـاتٌ رَجَعْـنَ مِلءَ خَيـالـي

يوم «لِكَنْـو»! وكُنْتَ فِيـه غَنيًّا ... ببـيـانٍ وجَـوهَـراً من خِصـالِ

ونــوادٍ كَأنّـهـا تَفْـتَـحُ الـصَّـدْ ... رَ فَتَـلقَـاكَ في وَفـاءِ الـرِّجـالِ

كُلُّ نادٍ يَمُـوجُ في ذِكـريـاتٍ ... من بَيَـانٍ قَدْ صُغْـتَـهُ أو فَعـالِ

كُل نادٍ مازال يُحـيـي بذكـرا ... كَ نديَّ الأشْـواق والآمـالِ

* * *

وَيـح نَفْسي! رَحَلْتَ! يَالِـرحَيـلٍ ... ودِيـارُ الإسْـلام نَهْبُ الثَعَـالي

الـذِّئـاب الـتـي تَزَاحَـمُ فِيـهـا ... والأفـاعـي وعَـضَّـةُ الأغـلالِ

والـرِّقـابُ الـتـي تُطأطِـيء لِلذُّ ... لِّ وتَهْـوي في الـطين والأوْحَـالِ

والنُّفـوسُ التي تَمُـوتُ مِنَ الـرُّعْـ ... ـبِ، مِنَ المَوْتِ، مِنْ دَواهي اللَّيالي

لم يَعُـدْ في فؤادِهـا خَشْيَـةَ اللـ ... ـه فَمـاتَتْ على هَوَانِ الأمَـالي

فَتَـحَـتْ قَلْبَـهـا لِكُـلِّ هَوانٍ ... وهَـوىً تائِـهٍ وشَـرٍّ خَبَـالِ

فإذا بالـدِّيـارِ تُفْـتَـحُ للأعْـدا ... ء من كُلِّ مُجْـرِم مُحْـتـالِ

مَنـزِلٌ بَعْـد مَنـزِلٍ يَتَـهـاوَى ... ثُمَّ تطويـه رعْـشَـةُ الإذلالِ

قَتَـلَ الـخَـوفُ أنْفُسنـا وتَـوَلَّتْ ... شَهَـواتُ الـنُّفـوسِ سُوْءَ المَـآلِ

هَلَعٌ يَنـزِعُ الـقُـلوبَ ويَـرْمـي ... ببَقَـايـا مَنْخُـوزة مِنْ رِجـالِ

* * *

لهـفَ نفسي! رَحَلْتَ! يالِـرَحيـلٍ ... لم تَزَلْ خَلْفَـه أمـانٍ غَوالـي

لَكَ بُشْـرَى أمـامَـكَ اليَومَ فاهْنَـأ ... في جِنَـانٍ رفْـرافَـةٍ ونَـوالِ

فَعَـسى أن يكـون قَبْـرُكَ روضًـا ... زَاهِـراً طَيّـبًـا نَدِيّ الـظلالِ

وعَسىَ أن تَنَالَ عَفْواً مِنَ اللـ ـه ورِضْوانه وحُسْنَ مآلِ
وسَلامٌ عليك مِنْ أكْبُدٍ تَدْ عو لَكَ الله في وفَا وابْتِهالِ

* * *

الرياض

الاثنين ٢٥ ربيع الآخر ١٤١٤هـ

١١ تشرين الأول ١٩٩٣م



مع الأصدقاء
أفــراح وأعــراس

دعاني الأخ الدكتور محمد بن لطفي الصبّاغ لحضور زفاف ولده. فحال مرضي دون ذلك. فبعثت إليه بهذه الأبيات:

حَنانيْك في يومٍ أطلَّتْ بَشائِرُهْ ... وَفَوَّحَ مِنْ طِيبِ النَّدِيِّ أزاهِرُهْ
يَزُفُّ إليه بالهناءَةَ والمُنَى ... بشائرَ أو شوقاً ألحَّتْ بَوادِرُهْ
فَتىً والشبَابُ الحَرُّ مِلْ إهابه ... هدىً ومَضاءُ العَزْمِ والصِّدْقُ زَاهِرُهْ
عَلَى عُرُسٍ زانَتْهُ منه شَمَائِلُ ... زَكَتْ وَنَمتْ أَعْرَاقُهُ وأواصِرُهْ
وَغَنَّتْ به الدّنيَا ورَجَّعَ لحْنَها ... ديارٌ وهاجَتْ بالشباب مَزامِرُه
وزَانَتْه مِنها آيةُ الحُسنِ والتَقَتْ ... مَناقِبُ واشتاقَتْ إليها خواطِرُهْ
إذا التفَتَتْ هَبَّتْ مِن البِشْرِ طلعةٌ ... وإنْ خَطَرتْ شعَّتْ عَليها جَواهِرُهْ
يلُمُّ مِنَ الأَوْراد أَحلى عطورها ... فتسكبه أعـواده ومَجامِـرُهْ
وَرَفَّتْ عَلَى الأيّام أَنْداءُ فَرْحَة ... وَأَشْرَقَ صَبْحُ واستفاقَتْ بشائِرُهْ
يَضُمُّهُمَا الإيمانُ والهَدْيُ والتُقى ... على سَكَنٍ حَانٍ تَمُوجُ نَواضِرُهْ
ويجلوهما الإيمان طيباً وجَوْهرا ... كريما فتزكو من شذاه مَزاهِرُهْ
وتمضي على صَفْو الحَياةِ خطاهُمَا ... رِضا يدفع العزم الكريم مَآثِرُهْ
ومن يسْتَقِمْ لله يرْشُدْ سبيله ... وينْجُ وتَصْدُقْ في الحَيَاة مَصادِرُهْ
فيارَبِّ بارِكْ فِيهِمَا وعَلَيْهِمَا ... وَهَبْ لهُمَا رِزْقاً تجودُ مواطِرُهْ
وَهَبْ لَهُمَا عَفْواً كريماً ورَحْمَةً ... يطيب بها مغنىً وتزكو أزاهِرُهْ

* * *

١٤/ ٤/ ١٤٠٦هـ

٢٦/١٢/١٩٨٥م

كذلك دعاني الأخ الدكتور محمد أديب الصالح لحضور حفل زفاف ولده. فحال مرضي آنذاك دون الحضور، فبعثت بهذه الأبيات:

عِطْرُ الشَّبَاب زَكَا وطاب أريجُهُ ... فاهْنَأْ بنجلك ذاك يومٌ أَزْهَرُ
عُرسٌ تَمُوجُ به البشَائِرُ، كُلُّ وَجْـ ... ـهٍ فيهِ مِنْ صَفْوِ الهَنَاءَةِ مُسْفِرُ
وَتُضِيئُهُ مُهَجٌ وتحْنُو أكْبُدٌ ... ويَضُمُّهُ شَوْقٌ أَرَقُّ وأكْبَرُ
بَدْرَانِ قد طلعا فهٰذي سَاحَةٌ ... تُجْلَى بنُورِهِمَا ومَغنىً يزهرُ
ويُبَارِكُ الرَّحمن جَمْعَهُمَا عَلَى ... خَيْرٍ يَدُوم مع الرَّجَاءِ ويُنْشَرُ
ونَدَى الظلالِ ورَحْمَةٌ مَمْدُودةٌ ... تغشى وَآيَاتٌ ونُعْمَى تَظْهَرُ
تَقْوى وعَابِدَةٌ يُظَلِّلُ بِرُّهَا ... سَكَناً ويَعْبقُ مِسْكُهَا والعَنْبَرُ
طابت نفوسُكُمَا وطَابَتْ هِمَّةٌ ... وَزكَا مَعَ التقوى وطَابَ الجَوهَرُ
وَعلى جفونكمَا طيُوفٌ حَوَّمَتْ ... بالذِّكْرَيَات رُؤىً تَغِيبُ وتظْهَرُ
دَارٌ تَشُدُّكَ إنْ نَأَيْتَ وسَاحَةٌ ... تَحْنو وَرَابِيَةٌ هُنَاك ومَنظَرُ
ومَلَاحِمُ التاريخ في سَاحَاتِها ... عَهْدُ الحياةِ وَذِمَّةٌ لا تُخْفَرُ
ومَلَاعِبٌ وَثَبَتْ على ميدانِهَا ... صِيدٌ تَسَابَقُ والجِيَادُ الضُّمَّرُ
«فالغوطَةُ الخَضْرَاءُ» أَيْنَ دُرُوبُهَا ... وظِلَالُهَا وَنَدىً وغُصْنٌ أَخْضَرُ
«والمسْجِد الأَقْصَى» ولفتَةُ ساحِهِ ... ونِدَاؤه وَدَمٌ يَسِيلُ ومِنْبَرُ
وَهُناكَ في «بيروتَ» يأكُلُ بعضُها ... بَعضاً ويَسْحَقُهَا عَذَابٌ مُنذِرُ
ومَنَازِلٌ مَازال في سَاحَاتِهَا ... وَهْجٌ يَمُدُّ وَأَضْلُعٌ تَتَفَجَّرُ
أَيْنَ الوُرُودُ تَفَتَّحَتْ أَكْمَامُهَا ... فتعَطَّرَتْ دُنيا وفَاحَتْ أَعْصُرُ
هذي بلَادُ الشام أَيْنَ نَدِيُّهَا ... يَزكُو مَعَ التقوى لَدَيه المَعشَرُ
أَنَّى التَفَتَّ رَأَيْتَ في جَنَبَاتِهَا ... دَمعًا يَسِيلُ وَأكبُداً تتفَطَّرُ

مهمــا نَأيْـتَ فَمَــا تَزَالُ أُخـوَّة ... في الله صادِقَــةٌ تعـزُّ وتَـنـصُـرُ

والأهـل والـرَّحم القـريب وصُحْبَةٌ ... وحَنِيـنُهُمْ صفـوُ الـوِدادِ مُطَهَّـرُ

فانهض كَمَـا نَهضَ الأَبَــاة وأَطلقَنْ ... عَزمـاً يَمُـوجُ عَلَى البطَاحِ ويَهْـدُرُ

فَهُـنَـاك يَبْـني الغُــرُّ مِن أبـطالنــا ... فَرَحًـا وتـأتَـلِقُ الـرُّبَـى وَتُنَـوِّرُ

* * *

١/٩/١٤٠٦هـ

٩/٥/١٩٨٦م

وفي تهنئة الأخ محمود الفتيان :

بُشْــرَى تُزَفّ وَآيـةٌ مِنْ خَالِـقٍ ... تُجْـلَى عَلَى عُرُسٍ وَطـيـب تَلاَقِ

وَتَـرِفُّ فِي سَكَـنٍ نَدَاوَةُ رَحْــمـةٍ ... وَمَــوَدَّةٍ مَوْصُــولَــةِ الأَشْــوَاقِ

وَيُبَــارِكُ الـرَّحْمـٰن مَحْمُوداً وإسْـ ... ـلاَمــاً على لُقْـيَـا وخَـيْــرٍ بَاقِ

* * *

٢١/٥/١٤٠٦هـ

١ /٢/١٩٨٦م

وفي تهنئة الأخ نضال الحنبلي :

أخَيَّ! هـٰذي قُلُوبُ الأهْــلِ حَانِيَـةٌ ... زَفَّتْ إلَيْـكَ المَهَـا بُشْـرَى مَغَـانِيهَـا

كأنَّـهَــا فِي لَيَــالي العُــرْسِ لُؤْلُؤَةٌ ... وأنْتَ مِنْ جَوْهَـرٍ تَجْلُو مَعَـانِيهـا

* * *

١٢/١٠/١٤٠٧هـ

٨ /٦ ١٩٨٧م

وفي تهنئة الأخ أيمن الصفدي :

زُهْــرُ المَنَــازِلِ إيمــانٌ تُزَفُّ بهـا ... بُشــرى وتَـطلعُ بَدْراً في لَيَــالِيهـا

وَأَيْــمَــنٌ نَثَــرَتْ أَخْــلاَقُــه دررًا ... فزيَّنَــتْ كُلَّ سَاحٍ مِن مغــانيهــا

عُرْسٌ يبــارِكُـهُ الـرَّحمـٰن فَرْحَتُـهُ ... نُعْمـى مِن الله تُجْـلى في نوادِيهــا

وكُــلّ أُغْـنيــةٍ في العُــرْسِ قائلةٌ ... أَحْلَى الأَغـاني إذا ما قيل «آييها»[1]

* * *

١/ ٩/ ١٤٠٩هـ

٧/ ٤/ ١٩٨٩م

وفي تهنئة الأخ رياض سعيد الحاجِ عيسى بمناسبة زفاف ولده:

عُرسٌ يظلُّ على الـزَّمَـان جَدِيـداً ... وَيــظَلُّ يبْـعَـثُ كُلَّ يوم ٍ عِيــدا

بَدْران قد طَلَعـا وطِيبُ شَمِـائـلٍ ... نَشـرتْ جَوَاهِـرَهَــا حليً وعُقــودا

فاهْـنَــأْ بِبُشْــرَى لا تَغِيبُ ونِعْمَــةٍ ... مَا دُمْــتَ تحــفظ للإلــهِ عُهُــوداً

* * *

٤/١٢/١٤٠٩هـ

٧/٧ /١٩٨٩م

وفي تهنئة الأخ سليم عبدالقادر البرادعي بمناسبة زفاف ولده:

هـٰذِي الـزَّغَـارِيـدُ مَنْ غَنّى قوافِيَها ... ومـن أَعَـادَ لنــا أَلـحــانَ نادِيـهــا

كانــتْ هُنــاك لَنَــا الأَيّــام ناعِمـةً ... تحنــو علينــا وتجلو من مغــانيهـا

حتى رمتنــا الليــالي رميــةً عَجَبــاً ... مُشــرَّديـن بدانـيـهــا وقــاصيهــا

من ذا يعيــد لنــا أَحــلام ساحتنا ... طيبــاً ويُنْشِــدُنــا أَحلى أَغــانيهــا

عُرْسٌ يُعِيــد لَنــا ذِكْــرى مَرابعنــا ... شوقــاً ويُــرْجِـع للأَفـراح مَاضيهـا

بَدْران: هذا عِصَــامٌ نُورهُ خُلُق ... من كلِّ مَكْــرُمــةٍ يجـلو غَواليـهــا

ونَــضــرَةٌ من شَبــاب كُلُّهــا عَبَـقٌ ... مِنَ الهُـدَى وزكيُّ المِسْـك يُبْـدِيها

و«نــاريمــانٌ» وصفو الحُسن طلعتها ... زَهَتْ بهـا الـدّار من أَفـراحِهـا تيها

ياربِّ باركْـهـمــا أَنتَ الـوليُّ فمن ... سواكَ يحـفظ للنُّـعْـمَى غواديـهــا

غَنُّــوا كمــا شِئْتُمُ فَالعُــرْسُ أُغنيــةٌ ... أَحلى الأَغـاني إذا ما قيل «آييها»[2]

* * *

٧/٣/١٤١١هـ

---

(١)، (٢) «آييها» كلمة تقال في الأعراس عند الزغردة.

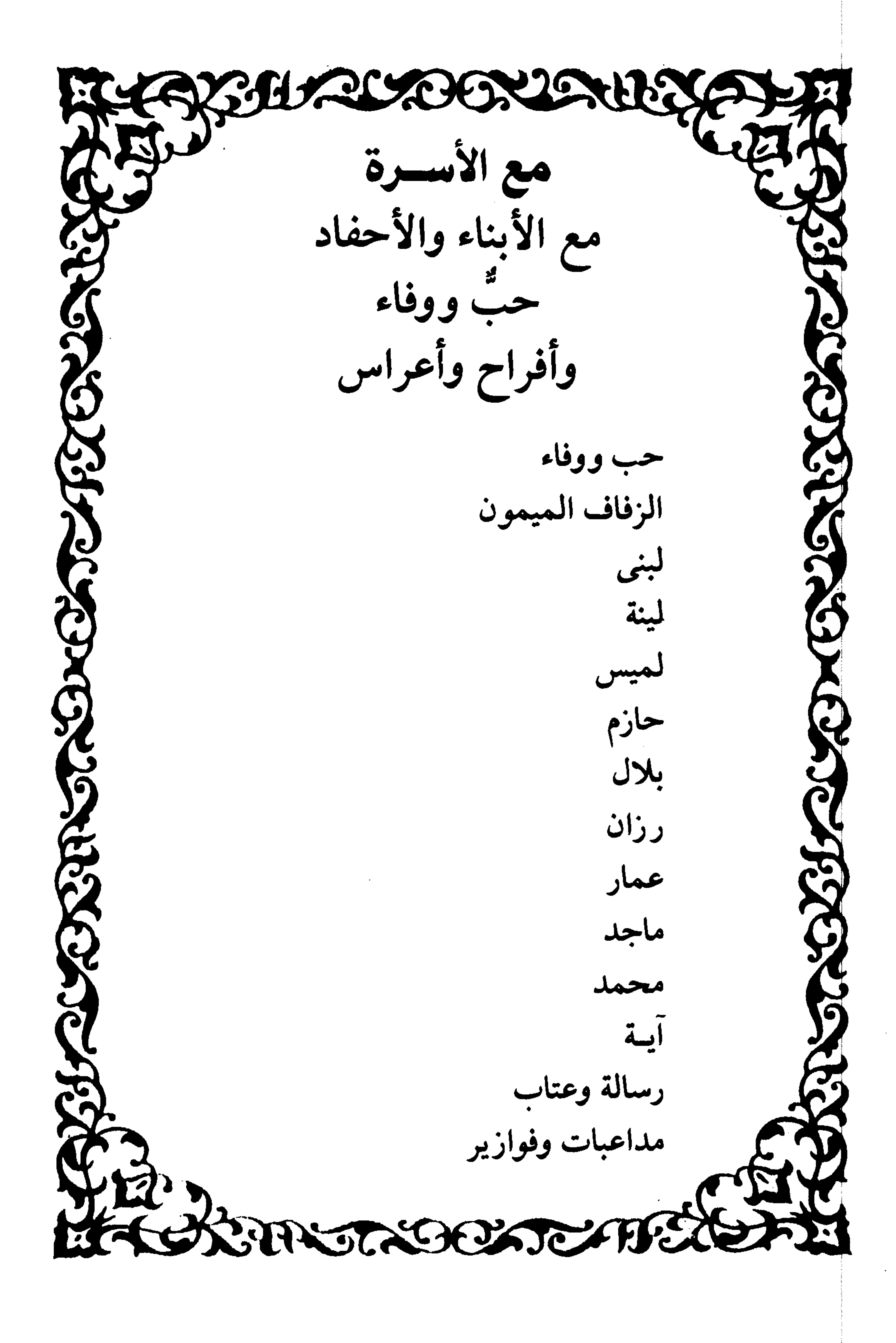
وللأخ سليم بمناسبة زفاف ولده أيضاً:

عبدالعزيز لك الأفراح قد حَمَلتْ فَوْحَ العَبير بهَا أو طلعةَ القَمَرِ
بُشرى تُطِلُّ وأشواقٌ تَحُفُّ بها تُجْلَى بهَا خَطرات الدَّلِّ والخَفَرِ
وأنت كالبَدْر والخِلَّانُ هَالَتُه وطلعةُ اليُمْنْ شوقُ القلب والبَصَرِ
عُرْسٌ أَغَرٌّ وأيامٌ مُنَعَّمةٌ يبارك الله في رِزْقٍ وفي عُمُرِ
نُعْمى مِنَ الله فَاخْشَعْ كَيْ تنالَ بها هناءة العيش مَن جَنْيٍ لَهُ خَضِرِ

* * *

٩ /٧/ ١٤١١هـ

٢٤/ ١/ ١٩٩١م



مع الأســرة
مع الأبناء والأحفاد
حبٌّ ووفاء
وأفراح وأعراس

حب ووفاء

حَنَانَيْكِ! ما أَحْلى الوَفَاءَ وعِطْرَهُ ... إذا نَشَرَتْهُ مُهْجَةٌ وسَرَائِرُ
وما أَجْمَلَ الأَيَّامَ زَهْوُ عَطائِها ... حَنانٌ وَأَشْوَاقٌ زَهَتْ وبَوَادِرُ
وما أَحْسَنَ الدُّنْيا إِذَا الحُبُّ نَفْحَةٌ ... يَمُوجُ بِهَا بِرٌّ غَنِيٌّ وطاهِرُ
وما أَعظَمَ الحبَّ الغَنِيَّ ونَبْعُهُ ... يَقِينٌ وإِيمانٌ جَلَتْهُ المآثِرُ
هو الحُبُّ نَبعٌ لا يَغِيضُ فتَرْتَوِي ... نُفُوسٌ وتُروَى لَهْفَةٌ ومَشاعِرُ
هو النَّبْعُ : حُبُّ الله، حُبُّ رَسُولِهِ ... إِذَا صَحَّ روَّى الكونَ والنَّبْعُ زَاخِرُ
فَتُرْوَى بِهِ خُضْرُ الرِّياضِ وَوَرْدَةٌ ... وتُرْوَى بأَجْواءِ الفَضَاءِ العَشَائِرُ
وتَمْضِي به حُلْوُ النَّسائِمِ والنَّدَى ... ويَنْشُرُه في سَاحِرِ اللَّحْنِ طائِرُ

* * *

حَنَانَيْكِ! هـذا الحبُّ بِرٌّ ورَحْمَةٌ ... ولُحْمَةُ أَرْحامٍ نَمَتْ وأَواصِرُ
وصُحْبَةُ إِخْوانٍ تَدُومُ مَعَ التُّقى ... وعَدْلٌ مَعَ الإِنْسَانِ مَاضٍ وقَادِرُ
وأَجْمَلُهُ بَيْتٌ عُرَاهُ مَوَدَّةٌ ... لَهَا سَكَنٌ حانٍ عَلَيْهِ وناشِرُ
تُظَلِّلُهُ الأَنْداءُ رَيّاً ورَحْمَةً ... ويَحْفَظُه خَيرٌ مِنَ الله عامِرُ
تَمُوجُ به الأَنْوارُ بَيْنَ رِحَـابِهِ ... فَتَنْشَأُ فِتيانٌ به وحَرائِرُ
شَبابٌ أَشِدّاءُ كأَنَّ وجوهَهم ... من النُّور صُبْحٌ مَشْرِقُ الأُفْقِ ظاهِرُ
وتُتْلَى به الآيَاتُ نُوراً وحِكْمَةً ... فتنشأُ فِيه حانِياتٌ نَوَاضِرُ

* * *

هي الأُمُّ يَرْعَى لَهْفَة الشَّوق بَعْلها وبيتاً وأَجْيالاً رَعَتْها المَفَاخِرُ
هو الأَبُ قوَّامٌ مَعَ الرشْدِ بَذلُهُ ولِلأَبِ حَقٌّ بالقِوامَةِ ظَاهِرُ
ويَجْمَعُهُمْ في البَيْتِ حُبٌّ كَأَنَّهُ رَفِيفُ النَّدَى ظِلٌّ هنِيءٌ ووافِرُ
هو الحُبُّ أَشواقٌ هُناكَ ولَهْفَةٌ يموجُ بهَا قَلْبٌ وفيٌّ وَخَاطِرُ
نَقِيٌّ كَأَنْفَاسِ الصَّباحِ رَفِيفُهُ غَنِيٌّ كَدَفْقِ النُّور، في القَلْب عَامِرُ
كَأَنَّ فَتيتَ المِسْكِ مِنْه، أَوَ أَنَهُ من الْعَبَقِ الفوّاحِ وردٌ وزَاهِرُ
كَأَنَّ النّسيمَ الحُلْوَ خفْقُ حَنِينِه ورفُّ النَّدَى مِنْهُ غَنِيٌّ وناضِرُ
هو البَيْتُ! إِن أَعْدَدْته كان أُمَّة لها في مَيَادِينِ الحَيَاةِ البشائرُ

* * *

مَضَينَا نَشُقُّ الدرْبَ شَقّاً ونَعتَلي صُخُوراً ونمضي دُونَها ونُغَامِرُ
يَعضُّ عَلَيْنَا الشوكُ تَدْمي به الخطى وتَدْمي به أَكْبادُنا والنَّواظِرُ
يَقودُ خُطانَا مِنْ هُدَى الحقِّ دِينُنَا وأفئِدةٌ تُجْلَى به وبَصَائِرُ
وعَهْدٌ مَعَ الرَّحمن أَبْلَجُ نورُه تَدَفَّقَ فانْزاحَتْ بِذاك الدّياجِرُ

* * *

تدورُ بِنَا الآفَاقُ حَيْرَى يَروعُهَا دماءٌ على سَاحَاتِهَا ومَجَازِرُ
فتلك دِيارُ المُسْلمينَ تَوَاثَبَتْ ذئابٌ عَلَيْها أو وُحُوشٌ كَواسِرُ
تُمزِّقُ أَرضاً أو تُمزِّقُ أُمَّةً وأَشلاؤُها في الخافِقين تَنَاثَرُ
تَنوَّعَتِ الآلام: أَحْزَانُ أُمَّةٍ وأَهواءُ قومٍ لوَّثَتْهم مَعَايرُ
فكم غَادَرَ الدّرْبَ السَّويَّ أَخُو هوىً يُطارِدُ أَشْبَاحَ الهَوَى وهو سَادِرُ
وظَلَّ على العَهْدِ النَّقيِّ أَجِلَّةٌ لآليءُ مِنْ صَفْو الوَفَاءِ جَواهِرُ

* * *

حنانَيْكِ! هذا الدَّرب نحْملُ دُونَهُ رسَالَةَ تَوحِيد جَلَتْها المقادِرُ
سنَمْضي بإذن الله نُوفي بِعَهْدِنا مَعَ الله مَهْمَا رَوَّعَتْنَا المخاطِرُ
يُضيء لَنَا نُورُ اليَقِين سَبيلَنَا فَتَنْزاحُ عَنًّا غُمَّةٌ وعَوَاثِرُ
هُوَ الحُبُّ مِنْ نَبْعِ الصَّفَاءِ رُوَاؤه تَمُوجُ به أَحْنَاؤنا والضمائِرُ
فهذا جَمَالُ الحُبِّ هذا جَلالُه رَعَاهُ وزكَّاهُ الجهادُ المثابِرُ
فما العُمْرُ إلَّا رَوْضَةٌ وغراسها جهادٌ غَنيٌّ بالعَطاءِ وناشرُ

* * *

حَنانَيكِ! كَمْ جُرح ضَمَدتِ وأنَّةٍ مَسَحْتِ وهَمٍّ في الفؤادِ يُدَاوِرُ
وكَمْ كَان مِنْ رأى رشيدٍ بَذَلته فَأَطْلَقَهُ قَلْبٌ ذَكِيٌّ وخَاطِرُ
وكَمْ لَيْلَةٍ قد بِت أَرعى نَجْومها فيطْرُقُني هَمّ وهَمٌّ وآخَرُ
فَشَارَكتني هَمّي حَناناً وحكْمةً وقُمنا بذكر الله تُجلَى الخَواطِرُ
ضَرَعْنا إلى الرَّحمـٰن سِرّاً وجهرةً فَقَلبٌ يُنَاجي أَو لِسَانٌ يُجاهِرُ
فَزَعْنا إِلى أَمن الصلاة وأَمْنُها خُشوعٌ وهاتِيك الدّمُوع المواطِرُ
مَضينا نَشُقُّ الدَرْبَ والصَّخْرُ دونَنَا وأَشواكُهُ، والله حَامٍ وناصِرُ
ومَنْ يتَّقِ الرَّحمـٰن يَنْجُ ومَنْ يَخُنْ مَعَ الله عهْداً لَمْ تَدَعْهُ الفَواقِرُ
ولا يَصْدُقُ الإيمَانُ إلَّا إذا جرى هواه لِيَرْعَى الحقَّ والحقُّ ظاهِرُ
وَهَذا جَلَالُ الحُبِّ يَمضِي به الفَتى فَتَرْوَى به الدُّنْيا وتُرْوَى الضّمائِرُ

* * *

الثلاثاء

٤ /١٢/١٤١٣هـ

٢٥/ ٥ /١٩٩٣م

إلى ولدي الحبيبين عبدالمعطي الجوهري وأروى النحوي.

الزفاف الميمون[1]

ضُمِّي الـوُرُودَ إلى الـوُرُودِ وَغرِّدي لِفتـىً تُزَيِّنـهُ الهِدَايَةُ أَمْجَـدِ

ضُمِّي عَلَى ثَـوْبِ الزِّفَافِ زُهُـورَهُ وَعَلَى جَبِينِكِ لَفْتَةَ الغَارِ النَّـدِي

وَتزَيَّني بِاللُّـؤلُـؤِ المنْثُـورِ بالـــ ـيَاقُـوتِ بالمَاسِ النَّقِيِّ بِعَسْجَدِ

أَغْلَى الجَواهِرِ نِعْمَةُ الرَّحْمٰنِ فِي حُسْنٍ وَفِي خُلُقٍ وَعِلْـمٍ مُرْشِـدِ

أَغْلى الجَوَاهِرِ لَو عَلِمْتِ فتـىً رَأَىٰ دَرْبَ الهُـدَى أَعْلَى وَأَشْرَفَ مَقْصِدِ

الجَوْهَرِيُّ.. وَقَدْ رَعَـاكَ اللهُ فـي كَنَـفِ الأُبوَّةِ والأُمُومَةِ فاسْعَـدِ

أبُنَـيَّ عَبْدَاللهِ نِعْـمَ الوَالِـــدا نِ وَمعْـدِنٌ يُجْلَىٰ بِدِيْـنِ مُحَمَّـدِ

أُبُنَيَّتي يَا جَوْهَــرَ الحُسْنِ النَّقِــيِّ زَكَـا على طُهْـرٍ وَصَفْوَةِ مَحْتِـــدِ

أَرْوَى وَعَبْـدُ اللهِ بُـورِكَ فِيكُمَـــا مِـنْ غَرْسَتَين وَمِنْ رِضـاً مُتَجَـدِّدِ

نِعْمَ القَرِينَةُ والقَـرِينُ وَبُـورِكَـتْ لُقْيَـا الهَنَـاءَةِ بِالنَّعِيـمِ المُرْفِــدِ

بُشْرَىٰ تُسَـاقُ إلى التُّقَـاةِ فَهَـلِّلا للهِ فـي عُرسِ الحَيَـــاةِ وَفي غَـدِ

كُوني كَما أَمَـرَ الإلـٰـهُ فأَخْبِتِــي للهِ خَاشِعَـــةَ الجَـوارِحِ واسْجُدي

يَـاربِّ بَـارِكْ فِيهِمَـــا وَعَلَيْهِمَـــا واجْمَعْهُمَـــا بالخَيْـرِ مِنْكَ وأَسْعِـدِ

إنْ كُنْتِ غَـادَرْتِ الدِّيَـارَ لِغَيرِهَـا مَازِلْــتِ بَيْنَ ضُلوعِنَـــا والأَكْبُـدِ

قَدْ أَشْرَقَتْ دَاري بِنُـورِكُمَا مَعـًـا قَمَـرَانِ مِنْ نُـورِ الشَّبَابِ المُهْتَدِي

نُضْفِــي الحَنَانَ عَلَيْكُمـا مِنْ مُهْجَةٍ وَمِـنَ الضُّلُـوعِ وَخَاطِرٍ مُتَوَقِّدِ

الرياض ٢٠/٤/١٤٠٤هـ

٢٣/١/١٩٨٤م

---

(١) كان الزفاف يوم الاثنين ٢٠/٤/١٤٠٤هـ (٢٣/١/١٩٨٤).

لُبْنَى [1]

صِرْتُ جَدًّا فَهَلِّلي يا جُدُودُ | واسعدي أَشْرَقَتْ عليك الجُدُودُ
هِيَ لُبْنَى يا بُشْرَياتُ أَطِلِّي | وانْهَضي، أَقْبَلَتْ علينا السُّعودُ
غَرْسَةٌ مِن مَنابتِ الخَيْرِ والطّهـ | ـر وَعِطْرٌ مِنَ التُّقَى مَشْهودُ
غَرْسَةٌ شَهْدُها الفَضائِلِ والبِشـ | ـرُ وحظٌ مِنْ ربِّها ممدودُ

* * *

هِيَ لَحْنٌ مِنَ الجَمالِ غَنِيٌّ | وشَذاً فَوَّحَتْ عَلَيه الوُرُودُ
قيْلَ هذا البُكَاءُ، قُلْتُ أَغانٍ | قِيلَ هذا الصُّراخُ قُلْتُ نَشِيدُ
أَيُّ لَحْنٍ مِنَ البَرَاءَةِ أَحْلَى؟ | هُوَ عِنْدي مَعْنىً وَلَحْنٌ وَعِيدُ
مَهْرَجَانُ الحَيَاةِ فِيهِ وآيٌ | تتبدَّى لنا وَخَلْقٌ جَدِيدُ

* * *

مَا أُحَيْلاكِ حيْنَ تَسْعَيْنَ حَبْواً | فِي غَدٍ حَوْلنا وَتنأى المُهُودُ
ثُمَّ تَسْعَيْنَ للنُّهُوضِ فيَحْلو | مِنْكِ سَعْيٌ وَوَقفَةٌ وقُعودُ
ثمَّ تَهْوين، ثُمَّ أَنهضُ وَثباً | يتلقَّاكِ سَاعِدي والزُّنُودُ
حِيْنَ تجرينَ في غدٍ وَثَبَاتٍ | تتلقّاكِ أَضْلُعي والكُبودُ
فَوقَ ظَهْرِي، عَلَى يَدَيَّ كَطَيْرٍ | نَقَّلَتْهُ أَفْراحُه والنُّجودُ

* * *

(١) ولدت لبنى ابنة صهري المهندس عبدالمعطي الجوهري في ٨ شعبان ١٤٠٦هـ (١٧ نيسان ١٩٨٦م)، في مستشفى الملك خالد بالرياض الساعة الواحدة وخمسين دقيقة بعد ظهر يوم الخميس.

وتنادينني بأَحْلَى نِـداءٍ طابَ مِنكِ النِّدَاءُ والتّغْرِيدُ
«إيه جَدّي» فَأَسْتَجِيبُ إِلَيْه عَجلاً هزَّني النِّداءُ الفَرِيدُ
ثُمَّ أَلْقاكِ بَعْد ذاكَ عَرُوساً زَانَكِ الحسْنُ والتُّقَى والبُرُودُ
وَحَلا بَيْنَ وَالدَيْكِ وَأَجْدَا دٍ وَجَدّاتٍ بِرُّكِ المَحْمُودُ

* * *

الرياض ٢٣ شعبان ١٤٠٦هـ
٢ مايو ١٩٨٦م

لينــة[1]

يا وردةً بينَ الزُّهور تفتَّحَــــتْ ... عطراً يَموجُ عَلَى المرابع فاعْبقي

يا نَسْمةَ الصُّبْح النّديِّ كأنَّهــا ... خَفْقُ الجَمـالِ وآيةٌ مِنْ رَونَـق

يا «لِينَ»! يا بُشرَى الحَياة ألا انْشُري ... نُوراً يَفيضُ عَلَى غدٍ لَكَ مُشْرقِ

يا قُرَّةَ العَيْن اهنئي! أَهْلوك في ... هَدْيٍ أَبـرَّ وعِزَّة الشَّوق التَّقي

ياربِّ باركْ «لينَ» واحفظها على ... تقْوى وزِدْها من رضِاكَ المغْدقِ

لمـيس[2]

طَلَـعَ الصَّبـاح فَيَا «لَميسُ» تَهَلَّلي ... بُشْرى تُطِلُّ وآيَةَ الصَّبح النَّــدي

حُسْـناً! جمعـتِ به مَخايلَ حُلْوةً ... وبــوادِر التَّقوى وفِطْـرَة مُهْتـدِي

يا طِفَلَتي ! يَا جَوْهرَ الحسن انشُـري ... ما شِئتِ مــن عَبَقٍ عَلَيْـكِ مُجَـدَّدِ

أبُنَيَّتــي! إنّــي أرى أمســى بعَيْـ ... نَيْهــا ويَومــي أو بَشائِر مِـن غَـدِ

ياربِّ فاحْفظْهــا بفضلِــك إنّهــا ... أَمَــلٌ أغرُّ وطلْعــةٌ من فرْقَـــدِ

الجمعة

٣ / ٦ /١٤١٣هـ

١٩٩٢/١١/٢٧م

---

(١) لينة حفيدتي ابنة صهري المهندس عبدالمعطي الجوهري. وُلِدَتْ في الرياض في ٢٦ ذي القعدة ١٤٠٧هـ الموافق ٢١ تموز ١٩٨٧م.

(٢) لميس حفيدتي ابنة صهري المهندس عبدالمعطي الجوهري. ولدت في الرياض في ٢٧ جمادى الأولى ١٤١٠هـ الموافق ٢٥/١٢/١٩٨٩م.

حـازم(1)

إطلالة البشْـر رفَّتْ مِن مُحَيّـاه ... فأشْرَقَتْ بالهَنَـا والسَّعْـدِ دُنْيَاهُ

لمـا أَطَـلَّ أَطَـلَّ الفَجْـرُ وانْطَلقَتْ ... أَنْـوارُه والرَّبيـعُ الحُلْوُ حَيَّـاهُ

تَلفَّتَ الرَّوضُ: مَنْ هذا الذي طَلَعَتْ ... أنفاسُـهُ عَبَقـاً يُغْنـي وريَّاهُ(2)

أَضْحَى يُنافِسُني حُسْناً ويَغلِبُنـي ... طِيْبا! فَـرَدَّدَ كُلُّ الزَّهْـرِ إِيَّـاهُ

فإنَّه «حَازِمٌ» تَمْضـي بَشَائِـرُه ... وبـارَكَ الله مَغْنَـاهُ وسُقْيَـاهُ

* * *

---

(1) حازم حفيدي ابن المهندس عبدالمعطي الجوهري. ولد في ٢٠/١١/١٤١٣هـ (١٠/ ٥/ ١٩٩٣م).

(2) الرِّيّا: الريح الطيبة.

وبمناسبة زفاف ابني بلال[1]:

زفاف بلال

غنَّتْ إلَيكَ طُيورُ الدَّوْحِ وائْتَلَقتْ | هـذِي المَنَازِلُ وازْدَانتْ مَغَانِيها
بَدْرانِ قَدْ طلَعَا! أنوارُ عُرْسِهما | بُشْرَى تُزَفُّ وأَفراحٌ تُوَالِيها
يجلو «بلالٌ» مَعَ الأَيَّام مَعْدِنَهُ | جَواهِراً، والتُّقى يَجْلو لآلِيها
نُوراً تدَفَّقَ أو مِسْكاً يَضُوعُ به | حَرُّ الجَواهِرِ لا تُخْفَى مَعَانيها
حَتَّى أطَلَّت «مُنى»! يا حُسْنَ طلْعَتِها | نُورٌ يَمُوجُ وأَشْوَاقٌ تُنَاديها
وازدَانَتِ الدَّار مِنْ حُسْنٍ ومن خُلُقٍ | ومن تُقىً وزَهَا بالأنْس نَادِيها
لله درُّكُما أَرْجعتُما أبَداً | ذِكْرَى تُرَجِّعُ للأشْواقِ ماضيها
وتَنْشُر البشرَ في الأيّام مقْبلَةً | وتوصِلُ الغَدَ بالذكْرَى فتُحْييها
كَأَنَّما العُمْر أنوارٌ مُلألِئَةٌ | مِنَ الهُدَى وغَنيُّ المسْكِ يُزْكيها
فَتَنْعُمانِ عَلَى برٍّ وفي سَكنٍ | ونَعْمةٍ بالتُّقى جاءَتْ غَوادِيها
عُرْسٌ كَأَنَّ اللّيَالي حَمّلَتْهُ لنا | غُرَّ البشَائِرِ في أغْنى مَجاليها
فَأنْتُما في سُوَيْداء الفُؤادِ هَوىً | أبَرُّ يَخْفقُ تُغْنيهِ فيُغْنيها
عُرْسٌ تَمُوجُ به الألْحانُ ناعِمَةً | كَأَنَّهُ مِنْ حَنينِ القَلْبِ يُجْريها
أو أنّه جَمعَ الآمَال زاهِيةً | وصَاغَهَا نَغمًا يَجْلُو معانِيها

---

(١) كان حفل زفافها يوم الخميس الأول من شوال ١٤١٠هـ الموافق ٢٦ نيسان ١٩٩٠م.

أو أنَّهُ من شُفُوفِ الغَيْبِ أطْلَقَها … بُشْرَى وقَالَ هُنا تُجْرَى سَواقيها

لله دَرّكُما! كم فَرْحَةٍ طَلَعتْ … فكُنْتُما أَبَداً أَحْلى دراريها

فَرَجِّعي يا مَغَاني العُرْس أُغْنِيَةً … أَحْلَى الأَغاني إذا ما قِيلَ «آييها»

تُعيدُ فينا حَنِينَ الدَّار نَحْمِلُهُ … عَلَى الدروب فنُحْيي مِنْ أَمانِيهَا

هُنَاكَ كَمْ زَهرَتْ أعْراسُنَا وَزَهَتْ … وعِزَّةُ الدِّين تُحْيينا ونُحْيِيهَا

فَمَا غَفَتْ أعْيُنٌ حَتَّى تواثَبَ في … سَاحَاتِهَا مُجْرمٌ يُدْمي نَواحِيها

وأَطْبَقَتْ أُمَمٌ مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ … تَغْزُو وتَنْهَبُ مِنْ خَيْراتِ واديها

فَقِيلَ طُوفُوا إذَنْ في الأرْض وانتشروا … مَعَ الخِيام بقَاصِيها ودَانيها

تَتَابعَتْ بَعْدَها الأَفْواجُ وانْطَلَقَتْ … تَشُقُّ تِيهاً وتَطْوي مِن بَواديها

مِنْ كُلِّ أَرْض من الإسْلام قَافِلَةٌ … مِنَ اللجُوء تُنادِي مَنْ يُواسِيها

هذا جَزاء الذي يَغْفُو ويَتْرُكُ مِنْ … أمانَةٍ عُلِّقَتْ أرواحُنا فيها

لا تَنْسَيا أبَداً أرضاً مُبارَكَةً … أَمانَةً لم تزَلْ ترْنُو لموفِيهَا

يَهُزُّ أضلاعَنا صَفْوُ الحَنين لَهَا … ولَهْفَةُ الشّوْق تُدْني من نَوَادِيها

على مَحاجِرنا أَطْيافُ مَلحَمةٍ … وبَيْنَ أَحْنائنا الأشواقُ تُوريها

هُنَاكَ نُحْيي مِنَ الأعْراسِ أَزْهَرَها … عُرْسُ الفُتُوح حَنِينٌ لم يَزَلْ فِيها

في كُلِّ رابيَةٍ أَصْدَاءُ وشْوَشَةٍ … تَقُول: عُودوا! فَمَنْ يُصْغي لداعِيها

سَتَستَجيبُ قُلُوبُ المؤمنينَ لَهَا … وتَسْأَلُ الله عَوْناً أن يُوالِيها

تَمْضي المواكِبُ للرَّحمٰنِ خاشِعَةً … يَجْلُو لَهَا النَّصْرُ أَفْراحاً تُوافيها

وتُصبِحُ الأرْضُ والدُّنيا بأَجْمَعِها … عُرْساً تَمُوجُ به أشْوَاقُنا تيها

وحَسْبُنَا شَرفاً دينٌ تقومُ به … ودَعْوةٌ لم نَزَلْ في النّاس نُحْييهَا

رِسَالةُ الله للإِنْسَانِ نَحْمِلُهَا أَمَانَةً ونَظَلُّ العُمْرَ نُوفِيها
عَهدٌ مع الله! مَنْ يَصْدُقْهُ عَزَّ بِهِ هِدايَةً وَرَجَا أَغْلَى مَرامِيها

* * *

الخميس

١ شوال ١٤١٠هـ

٢٦ نيسان ١٩٩٠م



« رزان »[1]

رزان! يا نسمة الصبح النّديّ سرتْ ... به ويا دَفْقةَ العطْر الذي انتشرا

يا طَلْعَةَ النَّوْرِ رفَّتْ في خمائِلها ... وفَتَّحتْ بالشَّذا الأورادَ والزّهَرا

يا بَسْمةَ العُمر! ما أحلى ابتسامَتَها ... رفَّتْ عَلَيَّ بِشَوْقٍ نَضَّرَ العُمُرا

رَزانُ! يامُنْيَةَ الأَشْوَاق يَحْمِلُها ... عُمْري فَيَرْجِع منها مُورقًا خَضِرا

يا نغمة نَشَرتْ أَلحانَها وَسَرَتْ ... تُرَجّع الشّوقَ والآمالَ والذِّكرا

أَرى بعينيك آمالي مُرَفْرِفَةً ... وفي ابتسامتها بشرى النَّوال أَرَى

* * *

(١) رزان: حفيدتي، ابنة الدكتور بلال، وهي أول مولود يرزقه الله به. ولدت في كندا، أثناء دراسته التخصصية. ولدتْ في مونتريال يوم ٢٨ ربيع الأول ١٤١٢هـ، (٦/١٠/١٩٩١م).

وبمناسبة زفاف ابني عَمّار[1]:

زفاف عمار

عُرْسٌ يَزُفُّ لَنَا البُشرَى ويَنْشُرُها ... طيبًا ويَنْشُرُ منه الوردَ والزَّهَرَا

كَأَنَّ طَلْعَةَ «عَمَّارٍ»، ومَعْدِنُهُ ... حُرُّ الجَواهِرِ، نورٌ سَال وانتشَرَا

فَتًى أَبَرُّ، وعَزْمٌ مِنْ مَهَابَتِه ... يَزِيْنُهُ، وهُدًى يَجْلُو له الفِطرا

حَتَّى أَطَلَّتْ «نَدَى»! يَاحُسْنَ جوهَرَةٍ ... رفَّتْ، وحسن تُقًى أَهْدَى لها الخَفَرا

يارَبِّ باركْهُما واجْمَعْ إِذَنْ بِهِمَا ... نُعْمَى تَدُوم وتُغْني الزَّادَ والعُمُرا

* * *

١٢/ ١٢/ ١٤١١هـ

٢٤/ ٦/ ١٩٩١م

(١) في يوم الاثنين ١٢/١٢/١٤١١هـ الموافق ٢٤ حزيران ١٩٩١م.

ماجـــد [1]

يَاطلْعَــةَ الصُبْــحِ المُنــوِّر والنَّــدَى — يَانَـفْحــةَ الـعَبَقِ الـغَـنيِّ المُلْهِمِ
يا ماجــدًا! نُورُ أطلَّ فأشْــرَقَــتْ — حَولي الـحَيــاةُ بثَغْــره الـمتَبَسِّم
حُسْنٌ! كَأَنَّ الـبَــدْرَ مِنْ قَسَمــاتــه — يُجْلَى بطلعــة وجْهِــهِ والـمَبْسَم
يارَبِّ بارِكْــهُ! فَأنْــتَ وَلِــيُّــهُ — واحـفَــظْهُ في رَغَــدٍ وعِــزَّةِ مُسْلِمِ

* * *

أَغَــدًا أراك تهشُّ نَحْــوي مُقْــبِــلًا — وَتَقُــولُ: ياجَــدّي! أقُــول لَكَ: اسْلَم
وأَراكَ تَدْرُجُ ثُمَّ تَهْــوي ضَاحِــكًا — أو باكِــيًا أو شاكِــيًا لم تَنْــدَمِ
حتَّــى أَضُــمَّــكَ! والـحَنَــانُ كَأَنَّــهُ — عِطْرُ الـحَيــاةِ وفُــوْحُ مِسْــكٍ مُفْعِمِ

* * *

أأرى ابتِسَــامَتَــكَ الغنِيَّــةَ أشْــرَقَتْ — بالبُشْــرَيــات وبــالـرِّضــا المتوسِّم
وتَشُــدُّني بيَــدِي تَقُــولُ تَعَــالْ كي — نَمْـضــي إلى «كُــرَةٍ» نَدُور ونَــرْتمي
فَتُعِـيــدُني يا مَا جِدِي لطُفُــولـتــي — وأَراكَ مِثْــلَ الـفــارِسِ الـمتَقَــدِّمِ

* * *

---

(١) ماجـد حفيدي، ابن عَمّار عدنـان النحـوي. كانت ولادتـه يوم الجمعة ١٤١٣/٥/٢٦هـ (١٩٩٢/١١/٢٠م)، في مستشفى الظهران في المملكة العربية السعودية، الساعة الرابعة والدقيقة والأربعين مساءً بتوقيت الظهران، مع انطلاق أذان المغرب.

أأراك في كَتِفَيَّ تجْلِسُ هَانِئًا وتقُولُ: سِرْ! فأقُول هَيَّا فالْزَم

وَأسِيرُ في مَرَح الحياة كَأنَّمَا طَلَعتْ عليَّ بذاكَ بَهْجَةُ أنْعُمِ

لو كُنْتَ تَعْلَمُ يابُنيَّ بأنّني صَعْبُ القيادِ، فِداكَ؛ صَلْبُ المَعْجَم

وبأنّني ما قَادَني شَرُّ الضَّلا لِ ولا نُوازِعُ مِنْ هوىً متحكم

وبأنّني سَهْل القيادِ لِصَادقٍ ولمؤمِنٍ وطُفُولَةٍ لم تَأثَم

لَعَرَفْتَ أَنَّ مِنَ الحنَانِ عَزائمًا هِي بَهْجَةُ الدُّنْيَا ورَحْمَةُ مُسْلِمِ

فاسأل أبَاكَ، بُنيَّ، والأعْمامَ عَنْ مَرَح الطُّفُولَةِ! سَلْهُمُ وتَعَلَّمِ

كَمْ كُنْتُ أحْمِلُهُم على كَتِفيَّ في مَرَحٍ ودِفءِ حَنانِهِ المسْتَسْلِمِ

* * *

أأراك تَنْهَضُ في الحَياةِ مجاهِدًا لله تمضي بالسَّبِيلِ الأقْوَمِ

والله يَحْفَظُنا برَحمته التي وسِعَتْ رجَاءَ التائب المتَنَدِّمِ

ورَجَاءَ كُلِّ مُجَاهِدٍ صِدْقٍ يُلِـ ـحُّ عَلَى الجهادِ بعَزْمه المُتَرَسِّم

* * *

الخُبَر

٣ جمادي الآخرة ١٤١٣هـ

٢٧تشرين ثاني ١٩٩٣م

مُحَمَّد (١)

أَمحمَّدًا! يا بَهجَةَ العمرِ الّتي — طَلعتْ لتزْهرَ بالهَوَى المُتَجَدِّدِ
تَنْمو كَما تَنْمو المَخايلُ فِطْنَة — ونَجابَةً تُجلَى بعَزْمٍ مُرْفِدِ
وتُقىً يُزَيِّن مِنْ شَمائِلَ حُلْوةٍ — تَزْكو على فِكْرٍ له مُتَوقِّدِ
حَتّى كَأنَّكَ قَدْ جَمَعْتَ روائِعًا — من كُلِّ زَاهِرَةٍ ومن عَبَقٍ نَدِي
وأرَى بعينَيْكَ الحَياةَ نقيَّةً — وعَلَى جَبينِك طلعة مِن أمجَدِ
فانهض بحفظ الله دربُك مُشرِقٌ — بالنُّورِ مِنْ هَدْيِ النبيِّ مُحَمَّدِ

* * *

أأراكَ مُكْتَمِلَ الرّجُولة واثبًا — للمكرُمَاتِ تَجُول جولَةَ سَيِّدِ
وأرَى عَزائِمَكَ الغَنيَّةَ أطلَقَتْ — مدَدَ القَويِّ لتائِهٍ أو مُجْهَدِ
وأرَى خِلالَكَ فوَّحَتْ من طِيبِها — عِطْرًا لِيمْلأَ مِن رُبى أوْ أنْجُدِ
فالله يَرْعَى، يابُنَيَّ، خُطَى الفَتَى — مَادام في هَدْيٍ أبَرَّ وأرْشَدِ

* * *

لله درُّكَ يابُنَيَّ فَهَلْ تَرَى — كَمْ غُرْفَةٍ شُغلَتْ بلهوكَ والدَّدِ
في كلِّ ناحِيَةٍ أرَى لك لُعْبَةً — كسَّرتَها أو لُعْبَةً لم تَحْمَدِ
وأرَى هُنا «سَيَّارَةً» مَهْجُورَةً — وأرَى هُنَا «طفلًا» ينامُ بلا يَدِ

---

(١) ابني محمد يحفظه الله ويحفظ إخوته جميعاً على طاعة الله، ويحفظنا كلنا ويحفظ عباده المؤمنين على ذلك. وُلِدَ في مدينة الرياض يوم ١٤٠٤/١/٥هـ الموافق١١/١٠/١٩٨٣م

وهُـنـا بَقَـايـا مِن «قـطار» تائِـهٍ عن سِكّـةٍ وبَقِيَّـةً «مِـن مَشْـهـدِ»
«وعَـروسَـةً» أغْفَتْ فَيـا لِزَفـافِهـا نَسِيَتْـه أو نَسِيَتْ حُلولَ المـوعِـدِ
وأرَى هُنَـا كُرَةً وألْـمـحُ غَيْـرَهـا بَيْـنَ الأسِـرَّة، تَحتَ كُلِّ منضَّـدِ
فكَـأنَّهـا ارتـاعَتْ لمـا فعلَتْهُ مِنْ شَرٍّ ومِـنْ أمْـرٍ هُنـالِـكَ مُفْسِـدِ
كم قِطعَـةٍ حَطَمـتْ وآنِيَـةٍ رَمَتْ وحَـوائـجٍ نَثَـرَتْ فَيـا للمُعْتَـدي
هَرَبَـتْ تَوارَى خَلْفَ كُلِّ ثَنيَّـةٍ خَجَلاً! فأدِّبْهـا بِسَـاقِـكَ واليَـدِ

* * *

وأرى حذاءَكَ عِنْـدَ باب الـدَّار أوْ في صَالَـة أو غُرفَـةٍ أو مَقْـعَـدِ
وأرى ثيـابَـك في السرير على المَشَا جب، فوقَ كرسيٍّ! فيـا للمَشْهـدِ
وأرى دَفَـاتِـرَكَ الـتي دَبَّجْتَـهـا نُثِـرَتْ كَمـا نُثِـرَتْ عُقُـودُ زُمُـرُّدِ
دُنْـيـا الـطفـولَـةِ يَابُنـيَّ جَميـلَةٌ وغِـنـيَّـةٌ فَاهْنـأ بدَلِّـك واسْعَـدِ

* * *

وأرَى «العَفَـاريتَ» التي طَلَعَتْ بهـا أحْلى الأمَـاني الـزَّاهِيـاتِ «الخُـرَّد»
«لُـبْـنَـى» و«لِيْنَـةُ» أو «لَميسُ» كَأنَّهُمْ دُرَرٌ تَمـوجُ وطَـلْعَـةٌ مِنْ فَرْقَـدِ
و«رزَانُ» تَصْـدَحُ! يابَـلابِـلُ رَجِّعي ألـحَـانَـهـا بيـنَ الـورُوُدِ وغَـرِّدي
وتمـوجُ ألْحَـانٌ ويَهْـدُرُ «مَـاجِـدٌ» بَيـنَ الـصُّـراخ وبَيْنَ زَحْفٍ أوْ دَدِ[1]

---

(١) لبنى ولينة ولميس حفيداتي بُنيّات المهندس عبدالمعطي الجوهري. وهنَّ الخُرَّد الزاهيات و«العفاريت» وصف للأطفال حين يشتدُّ لهوهم وضجيجهم.
وحازم حفيدي، ابن المهندس عبدالمعطي، الذي ولد في ١٤١٣/١١/٢٠هـ (١٩٩٣/٥/١٠م) وأضيف هذا البيت في ١٤١٣/١٢/١٢هـ (١٩٩٣/٦/٢م) أثناء إعداد الديوان. ورزان حفيدتي ابنة الدكتور بلال وماجد حفيدي ابن المهندس عمار.
حفظهم الله وهداهم ورعاهم.

وتــرىَ هُنَـالِـكَ «حـازمًـا» في مَهْـده   دوًّى لحَــاجِــتـه الــتِـــي لم تُرْفَـدِ

هذي تُنــادي إيــهِ ياخـــالـــي وَتِـلْـ   ـــكَ تَقُـولُ: دَعْ لي لُعْبتي لا تعتَدي

حتـى إِذَا اجـتـمعُــوا ودارَ صُراخُهم   كَبَــلابِــلٍ صَدَحَــتْ بِرَوضٍ أغْيَــدِ

حَبَّبْـتُـمُ الـفــوضَـى إلـيَّ وضَـجَّـةً   ويَــراءةَ الـلَّهْــوِ الـغَـنـيِّ الـمُسْعِـدِ

يالَـيْـتَـني يَومــاً أعُــودُ إلى الــطّفــو   لَةِ كَي أَرَى مِن صَفْــوهَــا المتَجـدِّدِ

دُنْــيَــا الــطفُــولَــةِ يَا بُنـيَّ جَمِـيـلَة   وغَــنـيَّــةٌ فاهْـنــأ بِدَلّــكِ واسْـعِــدْ

* * *

الرياض

٢٧ شعبان ١٤١٣هـ

١٧ شباط (فبراير) ١٩٩٣م

وقد رزق نسيبنا الدكتور عناد خريس بمولودة أسموها آية:

آيــة

ياآيــةً مَلأَتْ دنــيــايَ بهــجــتُـهــا ... وأشْــرَقَتْ من سنــاهــا طلعــةُ الأُفُقِ

أرى بعــيــنــيــكِ آيــاتٍ مبــيِّــنــةً ... لله تُنــبــيء عن ديــنٍ وعــن خُلُقِ

وفــطرةٍ خَشَــعَــتْ لله خالــصــة ... تقُــولُ عُذْتُ بربّ الــنــاس والــفــلقِ

* * *

٢ /١/ ١٤١٤هـ

٢٢/ ٦/ ١٩٩٣م

كنتُ أنتظر بعض الأوراق العائلية من أبناء ابن عمي حامد النحوي، خالد وماجد وأحمد مع رسالة منهم. فحمل البريدُ الأوراق دون أي رسالة. فبعثت لهم بهذه الأبيات:

رســالة وعتــاب

يَقُــولُــونَ قَدْ جَاءَتْ إلَيْــك رسَــالَــةٌ ... مِنْ الأهْــلِ أرْحَــامٌ بهَــا وَصِــلاَتُ

هَرَعْتُ... وفي وَجْهِيْ ابتسامةُ آملٍ ... وَفِي القَلْبِ مِن مَوْج الهَـوَى دَفَقـاتُ

أمِنْ خالِدٍ....؟ صَفْو المُرُوءَةِ عَزْمُهُ ... تَسَــابَــقُ في مَيْــدَانِــه الــوَثَــبَــاتُ

أمِنْ مَاجِــدٍ؟ يُمْنُ البَشَــائِــر سَعْيُه ... وطَــلْعَــتُــهُ الإقبــالُ والبَــركَــاتُ

أمِــنْ أحمــدٍ؟ والسَّعْــدُ نُورُ جَبِيْنِــه ... شَمَــائِــلُ أمْــجَــادٍ لهُ وَسِــمَــاتُ

عِصَامٌ....؟ ونَشْرُ المِسْكِ منه سَجِيّةٌ ... وفَــوحُ أزَاهــيــرِ الــجِــنــانِ هِبَــاتُ

عَجِلْتُ إلى تلكَ الـرِّسَـالَـةِ كَي أرَى ... ظُنُــونِـي يُحَـيـي صِدْقَهـا كَلِمَــاتُ

عَجِبْتُ..! فَلَمْ ألقَ الذي كُنْتُ آمِلا ... وَغَــابَــتْ عَلَى آفَــاقِــهَــا البَسَمــاتُ

* * *

فَلَمْ أَلْـقَ إلاّ رُقـعـةً بَعْـدَ رُقْـعَـةٍ تُصَـوِّرُ مِنْ أجـداديَ الـرُّقُـعَـاتُ

أيَصْمِتُ أحْيَاءٌ. . . . إذا صحّ شوقُهُمْ ويَـنْـطقُ أجْـدَادُ لنـا وَرُفَـاتُ

وَمَـا عَتَـبِـي إلاّ عَلَى قَدْرِ مَأمَـلي ومـا مَأمـلي إلاّ عُرًى وصِـلاتُ

سأشكـوكُمُ شَكْـوَى المحبّ، لِوَالـدٍ وَوَالِـدَةٍ، نصـحٌ لَنَـا وَعِـظَاتُ

* * *

٢٣/ ١٠/ ١٤٠٤هـ

٢١/ ٧/ ١٩٨٤م

السـبت

في جلسة مع أولادي، ارتجلت لهم هذه «الفوازير».

فــي الحســاب

سَأسَــألُكُـم سُؤالا في الـحِسَــابِ ... لأعْــدَادٍ منــسَّــقَــةِ الـجَـوَابِ
فأوّلُــهــا وَآخِــرُهــا جمــيــعًا ... تطابــقُ وَسْــطهَــا دُونَ ارتــيــاب
وآخِــرُهـــا يَدُلّ عَلَى مَدَاهــا ... وَإنْ جُمِـعَـتْ فَعَشْــرٌ مِن صِحَــاب
تَوَالَــتْ أَرْبَــعًــا مَا زِيــدَ فِيــهــا ... فَكُـنْ فَطِنـًا بِمـعْـرِفـة الـصّــوَابِ

* * *

٢٨/ ٩/ ١٣٩٧هـ

فــي اللغــة

سَأسْــألُــكُــم سُؤالاً في الــلُّغَــات ... مَعَــانِــيــه تزيــدُ عَلى الــمِئــاتِ
وَأَحْــرُفُــه جَمــيــعًا فيَ لِطَافٍ ... وهــمــزَتُــه تَقُــومُ عَلى عَصَــاةِ

* * *

٢٨/ ٩/ ١٣٩٧هـ



فهـرس

ديوان مهرجان القصيد

من الملاحم ١٥٧

الرثـــاء

مع الأصدقاء

أفـراح وأعـراس

كتب للمؤلف

- **دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية** ـ الطبعة السادسة.
- **الشورى وممارستها الإيمانية** ـ الطبعة الثالثة.
- **الشورى لا الديمقراطية** ـ الطبعة الرابعة.
- **لقاء المؤمنين** ـ الجزء الأول ـ الطبعة الرابعة.
- **لقاء المؤمنين** ـ الجزء الثاني ـ الطبعة الرابعة.
- **منهج المؤمنين بين العلم والتطبيق** ـ الطبعة الرابعة.
- **التوحيد وواقعنا المعاصر** ـ الطبعة الثانية.
- **العهد والبيعة وواقعنا المعاصر** ـ الطبعة الثالثة.
- **النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية** ـ الطبعة الرابعة.
- **النيّة في الإسلام وبعدها الإنساني** ـ الطبعة الأولى.
- **الولاء بين منهاج الله والواقع** ـ الطبعة الثانية.
- **الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام** ـ الطبعة الثانية.
- **نهج الدعوة وخطة التربية والبناء** ـ الطبعة الأولى.
- **منهج لقاء المؤمنين** ـ الطبعة الأولى.
- «**خطة الداعية** The Caller's Plan » (باللغة الإنجليزية)ـ الطبعة الأولى.
- **لقاء المؤمنين** ـ الجزء الأول ـ (مترجم إلى اللغة التركية).
- **أضواء على طريق النجاة** ـ الطبعة الأولى.

- **الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته** ـ الطبعة الثانية.
- **الحداثة في منظور إيماني** ـ الطبعة الرابعة.
- **تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها** ـ الطبعة الأولى.

- **ديوان الأرض المباركة** ـ الطبعة السادسة.
- **ديوان موكب النور** ـ الطبعة الرابعة.
- **ديوان جراح على الدرب** ـ الطبعة الثالثة..
- **ديوان مهرجان القصيد** ـ الطبعة الأُولى.

- **ملحمة الغرباء** ـ الطبعة الثالثة.
- **ملحمة القسطنطينية (فتحان)** ـ الطبعة الثانية.
- **ملحمة الجهاد الأفغاني** ـ الطبعة الثالثة.
- **ملحمة فلسطين** ـ الطبعة الخامسة.
- **ملحمة الأقصى** ـ الطبعة الثانية.
- **ملحمة الإسلام في الهند** ـ الطبعة الأُولى.
- **ملحمة البوسنة والهرسك ـ الجريمة الكبرى** ـ الطبعة الثانية.

- **على أبواب القدس** ـ الطبعة الثانية.
- **فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع** ـ الطبعة الرابعة.
- **الصحوة الإسلامية إلى أين؟**ـ الطبعة الثالثة.
- **فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع** ـ (مترجم باللغة التركية).
- **عبد الله عزام، أحداث ومواقف** ـ الطبعة الأُولى.

- **دراسة انتشار الموجات الإلكترومغناطيسية المتوسطة (باللغة الإنجليزية)** ـ الطبعة الأُولى.